الوجيز في الإيمان

حقيقته، مسائله، نواقضه

عند أهل السنة والجماعة

راجعه وقدم له كل من أصحاب الفضيلة

الشيخ العلاَّمة عبد الله بن عبد العزيز العقيل
الشيخ العلاَّمة عبد العزيز بن عبد الله الراجحي
الشيخ المحدِّث عبد الله بن عبد الرحمن السعد
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود
الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف

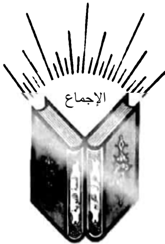
إعداد
عبد الله بن عبد الحميد الأثري

الغرباء
guraba



هدفنا نشر الإسلام الحق

الطبعة الأولى: ١٤١٠ هـ
الطبعة الثانية: ١٤٣٦ هـ



الغرباء
guraba
الدار الأثرية للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع

GURABA YAYINCILIK SAN. TiC. LTD. STi.
Çatalçesme Sk. Defne Han 27 / 5
Cagaloglu - Fatih / Istanbul
Tel: (0212) 526 06 05 GSM (0507) 286 14 14
gurabayayinlari مكتبة الغرباء YouTube guraba yaylnlarl
www.guraba.com.tr e-mail:guraba@Hotmail.com

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾



الوجيز في الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾



(اللَّهُمَّ ! اجْعَل عَمَلي كُلَّهُ صَالِحًا ، وَلِوَجْهِكَ خالِصًا ، وَلاَ تَجْعَل فِيهِ لأَحَدٍ شَيْئًا)

اللهم انفع بهذا الكتاب :
واضعه، وقارئه، وسامعه، وناشره
آمين يارب العالمين

مقدمة الطبعة الجديدة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِهِ الصَّادق الأَمين، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ، ومَن والاه ونصره إلىٰ يوم الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ: فأَحمدُ اللهَ تعالىٰ، وأَشكُرُهُ علىٰ نِعَمِهِ العظيمةِ التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَىٰ، ومن هذهِ النِّعَمِ العظيمةِ؛ ما يسَّر لي - بفضله ومنِّه وكرمه - من تصنيف كتاب:

(الإيمانُ حَقيقتُهُ خَوارِمُهُ نَواقِضُهُ عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة)

وإِنَّه لكتاب جمعَ بين دفَّتيه جميعَ مسائلِ الإيمان أَو أَكْثَرَها؛ بأَسلوبٍ مَبْسُوطٍ وميسَّرٍ، وترتيبٍ لطيفٍ مفصَّلٍ؛ ليستفيد منه كلُّ قارئٍ؛ فلا يَصْعُبُ علىٰ المبتدئِ، ولا ينزلُ مستواه عن المنتهي؛ لذا لقي قبولاً من القرَّاءِ الكرام علىٰ مُخْتَلِفِ طبقاتهم؛ مِمَّا أَدَّىٰ إلىٰ نفادِ طبعتِهِ الأُولىٰ، وكلُّ ذلكَ كانَ بفضلِ اللهِ تعالىٰ.

ومن فضلِ اللهِ تعالىٰ عليَّ أَيضًا - وكانَ فضلُهُ عليَّ عظيمًا - أَن تَعَاقَبَهُ ثناءُ العلماءِ ومقدِّماتُهِم علىٰ الكتاب؛ مِمَّا شجَّعني

لإعادة النظرِ فيه من جديد؛ فأَضفتُ إلىٰ الكتابِ أبوابًا وفصولاً مهمةً، وزياداتٍ وفوائدَ كثيرةً هامَّة، وأَوضحتُ ما رأَيتُ أنَّه يحتاجُ إلىٰ إيضاح، وأَجريتُ فيه بعضَ التغييراتِ والتقديمِ والتأْخيرِ لعباراتِهِ وفقراتِهِ؛ فأَصبحَ الكتابُ بثوبِهِ الجديدِ الموسَّعِ؛ كشرحٍ مفصلٍ، ومبسُوطٍ لمتنِ الكتابِ الأَوَّل.

أمَّا الطبعةُ الأُولىٰ للكتاب - وهي التي نقدم لها - فأَبقيتها علىٰ ما هي عليه - مع بعض التَّعديلاتِ والزياداتِ المهمةِ - نظرًا لطلبِ كثيرٍ من العلماءِ والدُّعاةِ الأَفاضلِ الذين رغبوا أَن تبقىٰ تلك الطبعة كما هي، وفي مقدمتهم شيخُنا الفاضلُ؛ العالمُ المحقِّقُ، والمرَبي الجليلُ، فضيلةُ الشَّيخُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ صالح المحمود - وفقهُ الله لكلِّ خير، وبارك له في عِلْمِهِ وعَمَلِهِ - وذلكَ للحاجَةِ الماسَّةِ إليها لعامَّةِ المسلمين؛ لسهولةِ عباراتها، وقِلَّةِ صفحاتها، وسَمَّيْتُها؛ كما اقترحَ عليَّ شيخُنا الكريم: (**الوجيزُ في الإيمان: حَقيقتُهُ، مَسائلُهُ، نَواقِضُهُ، عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة**).

وأُقدِّمُ شُكْرِيَ الجزيلَ، وتقديرِيَ الكبيرَ، وامتنانيَ العظيمَ - بعد شُكْرِ الله تعالىٰ - لكلِّ مَن كانَ لَهُ عليَّ فضلٌ، وأَخُصُّ منهم؛ مَن راجعَ الكتابَ وقدَّمَ له، من مشايخنا الكرامِ وعلمائِنا الأَفاضلِ في

طبعتَيْهِ؛ الذينَ استَفَدتُ كثيرًا من آرائِهم الثاقبةِ، ونظراتِهم الموفقةِ، وتصويباتِهم السَّديدةِ؛ شَكَرَ اللهُ لهُم جميعًا، ونفعَ المسلمينَ بعلمهم، وباركَ فيهِم، وفي مقدِّمتهم:

● مَن راجعَ الكتابَ وقدَّمَ لَهُ في طبعَتِهِ الأُولىٰ، وهي هذه الطبعة التي نقدم لها بثوبها الجديد:

فضيلةُ الشَّيخُ العلاَّمةُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ العزيزِ بنُ عقيلٍ العقيل.

فضيلةُ الشَّيخُ العلاَّمةُ عبدُ العزيزِ بنُ عبد اللهِ الرَّاجحي.

فضيلةُ الشَّيخُ المحدِّثُ عبدُ الله بنُ عبدِ الرَّحمن السَّعد.

فضيلةُ الشَّيخُ الأُستاذُ الدكتورُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ صالحٍ المحمود.

وفضيلةُ الشَّيخُ الدكتورُ عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدٍ العبدِ اللطيف؛ أُستاذُ العقيدةِ في جامعةِ الإمام، وهو المتفضلُ بمراجعة الكتاب.

●● ومَن راجعَ الكتابَ وقدَّمَ لَهُ في طبعَتِهِ الموسَّعة:

فضيلةُ الشَّيخِ الأُستاذُ الدكتورُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ صالحٍ المحمود.

فضيلةُ الشَّيخِ الدكتورُ ناصر بن يحيىٰ الحنيني.

فضيلةُ الشَّيخِ محمَّد راشد بن خالد دوندار القَرَه گويلي.

فلهؤلاءِ جميعًا شُكْري الصَّادقُ، وأسأَلُ اللهَ - عزَّ وجلَّ - أَنْ يُضاعِفَ لهم المثوبةَ والعطاءَ، ويرفعَ لهم الدَّرجاتِ في العلِّيِّينَ؛ لقاءَ ما أَسْدَوا، وكفاءَ ما بذَلوا، وأَن ينفعَ المسلمينَ بعلْمِهم؛ إِنَّه سميعٌ مجيبُ الدُّعاء.

وأسأَلُ اللهَ الكريمَ - جلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهِهِ الكريم، وموافقًا لسُنَّةِ نبيِّهِ الأَمين محمَّدٍ ﷺ، وأَن ينفعَ بها المسلمين، وأَن يتقبَّلها منِّي، ويَدَّخر لي ثوابها؛ ليومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنونَ، ويَغْفِرَ زلاَّتي وسَيِّئاتي إِنَّه غفورٌ رحيمٌ كريم.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ علىٰ الهادي البشير، والسِّراجِ المنير؛ نبيِّنا، ومرشِدِنا، وقائدِنا، وإِمامِنا، وقدوتِنا مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ النَّبيِّ الأُمِّيِّ، وعلىٰ آلِهِ العِظام، وصَحْبِه الكِرام؛ اللَّهمَّ آمين.

كتبه
الرَّاجي رَحْمَةَ رَبِّهِ الغفُور
عبد الله بن عبد الحميد الأثري
نزيل اصطنبول، عفا الله عنه
٢٦ رمضان ١٤٢٧ هـ

مقدمة العلماء للكتاب

مقدمة
سماحة الشيخ العلامة
عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ علىٰ عبدِهِ ورسُولِهِ الأمينِ نَبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ: اطَّلعتُ علىٰ الرِّسالةِ القيِّمةِ الَّتي أَلَّفها الأُستاذُ الشَّيخُ:

عبدُ الله بنُ عبدِ الحميدِ الأَثَريُّ، وسَمَّاها: (**الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارِمُهُ، نَواقِضُهُ، عندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة**)

وقد تَصَفَّحتُها؛ فوجدْتُها قد استَوعَبَتْ جملةً من مسائلِ الإيمانِ، وبيانِ حقيقَتِهِ، ومَراتِبِه، وما يدخُلُ في مُسمَّاهُ، وبيانِ نواقِضِهِ، وما يَخُلُّ به من قولٍ، أَو عَمَلٍ، وكذلك زيادتُهُ ونَقْصُهُ، والاستثناءُ فيه، ودَعْمُ كُلِّ مسأَلةٍ بدَليلها، ومَن قالَ بها مِن أئمَّةِ

السَّلفِ المُقتدىٰ بهم، ولم يتعرَّضْ للمُناقَشَاتِ الخلافيَّةِ؛ الَّتي تُشَوِّشُ علىٰ الإنسانِ عقيدَتَه.

وقد أَعجَبَني صَنيعُهُ في هذا المؤلَّفِ المختصَرِ، وحُسْنُ أُسلوبِهِ في تنسيقِهِ، وإنِّي أُوصي إخواني وأَبنائي أَن يستَفيدُوا منه، ويَجنُوا من ثِمارِهِ؛ لأَنَّه في الحقيقةِ مِمَّا يُرَسِّخُ الإيمانَ في القلوبِ، ويُعِينُ علىٰ الإخلاصِ لعَلَّامِ الغُيُوب.

ونسأَلُ اللهَ تعالىٰ؛ أَن ينفَعَ به الطُّلَّابَ، ويجعَلَهُ من أَقوىٰ الأَسْبَاب.

قال ذلك الفقير إلى الله

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل

رئيسُ الهيئة الدَّائمة بمجلس القضاء الأَعلىٰ سابقًا

حامدًا لله مصلِّيًا ومسلِّمًا علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ

وآله وصحبه أَجمعين.

١٠ / ١ / ١٤٢٦هـ

مقدمة
فضيلة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعِينُهُ، ونَسْتَغفِرُهُ، وَنَعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أَنفُسِنا، وَمِنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَن يُضلِل فَلاَ هادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحدهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ سيِّدُ الأَوَّلينَ والآخِرينَ، قُدوتُنَا وإمامُنَا صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبَارَكَ عَليهِ، وعلىٰ آلِهِ وأَصحابِهِ وأَتباعِهِ وأَعوانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

فاللهُ تعالىٰ؛ تولَّىٰ حِفظَ كتابِهِ بنفسِهِ، فقالَ تعالىٰ:

﴿إِنَّا نحنُ نَزَّلْنَا الذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[1].

وحِفْظُ اللهِ تعالىٰ للقرآنِ الكريمِ حِفْظٌ لهذا الدِّين؛ الذي أَصلُهُ وأَساسُهُ الإيمانُ باللهِ وبربوبيتِهِ، وأَسمائِهِ وصفاتِهِ وأَفعالِهِ، وتوحيدُ اللهِ وإخلاصُ الدِّينِ لَهُ، وصرفُ العبادةِ بجميعِ أَنواعهَا للهِ، والإيمانُ

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

بالقرآنِ وبجميعِ الكُتُبِ المنزَلة، والإيمانُ بمحمَّدٍ ﷺ وبجميعِ الرُّسُل، والإيمانُ باليومِ الآخرِ والبعثِ بعدَ الموْتِ، والحسابِ والجزاءِ والجنَّةِ والنَّارِ، والإيمانُ بقدَرِ اللهِ؛ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

ومن حِفْظِ اللهِ تعالىٰ للقرآنِ الكريمِ؛ حفظُ السُّنَّةِ المطهَّرَةِ، فهي الوحيُ الثَّاني، قال تعالىٰ:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

فاللهُ تعالىٰ حَفِظَ دينَه وكتابَه وسُنَّةَ نبيِّهِ محمَّدٍ ﷺ، وهيَّأَ اللهُ تعالىٰ الصَّحابةَ - رضوانُ اللهِ عليهم - وقيَّضَهم ووفَّقَهم وهداهم لنصرِ دينِ اللهِ، فحفظُوا كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّه ﷺ وجاهَدوا في سبيلِ اللهِ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ، ففتحوا البُلدانَ، وانتقلوا إليها فعلَّموا النَّاسَ دينَ اللهِ، ونشروا الإسلام في مشارقِ الأَرضِ ومغاربِها، ثمَّ تبعهم علىٰ ذلك التَّابعونَ وأَتباعُهم، ومَن بعدَهُم من الأئمَّة والعلماء، يُحيُون ما انْدَثَرَ من الإسلام ويجدِّدون لهذِهِ الأُمَّةِ دينها، ويُبصِّرُون النَّاس بالحقِّ، ويردُّون البِدَعَ والشُّبَهَ والضَّلالاتِ، ويكْشِفُون للنَّاس زيْفها، ولُبْسَها الحقَّ بالباطل.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

والدِّينُ أَصلُهُ وأَساسُهُ الإيمانُ باللهِ ورسُولِهِ؛ الإيمانُ الصَّحيحُ المبنيُّ علىٰ العلمِ والبصيرة.

هذا المعتقدُ الصَّحيحُ تُبنىٰ عليه الأَعمالُ، ويُعْصَم به الدماءُ والأَموالُ؛ فمَن صحَّ إيمانُه واعتقادُه صحَّ عملُه وعُصِمَ دمُه ومالُه، ومَن فَسَدَ إيمانُهُ وعقيدتُهُ بالشِّرْكِ، ونواقِضِ الإسلامِ حَبِط عملُه، وصَارَ هباءً منثورًا وحلَّ دمُه ومالُه، كما قال الله تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذين من قبلك لئنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتكُونَنَّ من الْخاسرين ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ ولَوْ أَشْركوا لَحبطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾(٣).

وفي الحديثِ الصحيحِ؛ الذي رواه الشَّيخانِ؛ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال:

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

«لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ؛ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلاَّ بِإِحْدَىٰ ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمُفَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ»(١).

وفي الحديثِ الصَّحيحِ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ:

«مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(٢).

وفي الصَّحيحينِ من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ:

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ»(٣).

وبالإيمانِ الصَّحيحِ تَصْلُحُ المجتمعاتُ في أَعمالها وأَخلاقها

---

(١) رواه البخاري في: (كتاب الديات) باب «قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النفس بالنفس والعين بالعين﴾». ومسلم في: (كتاب القسامة) باب «ما يباح به دم المسلم».

(٢) رواه البخاري في: (كتاب الجهاد والسير) باب «لا يعذب بعذاب الله».

(٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتو الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ [التوبة: ٥]». ومسلم في (كتاب الإيمان) باب «الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله».

وسُلُوكِهَا، وقد دلّتِ التَّجاربُ أنَ صلاحَ أخلاقِ الأُمِ يتناسَبُ مع صلاحِ عقيدةِ أفرادِه، وأنَّ فسادَ أخلاقِ الأُمِ والمجتمعاتِ يتناسَبُ معَ تَضَاؤُلِ عقيدةِ أفرادِه وانحرافها، ولقد لَبِثَ نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ في مكّةَ ثلاثةَ عشرَ عامًا يدعُو إلىٰ التَّوحيدِ والإيمانِ باللهِ ورسُولِه، ويقولُ للنَّاسِ: «قُولُوا لاَ إِلَه إلاَّ اللهُ؛ تُفلِحُوا»[١].

وكلٌّ نبيٍّ بعثَهُ اللهُ يدعُو قومَه بادئَ ذي بَدْءٍ إلىٰ تصحيحِ العقيدةِ، ويقولُ لهُمْ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ ما لكُم مِنْ إلهٍ غيْرُهُ﴾[٢].

كما أخبرَ اللهُ تعالىٰ عن نوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ، ولوطٍ، وشُعَيْبٍ، وغيرهم؛ كما قال سبحانه: ﴿ولقدْ بعثْنا في كُلِ أُمَّةٍ رَّسُولاً أن اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتنبُوا الطَّاغُوت﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إلاَّ نُوحِي إليْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون﴾[٤].

ومن ثَمَّ يجِبُ علىٰ الدُّعاةِ والمصلحينَ أن يدعوا أوّلاً، وقبلَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند»: ج٢٥، ص٤٠٤ (١٦٠٢٣).

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥. وسورة هود، الآيات: ٥٠، ٦١، ٨٤. وسورة المؤمنون، الآيتان: ٢٣، ٣٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

كلُّ شيءٍ إلىٰ إصلاحِ عقيدةِ المجتمعات، ولا يأمروا بإصلاحِ جانبٍ من جوانبِ الحياةِ حتىٰ تَصِحَّ العقيدةُ وتَسْلَمَ من شوائبِ الشِّركِ والبِدَعِ والمحدثاتِ، والخرافاتِ، وعوائدِ الجاهلية.

ولقد جمعَ أَخُونا الفاضلُ: الشيخُ عبدُ الله بنُ عبدِ الحميدِ الأَثريُّ؛ مُؤلَّفًا في العقيدةِ الصَّحيحةِ سمَّاهُ: (الإِيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارِمُهُ، نَواقِضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة)

ولقد قرأْتُ هذا الكتابَ من أَوَّلِهِ إلىٰ آخِرِهِ، مع تعديلاتٍ طفيفة، ولقد أَعجَبَني هذا الكتابُ لِمَا لَهُ من المميِّزاتِ التي تؤهِّلُ طباعتَهُ ونشرَه بين النَّاس، وترجمتَه إلىٰ اللغاتِ الأُخرىٰ.

ومميزاتُ هذا الكتابِ، هي:

١- شمولُ الكتابِ لمسائلِ الإيمانِ والاعتقادِ؛ مثلَ:

تعريفِ الإيمان لغةً وشرعًا، وأَنَّ الأَعمالَ جزءٌ من الإيمان، وبيانِ مراتبِ الإيمان، وبيانِ مسمَّىٰ الإيمانِ، ومسمَّىٰ الإسلام، والتلازم بين الظاهر والباطن، والاستثناءِ في الإيمان وفي الإسلام، وهل الإيمانُ مخلوقٌ أَم غير مخلوقٍ؟ وبيانِ أَركانِ الإيمان الستَّة، وهي: الإيمانُ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسُله، واليوم الآخر، والقدَر خيره وشرِّه، وبيانِ نواقض الإيمان عند أَهل السُّنَّة

والجماعةِ، وأَنواعِها من الشِّركِ والكفرِ والفسقِ والنِّفاقِ، وبيانِ الأَكبرِ منها والأَصغرِ، وبيانِ النواقضِ الاعتقاديةِ، والقوليَّةِ، والعمليَّة، وبيانِ التَّكفيرِ المطلقِ، والتَّكفيرِ المعيَّنِ، وبيانِ موانعِ التَّكفير، والحكمِ بغير ما أَنزلَ الله، وحكمِ تارك الصَّلاة، وأَسبابِ تركِ الإِيمانِ والإِعراض عنه.

٢- أَنَّه بحثَ هذه المسائلَ، وفصَّلها، وبيَّن الفروقَ، والمشتبهاتِ منها.

٣- أَنَّه يَسْتَدِلُّ لهذهِ المسائلِ؛ بالأَدلَّةِ من كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه ﷺ.

٤- أَنَّه أَكثرَ من النُّقولِ عن أَئمَّة أَهل السُّنَّة، والعلماء، والمؤلِّفين أَهل البصيرة، والمعتقدِ السَّليم.

٥- أَنَّه سَرَدَ أَسماءَ المؤلَّفاتِ علىٰ منهج أَهل السُّنَّة والجماعة في آخر الكتاب.

٦- أَنَّ عباراتِ الكتابِ؛ ميسَّرةٌ، وسهلةٌ، ومبسطةٌ؛ يفهمُها كلُّ أَحد.

٧- أَنَّهُ لم يتوسَّع في ذكر تفاصيل المسائل والخلاف والرُّدودِ والمناقشات التي يَكْبُرُ بها حَجْمُ الكتاب، ويقِلُّ بها انتفاعُ عمومِ المسلمينَ من الكتاب.

وإنني بهذهِ المناسبةِ أنصَحُ وأُوصي عمومَ المسلمينَ بقراءةِ هذا الكتابِ والاستفادةِ منه ؛ كما أنني أُوصي بنشرِ هذا الكتابِ وترجمتِهِ إلىٰ اللغاتِ الأُخرىٰ .

وأَحسبُ أنَّ مؤلِّفَهُ كَتَبَ هذا الكتابَ يُريدُ به وجهَ اللهِ، ونفعَ إخوانِهِ المسلمين، وأسأَلُ اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيمِ؛ أَن يجعلَني والمؤلِّفَ من الذينَ أَخلَصُوا أعمالَهُم للهِ، وأَرادوا رضوانَهُ، والنُصحَ لعبادِهِ ونفعَهم وتوجيهَهم وإرشادَهم .

وأَسأَلُ اللهَ لي، ولعمومِ المسلمينَ الفقهَ في دينه، والبصيرةَ في شريعته، والحرصَ علىٰ نشرِ السُّنَّة، والحذرَ من البدع والمحدثات في الدِّين؛ كما أَسأَلُ اللهَ لي ولإخواني المسلمينَ، الثباتَ علىٰ دينه، والإيمان به وبرسوله ﷺ، والاستقامةَ علىٰ ذلك حتىٰ الممات .

إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك علىٰ عبد الله ورسوله نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وأَصحابه وأَتباعه بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين .

كتبه

عبدُ العَزيز بنُ عبدُ الله الرَّاجِحِي

١١ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ

مقدمة

فضيلة الشيخ المحدث

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أَستعينُ، وعليه أَتوكَّلُ، وإليه أَلجأُ، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وأَصحابه، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ: فإنَّ الإيمانَ بأَسماءِ اللهِ تعالىٰ، وصفاتِهِ وكمالِهِ، وإفرادَهُ بالعبادة؛ هو أَساسُ الأُسُسِ وأَصْلُ الأُصُولِ، قال تعالىٰ:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآيات: ١ ـ ٥.

وقال تعالىٰ: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[١].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[٢].

والأدِلَّةُ علىٰ هذا الأمرِ كثيرةٌ، وهو معلومٌ من الدِّينِ بالضرورة، ولا شكَّ أنَّ مَن لم يأتِ به؛ فهو الخاسرُ دنيا وآخرة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٣].

فيتحتَّمُ علىٰ كلِّ مسلمٍ أن يهتمَّ بهذا الرُّكنِ الرَّكينِ والأصلِ

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ١٩ ـ ٢١.
(٢) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥.

الأَصيل؛ الذي هو مصدرُ سعادته، ورأسُ مالِهِ، والقرآنُ الكريمُ والسُّنَّةُ النبويَّة مليئان من التَّنبيه علىٰ ذلك، والأَمرِ به.

قال تعالىٰ - مذكِّرًا نبيَّه ﷺ بالأَصْلِ الذي بَعَثَهُ من أَجله -: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[١].

وهذه الآيةُ الكريمةُ نزلت بعد البعثة بمدة طويلة؛ لأَنَّها في سورة مدنية، وهي سورةُ محمَّدٍ ﷺ؛ فَمَعَ كونِهِ مبعوثًا بهذه الكلمة، وبَقِيَ مُدَّةً طويلةً وهو يدعُو النَّاسَ إِليها، ويُجاهِدُ من أَجلها، وهاجَرَ ﷺ من بلدِهِ لتحقيقها، ومعَ ذلكَ؛ فإِنَّ الله تعالىٰ يذكِّرُهُ بهذا الأَصْلِ العظيمِ الذي هو أَساسُ دينِ الإِسلام.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٣].

---

(١) سورة محمد ﷺ، الآية: ١٩.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٦٥ - ٦٦.

(٣) سورة الإخلاص، الآيات: ١ - ٤.

وفي هذهِ الآياتِ تذكيرٌ للرَّسول ﷺ بالأُصولِ التي بُعِثَ من أَجلِها.

ومن اهتمام إبراهيمَ - عليه الصَّلاةُ والسَّلام - بالأَصلِ الذي خُلِقَ من أَجلِهِ وبُعِثَ بسببِهِ أنَّه خافَ أَن يقَعَ بما يُنافيهِ؛ فقال كما ذكَرَ الله تعالىٰ عنه:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

قال أبو جعفرَ بنُ جريرٍ في تفسيره: (ومعنىٰ ذلك: أَبعدني وبنيَّ من عبادةِ الأَصنام... وقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ﴾ يقول: ياربِّ إن الأَصنامَ أَضْلَلْنَ. يقول: أَزلَلْنَ كثيرًا من النَّاس عن طريقِ الهُدىٰ وسبيلِ الحقِّ؛ حتىٰ عبدوهُنَّ وكفروا بك)[2].

وأَخرجَ عن ابن حُميدٍ: ثنا جريرٌ عن مغيرةَ، قال: كان إبراهيمُ التَّيميُّ يقُصُّ، ويقول في قَصَصِهِ: مَن يأْمَنُ منَ البَلاءِ بعدَ الخليلِ إبراهيمَ حينَ قال: ربِّي ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾.

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٣٥ - ٣٦.

(٢) «تفسير الطبري» ج١٣، ص٢٢٨.

وإبراهيمُ - عليه الصَّلاةُ والسَّلام - هو الذي كسَّر الأَصنامَ بيدِهِ، وهو الذي أَرادَ أَن يذبحَ ابنَهُ طاعةً لربِّهِ تعالىٰ، وغيرُ ذلك من المقاماتِ العظيمةِ التي قامَها تحقيقًا للتَّوحيد، وقيامًا بواجبِ العُبوديَّةِ للربِّ - عزَّ وجلَّ - ومع ذلك كلِّهِ دعىٰ ربَّهُ - عزَّ وجلَّ - أَن يُجنِّبَهُ وبَنِيهِ عبادةَ الأَصنام؛ لكثرةِ من وقعَ من النَّاسِ في عبادتها.

وقد أَرسَلَ اللهُ - تبارك وتعالىٰ - جبريلَ للنَّبيِّ ﷺ لكي يسأَلَهُ عن أُصولِ الدِّينِ، وأَركانِهِ، وقواعدِهِ؛ حتىٰ يتعلَّمَ النَّاسُ ذلك.

أَخرجَ البخاريُّ ومسلم (١)؛ من طريقِ أَبي حيَّانَ، عن أَبي زُرْعَةَ، عن أَبي هُريرةَ، قالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا للنَّاسِ؛ فأَتَاهُ رَجُلٌ، فقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الإِيمانُ؟

قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بالبَعْثِ الآخِرِ». قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الإِسْلامُ؟

قَالَ: «الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ».

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب «سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم السّاعة». ومسلم في (كتاب الإيمان) باب «بيان الإيمان والإسلام والإحسان، واللفظ له».

قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الإِحْسَانُ؟

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لاَ تَراهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَتَىٰ السَّاعَةُ؟

قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا؛ إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ العُرَاةُ الْحُفَاةُ رُؤُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، إِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ؛ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللهُ» ثُمَّ تَلاَ ﷺ:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة لقمان].

قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ» فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ؛ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«هَذَا جِبْرِيلُ؛ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ».

وفي روايةٍ عندَ مسلمٍ من طريقِ عُمارةَ - وهو ابنِ القَعْقَاعِ - عن أَبي زُرْعَةَ، عن أَبي هُرَيرة، قال:

قال رَسُولُ الله ﷺ : « سَلُونِي » فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ؛ فَجَاءَ رَجُلٌ . . . وفي آخر رواية : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

« هَذَا جِبْرِيلُ؛ أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا ، إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا »(١) .

وقد جاءَ هذا الحديثُ - أيضًا - من روايةِ عُمرَ بنِ الخطابِ، وغيرِهِ من الصَّحابة؛ رضي الله عنهم .

وهذه القِصَّةُ وقعت في المدينةِ؛ بل جاءَ في رواية (٢) من حديثِ عمرَ - رضي الله عنه - أخرجها أبو عبدِ الله بنُ مندةَ في « الإيمان »(٣) ، أن هذه القصَّةَ وقعت في آخرِ عُمْرِ الرَّسُولِ ﷺ .

ومعَ طُولِ هذهِ المدَّةِ ما بينَ بعثته ﷺ وما بينَ وقوعِ هذه القصَّة، مع أنَّه ﷺ لم يزل منذُ بُعِثَ وهو يُبَيِّنُ الإسلامَ والإيمانَ، ومعَ ذلكَ جاءَ السُّؤالُ عن هذهِ الأُصولِ في آخرِ حياته؛ تذكيرًا للأُمَّةِ بأهمِّيةِ هذه الأُصُولِ، ووجوبِ معرفتها، والعملِ بها .

قال عياضُ بنُ موسىٰ رحمه الله تعالىٰ : (اشتملَ هذا الحديثُ علىٰ جميعِ وظائفِ العباداتِ الظَّاهرةِ والباطنةِ؛ من عُقُودِ الإيمانِ

---

(١) رواه مسلم في « كتاب الإيمان » : برقم (١١) .

(٢) صَحَّحَ ابن حجر - رحمه الله تعالىٰ - في « فتح الباري » ج١ ، ص١١٩ هذه الرواية علىٰ شرط مسلم، وفي هذا بعض النظر، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) « كتاب الإيمان » ج١ ، ص١٤٥ برقم (١٢)

ابتداءً وحالاً ومآلاً، ومن أعمالِ الجوارح، ومن إخلاص السَّرائِرِ والتَّحَفُّظِ من آفاتِ الأعمال؛ حتىٰ إن علومَ الشَّريعةِ كلَّها راجعةٌ إليه، ومُتَشعبةٌ منه)[1].

وقال القرطُبيُّ، رحمةُ الله تعالىٰ:

(هذا الحديثُ يصلُحُ أن يُقالَ: لَهُ أُمُّ السُّنَّة؛ لما تَضمَّنَهُ من جُمَلِ عِلْمِ السُّنَّة)[2].

وَلْيُعْلَمْ أنَّ الاتِّصافَ بالإيمانِ ليسَ بالأمرِ الهيِّن؛ لأنَّهُ ليس كلُّ مَن ادَّعىٰ ذلك صادقًا في دَعْوَاهُ، قال الله تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ

(١)، (٢) انظر: «فتح الباري» ج١، ص١٢٥.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٤١.

وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

وقد بيَّنَ الله تعالىٰ؛ أَنَّ الإنسانَ لا يكونُ مؤمنًا حقيقةً حتَّىٰ يكونَ اعتقادُهُ صَحيحًا وعَمَلُهُ مستقيمًا، قال تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾(٢).

أَخرجَ مسلمٌ في «صحيحه» من طريقِ هشامِ بن عُروَةَ، عن أَبيه، عن سُفيانَ بن عبد الله الثَّقفيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قُلْ لِي في الإِسْلاَمِ قَوْلاً، لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ:

«قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ فَاسْتَقِمْ»(٣).

وفي روايةِ التِّرمذيِّ؛ من طريقِ الزُّهْريِّ عن عبدِ الرَّحمنِ بن

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.
(٢) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ - ٣٢.
(٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب «جامع أوصاف الإسلام».

مَاعِزٍ عن سُفيانَ الثَّقَفيِّ، قالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: «قُلْ رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ ...».

قال أبو عيسىٰ: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيح)(١).

قال القاضي عياضٌ - رحمه الله تعالىٰ - كما في شرحِ النَّوويِّ علىٰ مسلمٍ:

(هذا من جَوامعِ كَلِمِهِ ﷺ وهو مُطابقٌ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي: وحَّدُوا الله وآمنوا به، ثُمَّ استقاموا؛ فلم يحيدوا عن التَّوحيد، والتزموا طاعتَهُ - سبحانه وتعالىٰ - إلىٰ أَن تُوُفُّوا علىٰ ذلك، وعلىٰ ما ذكرهُ أكثرُ المفسِّرينَ من الصَّحابةِ فمَن بعدهم، وهو معنىٰ الحديثِ إن شاء الله تعالىٰ)(٢).

وقال أبو فرجِ بنُ رجبٍ رحمه الله تعالىٰ:

(فأَصلُ الاستقامةِ استقامةُ القلب علىٰ التَّوحيد، كما فسَّر أبو بكرٍ الصدِّيقُ - رضي الله عنه - وغيرُه قولَه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب الزهد) باب «ما جاء في حفظ اللِّسان».
(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم» للإمام النووي؛ ج٢، ص٩.

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ بأَنَّهم لم يلتفتوا إلىٰ غيره؛ فمتىٰ استقامَ القلبُ علىٰ معرفةِ الله، وعلىٰ خشيته، وإجلاله، ومهابته، ومحبَّته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتَّوكُّلِ عليه، والإعراض عمَّا سِوَاهُ؛ استقامت الجوارحُ كلُّها علىٰ طاعته؛ فإنَّ القلبَ هو ملكُ الأَعضاء، وهي جُنُودُهُ؛ فإذَا استقامَ الملكُ استقامت جنودُه ورعاياه . . .)[١].

قلتُ: والاعتقادُ حتَّىٰ يكونَ صحيحًا؛ لا بُدَّ أَن يكونَ من الكتابِ والسُّنَّةِ، وقد بيَّنَ لنا رَبُّنا - عزَّ وجلَّ - في كتابه، وفيما أَوصاهُ إلىٰ نبيِّه ﷺ ماذا يجبُ علىٰ الشَّخصِ أَن يعتقدهُ، والعملُ الذي عليه أَن يعملَهُ.

وقد أَلَّفَ أَهلُ العلمِ مُؤَلَّفاتٍ كثيرةً تُبيِّنُ ذلك.

ومن هذِهِ المؤلَّفاتِ - فيما أَحسب - كتاب:

(الإيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارِمُهُ، نَواقِضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة)

---

(١) «جامع العلوم والحكم» للإمام ابن رجب الحنبلي؛ ص١٧٩، شرح الحديث الحادي والعشرون.

لأَخينا الشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ عبد الحميدِ الأَثريِّ، وفَّقه الله تعالىٰ.

فقد أَفادَ وأَجادَ، وبيَّنَ ما جاءَ في الكتاب والسُّنَّة؛ فيما يتعلَّقُ بهذه المسائل العظيمة؛ فجزاهُ الله تعالىٰ خيرًا.

هذا؛ وأُوصِي إخواني بقراءة هذا الكتاب، والاستفادةِ منه.

وبالله التَّوفيق.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

٢٧ / ١٢ / ١٤٢٥ هـ

مقدمة
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن بن صالح المحمود

الحمدُ للهِ وحدَهُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ مَن لا نبيَّ بعدَه.

وبعدُ: فهذا كتابٌ مختصرٌ في الإيمانِ ومسائِلِهِ؛ أَعدَّهُ أَخُونا الفاضلُ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ عبد الحميد الأَثريُّ.

وقد جاء الكتابُ علىٰ غِرارِ كتابيه الموجزين النافعين:

«الوجيزُ في عقيدة السَّلف الصَّالح».

و«أَحكامُ وأَنواعُ التَّوسُّل المشروع والممنوع».

والَّذينِ سبق طبعُهُما، وقد قرأْتُ كتابَه هذا:

(الإِيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوارِمُهُ، نَواقِضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة)

فأَلفيتُهُ مختصرًا جامعًا، مُدعَّمًا بالأَدِلَّة من الكتابِ والسُّنَّة، والنُّقولِ عن أَئمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ المعتبرينَ؛ ثمَّ إِنَّه ابتعَدَ فيه عن

تفاصيلِ المسائلِ والخلاف فيها، والرُّدودِ والمناقشاتِ التي يَعْتَنِي بها المتخصِّصُون ونحوُهُمْ. ومن ثمَّ جاءَ كتابُهُ:

١- نافعًا لعموم المسلمينَ علىٰ مختلفِ مستوياتهم؛ فهو موجزٌ، وشاملٌ، ومدلَّلٌ.

٢- لا يستغني عن مثله طالبُ العلم؛ إذا أَرادَ جمعَ شَتَاتِ هذا الموضوع، وتدريسَهُ وتعليمَهُ للآخرين.

٣- كما أنَّه مناسبٌ جدًا لغير النَّاطقين بالعربيَّة؛ إذا تُرجمَ إلىٰ لُغاتهم؛ لأنَّهم سيجدُونَ فيه من السُّهولة والوضُوح ما يغُني عن المطوَّلات، وصعوبة المناقشات للمخالفين.

فجزىٰ الله المؤلِّفَ خيرَ الجزاء، ونفعَ به وبعلمه، ورزقنا وإيَّاه العلمَ النَّافعَ والعملَ الصَّالح.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وآله وصحبه وسلَّم.

كتبه: عبد الرحمن الصالح المحمود
أُستاذُ قسم العقيدة؛ كُلِّية أُصول الدِّين
جامعةُ الإمام محمَّد بن سعود
٩ شوال ١٤٢٣ هـ

مقدمة الطبعة الأولى

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، مالكِ يومِ الدِّينِ، إلهِ الأوَّلين والآخرين؛ الذي حَبَّبَ إلىٰ المؤمنينَ الإيمانَ، وزَيَّنه في قلوبهم، وكرَّهَ إليهم الكُفرَ والفسوقَ والعصيان، وجعلهم من الراشدين.

وأفضلُ الصَّلاةِ وأَتمُّ التَّسليم علىٰ رسُولهِ الأَمين، الهادي البشيرِ والسِّراجِ المنير، إمامِ المؤمنينَ المتَّقينَ الصَّادقينَ الموحِّدينَ، وسيِّدِ الثقلَيْنِ المبعوثِ رحمةً للعالمين؛ الذي عاش حقائقَ الإيمانِ والدِّين، وعَلَّمَ أَصحابَه حقيقةَ العلمِ والإيمان.

وعلىٰ آلهِ الطيِّبينَ الطَّاهرينَ، وصحبِهِ الغرِّ المحجَّلين، الكرامِ الميامين؛ الذين نتقرَّبُ إلىٰ ربِّنا تعالىٰ بحبِّهم أَجمعين، والتَّابعين العِظامِ مِنْ بعدهم، والذينَ اتبعوهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

اللَّهُمَّ! علِّمنا ما ينفعُنا، وانْفَعْنا بما علَّمتنا.

اللَّهُمَّ! إنَّا نَعُوذُ بكَ من عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وقَلْبٍ لا يَخْشَع؛ آمين.

أَمَّا بعدُ: فإِنَّ العقيدةَ الإسلاميَّةَ الصحيحةَ، هي الأَساسُ والأَصلُ في هذا الدِّين، وهي المنطلقُ الذي ينطلقُ منه إِسلامُ المرء، وعليها تُبنىٰ جميعُ المعارف؛ فمَن صحَّتْ عقيدتهُ صحَّ عملُه، ومَن فسدتْ عقيدتُه فسدَ سائرُ عملِه، ولا يَصحُّ الدِّينُ، ولا يُقبلُ العملُ عند الله – تبارك وتعالىٰ – إلاَّ بالإيمانِ الصَّحيحِ الذي تُبنىٰ عليه العقيدةُ الصَّحيحةُ السَّالمةُ من الشِّرك بجميعِ أَنواعِهِ.

وإِنَّ الإيمانَ بالله – سبحانه وتعالىٰ – له أَهميةٌ بالغةٌ في حياةِ المسلم؛ لأَنَّ سعادتَه في الدارينِ مبنيَّةٌ علىٰ قوَّةِ إِيمانِه بربِّه – عزَّ وجلَّ – وقُربه منه؛ فمَن أَطاع اللهَ تعالىٰ فيما أَمرَ، وآمن به إِيمانًا صادقًا، واجتنب ما نَهىٰ عنه وزَجرَ، وقال: (سمعنا وأَطعنا، آمنَّا وصدَّقنا)؛ فقد فاز فوزًا عظيمًا.

كما أَنَّ نجاةَ العبدِ من عذابِ الله تعالىٰ، ومن شديدِ عقابه تكون بالإيمانِ الصحيحِ الذي علَّمنا إِيَّاه رسولُه ﷺ، قال تعالىٰ:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[١].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

والإيمانُ بالغيبِ هو أَساسُ التَّسليم التَّامِّ لله تعالىٰ في أَمره ونهيه، وعندما يثبت هذا الإيمانُ الحقُّ في قلبِ المؤمن؛ لا تجده يعترضُ علىٰ أَيٍّ شيءٍ من الشَّرع المنزل، ولا يصدُّ عنه؛ بل هو في غاية الانقياد والتَّسليم، وتمامِ الانشراح لِشرعِ الله تبارك وتعالىٰ.

والإيمانُ الصحيحُ الراسخُ في قلبِ العبدِ المؤمنِ؛ هو المحرِّكُ الذي يُقرِّبُ من الله تعالىٰ ويَجلب وَلايَتَه ورضاه، ويتحصَّن به المؤمنُ من كيدِ أَعدائِه من شياطين الإنسِ والجنِّ، ومن معتقداتِهم الفاسدةِ وأَفعالِهم القبيحةِ، وأُسُسُ هذا الإيمانِ الحقِّ هي:

العلمُ الصحيحُ المستقىٰ من الوحيَيْن الشريفَيْنِ، والإيمانُ بالغيب، والكُفر بالطاغوت، والقيامُ بمقتضىٰ التَّكليفِ الشَّرعِي، والإخلاصُ لله تعالىٰ في العبادة، والصِّدقُ في متابعةِ الرَّسُول ﷺ.

وبهذه الأُسُس تترسَّخُ شجرةُ الإيمانِ في قلبِ المؤمن؛ ثمَّ يجدُ حلاوتَه ولذَّتَه، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤ – ٢٥.

فجذورُ شجرةِ الإيمانِ هي أَركانُها الستَّة، وسَاقُها الإخلاصُ لله تعالىٰ ومتابعةُ الرَّسُول ﷺ، وفروعُها الأَعمالُ الصَّالحةُ من أَعمالِ القلوبِ والجوارح وثمراتُها اليانعةُ التي لا حَصْرَ لها؛ هي حياةٌ في القلب، وقوةٌ في الحق، ثمَّ يلي ذلك الأَمْنُ والأَمان والاطمئنانُ والحياةُ الطيِّبة، وسعادةُ الدُّنيا والآخرةِ، وولايةُ الله تعالىٰ، وعنايتُهُ ورضاه.

ولقد كانت الأُمَّةُ الإسلاميَّة في عصر النبوة علىٰ هذا الإيمانِ الصحيحِ والعقيدةِ الحقَّةِ التي جاء بها النَّبِيُّ ﷺ عن ربِّه - جلَّ وعلا - وبلَّغها إلىٰ أَصحابه الكرام - رضي الله عنهم أَجمعين - فكانوا أَكملَ النَّاس إيمانًا، ويقينًا، وفهمًا، وتبليغًا لهذه العقيدةِ، وقد اعتصموا بها، وارتبطَ الإيمانُ عندهم بالعمل بديهيًّا، وكانوا يَكرهونَ الابتداعَ في الدِّين، والجدالَ والخصوماتِ والمِراء، وكان هدْيُهُمُ التَّسليمَ التَّامَّ لِشرعِ الله تعالىٰ.

وعندما كُسِرَ بابُ الفتنةِ بمقتل ثاني الخلفاءِ الراشدين عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه؛ تتابعت الفِتَنُ من بعده كقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمة، ثمَّ ظهرت فِرَقُ الابتداع التي خالفت منهجَ الرَّسولِ ﷺ وصحابتِهِ الكرام، وتمزَّق شملُ الأُمَّة بَعْدَها، وأَصبحت شِيعًا

وأحزابًا؛ كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[١].

وكذلك أخبرَ النَّبيُّ ﷺ بهذه الفتن، وما يقع في الأُمَّة من اختلاف واتِّباع لغيرهم من الأُمم؛ فعن الصَّحابيِّ الجليلِ عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قالَ: قالَ رسول الله ﷺ:

«لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ؛ حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً؛ كُلُّهُم فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً». قالوا: ومَن هي يا رسول الله؟ قالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[٢].

وعندما حدثت هذه الفِرَقُ في الأُمَّة - كما أخبرنا الصَّادق المصدوق ﷺ - لم يُعدَم الخيرُ فيها ولن يُعدَمَ؛ إذ ظلَّتْ فئةٌ منها متمسِّكةً بالهدىٰ والحقِّ، وهي ظاهرةٌ إلىٰ قيام السَّاعة، لا يضرُّها مَن خذلها، أو خالفها؛ مِصْداقًا لبُشرىٰ النَّبيِّ ﷺ فيهم، حيث قال:

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٢) «رواه الترمذي» في (كتاب الإيمان) باب: «افتراق هذه الأمة» وصحَّحه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» ج٢، ص٣٣٤.

«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحقِّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذلَهُمْ؛ حَتّىٰ يأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ كَذلِكَ»(١).

ولا شكَّ أَنَّ أَهلَ السُّنَّة والجماعة؛ المقتفينَ أَثَرَ الصَّحابة، والتَّابعين، وتابعيهم بإِحسان إِلىٰ قيام السَّاعة؛ هم الطَّائفةُ المنصورةُ، والفِرقةُ النَّاجيةُ القائمةُ علىٰ دين اللهِ الحقِّ؛ علمًا وعملاً ودعوة، وهم الذينَ عناهم النَّبِيُّ ﷺ بهذه الأَحاديث الشريفة.

ومن هنا وجبَ علىٰ كلِّ مسلم صادق مع ربِّه تعالىٰ؛ أَن يتعرَّفَ علىٰ عقيدةِ هذه الطَّائفةِ المباركةِ التي تلتزم الإِسلامَ الحَقَّ.

وعليه - أَيضًا - أَن يعرفَ الإِيمانَ الذي آمنوا وعَمِلُوا به معًا، وأَن يعرفَ حقيقةَ هذا الإِيمان، ومُسمَّاه، ومراتِبَهُ، وشُعَبَهُ، وخوارِمَهُ، ونواقِضَهُ، وموانِعَهُ، وأَركانَهُ الستَّة: الإِيمانُ باللهِ تعالىٰ، وملائكتِهِ، وكتُبِهِ، ورسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، وبالقدرِ خيرِه وشرِّه؛ لأَنَّ الإِيمانَ بهذه المغيَّباتِ أَساسُ هذا الدِّين، فإِنَّ اللهَ تعالىٰ لا يقبل إِيمانَ الذي يجحدُ أَحدَها؛ حتَّىٰ يؤمنَ بها جميعًا.

ولأَنَّ الخَطَأَ في فهم اسمِ الإِيمان وحقيقتِه ليس كالخطأ في اسم مُحْدَثٍ ولا كالخطأ في غيره من الأَسماء؛ لأَنَّ أَحكام الدُّنيا

(١) «رواه مسلم» في (كتاب الإمارة) باب: «قوله ﷺ لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين».

والآخرة – من استحقاقِ الجنَّة والنَّار، والسَّعادةِ والشَّقاوةِ، والموالاةِ والمعاداةِ، والقَتْلِ والعِصْمَةِ – متعلِّقَةٌ باسمِ الإيمانِ والإسلام والكُفْرِ والنِّفاقِ والشِّرْك؛ فمسألَةُ الإيمانِ من أهمِّ مسائلِ العقيدة؛ بل هي الأَصلُ لجميعِ مسائِلِها، ويترتبُ عليها جميعُ الأَحكامِ الشرعيَّةِ في الدُّنيا وفي الآخرة؛ فعلىٰ أَساسِ الإيمانِ انقسمَ النَّاسُ فريقين: فريقُ أَهلِ الإيمان الصَّادق، وفريقُ أَهلِ الكفرِ والشِّركِ والضلال، ولكلِّ فريقٍ أَحكامٌ وأَحوالٌ في الدُّنيا والآخرة.

ولمَّا كَثُرَ كلامُ النَّاسِ في حَدِّ الإسلامِ والإيمان، ونتجَ عن ذلك الجِدالُ والخصوماتُ الكثيرةُ – قديمًا وحديثًا – وزَلَّت به الأَقدامُ؛ فضلُّوا وأَضلُّوا ثمَّ ذهبَ الرِّجالُ وبقيَ الجِدالُ ولا يزالُ باقيًا – إلىٰ ما شاء الله – يُهدِّدُ وحدةَ الأُمَّة، ويهزُّ كيانَها، والله المستعان.

من هذا المنطلق العظيم؛ نظرتُ إلىٰ المسلمِ المعاصرِ اليومَ – مع قلَّةِ الهِمَمِ وبُعد النَّاس عن علوم الدِّين – فإذا هو يحتاجُ أَن تتيسَّرَ لَهُ العلومُ الإسلاميَّةُ؛ لأَنَّ مخاطبةَ العوامِّ بلُغةِ عصرهم(*)، وعلىٰ مستوىٰ فهمهم، وإنزالَ عُقولِهم منازِلَهَا، والتعرُّفَ علىٰ مداخلِ نفوسِهم؛ من الوسائل والأَسباب المهمَّةِ لهدايتهم بإِذنِ الله تعالىٰ

(*) مع المحافظة علىٰ ثوابت اللغة، وعدم التوسع في العبارات العلمية؛ بحيث تحتمل كثيرًا من المعاني عندهم.

وهذا ما يُقِرُّه الدُّعاةُ العاملون في السَّاحةِ الإسلاميَّة، وذلك من خلالِ تجربتهم مع دعوةِ عوامِّ النَّاسِ، وقُربِهم منهم، ومخاطبتِهم إيَّاهم عن كَثَبٍ، ولنا في سيرةِ إمامِ الدُّعاة محمَّد ﷺ شواهدُ كثيرةٌ علىٰ ذلك لمن أَرادَ الإنارَة.

فهم يحتاجونَ إلىٰ تعريفٍ ميَسَّرٍ للإيمان ومفهومِهِ وحقيقتِهِ وحدِّهِ، ومتىٰ يُطلقُ الإيمانُ، ومتىٰ يُمنع إطلاقُهُ، ومتىٰ يتطابق لفظُهُ مع الإسلام، ومتىٰ يفترقان! وأَيُّهما أَشمل؟ وما هي أَركانُهُ، ودرجاتُهُ، وشُعَبُهُ، ومراتِبُهُ، وصفاتُ أَهلِهِ، ونعمُهُ، وفوائدُهُ، وثمراتُهُ، وخوارِمُهُ، ونواقضُهُ ومُبْطلاتُهُ التي تُزيلُ حُكْمَه وتُبْطِل أَثره؟ فقد يرتدُّ أَحدُهم عن الدِّين من حيثُ لا يشعر! وما هي أَسبابُ تركِ الإيمانِ والإعراضِ عنه؟.

وكذلكَ يحتاجونَ إلىٰ معرفةِ بعضِ التعريفاتِ والقواعدِ والمصطلَحاتِ العلميَّةِ المُتَداوَلَةِ عند أَئمَّة أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ كتعريفِ الرِّدَّة، وتعريفِ الكُفر، والشِّرك، والنِّفاق، والفُسْقِ، والظُّلم، والهوىٰ، والموالاة والمعاداة؛ وبيانِ الأَكبرِ منها والأَصغر.

وبيانِ موقفِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة من مسأَلةِ التَّكفير عامةً، وبيانِ خطورَةِ تكفير المسلم، وما هي ضوابطُهُ، وموانعُه؛ من

العجزِ، والجهلِ، والخطإِ، والتأْويلِ، والإكراهِ، والتَّقليدِ، وكذلك بيانُ خطورَةِ عدمِ التَّفريقِ بين المطلقِ والمعيَّن في التَّكفير، وعدمِ التَّكفير المطلق - أيضًا - وما خطره علىٰ إيمانِ المسلم، وكذلك عدم الترددُّدِ في تكفير الكفَّار، واعتبارِ الظَّاهر في مسأَلة الكُفر والإيمان، وما هي عقيدة الوعدِ والوعيد، وإلىٰ غير ذلك من المصطلحاتِ العلميَّة، وقواعد ومفاهيم شرعيَّة.

فاستعنتُ بالله - عزَّ وجلَّ - وجمعتُ ما أَمكنَ لي جمعُهُ من المسائل التي تتعلَّق بالإيمان، وما تفرع منه، وكلُّ ذلك من كتاب الله العزيز الحميد، وسُنَّةِ نَبِيِّه الكريمِ الأَمينِ محمَّدٍ ﷺ، وأَقوالِ أَعلامِ أَئمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة المُعْتَبَرين.

واجتهدتُ في عَرْض المسائلِ علىٰ ضوء توفيرِ المادَّةَ العلميَّةِ، وعَرْضِها بإختصارٍ مع سَلاسَة الأُسلوبِ والعبارةِ، واختيارِ التَّبويبِ المناسبِ؛ لكي تكونَ قريبةً من مداركِ عامَّةِ النَّاس، ولا يصعبَ فَهْمُها عليهم؛ وحتىٰ تكون سببًا لقراءتِهم، ثمَّ لهدايتِهم بإذن الله تبارك وتعالىٰ.

والتزمتُ - أَيضًا - الأَلفاظَ الشرعيَّةَ المأْثورةَ عن أَئـمَّةِ أَهل السُّنَّة والجماعة قدرَ الإمكان.

وحرصتُ أَن يكونَ هذا الكتاب؛ رسالةً علميَّةً مختصرًا، ودليلاً صحيحًا واضحًا للمسلمِ المستقيم الصَّادق - أَو المهتدي حديثًا - إلىٰ طريق الحقِّ وجنةِ النَّعيم ورضوانِ اللهِ تعالىٰ؛ وعونًا له لتحصيل مُجْمَلِ عقيدةِ أَهلِ السُّنَّة والجماعة في مسأَلة الإِيمان، وما يتعلق بها.

وتركتُ جميعَ أَقوالِ الفِرَقِ الضَّالَّةِ المُنْحَرِفة، أَو المبتدِعَة؛ حتىٰ لا تُكدِّرَ وتُلبِّسَ علىٰ العامَّة صَفْوَ عقيدتهم وفطرتِهم؛ فيضطربَ عندهم الفَهمُ الصَّحيح لمسأَلةِ الإِيمان، وذلك لكثرةِ شُبُهاتِهم التي هي من خُطوات الشَّيطان لردِّ طالبِ الحقِّ عن الحقِّ، ولكي ينهلوا - أَيضًا - العلم من منبعِه الصَّحيح؛ كما كان الأَمرُ في الصَّدرِ الأَوَّلِ من هذه الأُمَّة المعصومة، وقبل الافتراق.

رغم أَنِّي أَعلمُ أَنَّ التطرُّقَ لموضوعِ الإِيمانِ ليسَ بأَمرٍ سهلٍ وهيِّنٍ، ولكني توكَّلتُ على اللهِ تعالىٰ؛ آملاً منه - عزَّ وجلَّ - أَن يجعلَ لي مخرجًا، ويوفِّقني للحقِّ والسَّداد؛ كما دلَّنا علىٰ ذلك كتابُ اللهِ الكريم، وسُنَّةُ رسولِهِ الأَمينِ محمَّدٍ ﷺ.

ثمَّ بذلتُ ما في وسعي ليكونَ هذا الكتاب؛ قد استوعَبَ ما

يحتاجُه المسلمُ المعاصر من عقيدتِه في هذا الموضوع، وما يتعلق به، ولا أَدَّعي أَنَّني وصلتُ بهذا العمل إلىٰ المطلوب، ولا سيَّما أَنِّي مسبوقٌ بأَئمَّةٍ كِبارٍ قد كتبوا في بابِ الإيمان؛ فأَجادوا وأَفادوا؛ فجزاهم الله عنَّا وعن المسلمين خير الجزاء.

ولكنِّي أُؤمل أَن أَكونَ قد وفِّقتُ - إن شاء الله - إلىٰ ما سعيتُ إِليه، وقرَّبتُ الموضوعَ، وسهَّلتُ عباراتِه في هذا الكتاب الذي سمَّيته: (الإِيمانُ: حَقيقتُهُ، خَوَارِمُهُ، نَواقضُهُ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة)

هذا هو جُهد المقلِّ؛ فإن وفِّقتُ وأَصبتُ، فَمِن الله - تبارك وتعالىٰ - وحده لا شريك له، وهو الموفِّق سبحانه.

وإِن أَخفقتُ وأَخطأْتُ؛ فَمِن نفسي، وعجزي، وقلَّة حيلَتي.

وأَعوذُ بالرَّحمن - سبحانه - من الشَّيطانِ والخذلان.

وأَحسن الله - تبارك وتعالىٰ - لمن يدلُّني علىٰ نَقْصٍ، ولم يَبخلْ عَلَيَّ، ونبَّهني إِليه مَشْكورًا مأْجورًا.

كما أَشكر كلَّ مَن كان له فضلٌ عليَّ؛ من إِبداء رأْيٍ، أَو مراجعةٍ، أَو نصيحةٍ، أَو دعاء؛ فجزاهم الله خيرًا.

وأَسالُ اللهَ - تبارك وتعالىٰ - أَن يُثبِّتنا علىٰ الإيمان الحق، ويُحبِّبه إلينا، ويُزيِّنَ قلوبنا به وبنعمه، وأَن يغرسَ فيها شجرَته؛ كي نجني من ثماره، ونتذوَّقَ حلاوةَ الإيمان الصَّادق، ونجدَ فيها طَعْمَ الحياة بالإيمان، ويُكْرِمَنا بالعيش في ظلاله.

وأَسأَلهُ - جلَّتْ قدرته - أَن يعصمنا من الشَّيطان الرَّجيم، وأَن يُعينَنا عليه، وعلىٰ مكره، وكيده، وشُبُهاتِه، وخُطُواتِه وخَطَراتِه؛ بحوله وقوته.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ؛ علىٰ الهادي البشيرِ، والسِّراجِ المنيرِ؛ نبيِّنا، وقائدِنا، وإمامِنا، ومرشدِنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أَجمعين.

كتبه

الرَّاجي رحمةَ ربِّه الغفور

أَبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ عبدِ المجيدِ

آل إِسماعيلَ البَزار الأَثريُّ العراقيُّ

نزيلُ اصطنبولَ؛ عفا اللهُ عنهُ بفضله

١٦ ذُو الحجَّة ١٤٢٢ هـ

حقيقة الإيمان

عند أهل السنة والجماعة

حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- تعريف الإيمان.
- علاقة الإيمان بأَعمال الجوارح.
- إجماع أَهل السُّنَّة والجماعة علىٰ تعريف للإيمان.
- زيادة الإيمان ونقصانه.
- أَسباب زيادة الإيمان، وأَسباب نقصانه.
- شُعب الإيمان.
- مراتب الإيمان.
- قول أَئمَّةِ أَهل السُّنَّة والجماعة في مسمَّىٰ الإيمان.
- الإستثناء في الإيمان.
- الإستثناء في الإسلام.
- الإيمان والإسلام.
- التلازم بين الظاهر والباطن.
- أَركان الإيمان.
- نعمة الإيمان، وثمراته.
- فوائد الإيمان، وثمراته.

تعريف الإيمان

* **الإيمانُ في اللُّغةِ**: الإيمانُ لغةً له معنيان:

أَوَّلاً– «الأمن»: أَي: إِعطاءُ الأَمن والأَمان والطمأْنينة؛ الذي هو ضدُّ الخوف. وآمنته ضدُّ أَخفته.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾(١).

فآمن، أَي: أَصبح داخلاً في الأَمن.

واستأْمن إِليه، أَي: دخل في أَمانه.

والأَمنة والأَمانة: نقيض الخيانة.

ومنه اسم الله – تبارك وتعالىٰ – «المؤمن»؛ لأَنَّه – سبحانه – أَمنَ عبادَه أَن يَظلمهم.

ثانياً– «التَّصديقُ»: أَي الذي يُصَدِّق قولَه بالعمل.

والتَّصديقُ: ضدُّه التَّكذيب.

---

(١) سورة قريش، الآية: ٤.

وإذا قال العبد: آمنتُ بالله تعالىٰ ربًّا؛ أي: صدَّقتُ به.

والمؤمن مبطنٌ من التَّصديق مثل ما يظهر.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾[١].

وقال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾[٢].

والتَّصديقُ يتضمَّن الأَمنَ والأَمانَ.

ولهذا قال إخوةُ يوسفَ - عليه السَّلام - لأَبيهم:

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[٣].

أي: لا تقرُّ بخبرنا، ولا تثقُ به، ولا تطمئنُّ إليه، ولو كنَّا صادقين.

إذن الإيمان لغةً: له معنيان حسب الاستعمال؛ الأَمن والتصديق، والمعنيان متداخلان[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٥.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٧.
(٤) انظر معاجم اللغة؛ مادة (أمن): «تهذيب اللغة» للأزهري؛ ج١٥، ص٥١٣. و«الصحاح» للجوهري؛ ج٥، ص٢٠٧١. و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي، ص ١٥١٨. و«لسان العرب» لابن منظور، ج١٣، ص ٢١ - ٢٧. و«مختار الصحاح» للرازي، ص١٨. و«مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني، ص ٩٠. و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير؛ ج١، ص٦٩ - ٧١.

● ولشيخ الإسلام ابنِ تيميَّة - رحمه الله تعالىٰ - رأيٌ في معنىٰ الإيمان اللُّغوي، وهو من آرائهِ السَّديدة، واختياراتِه الموفَّقة؛ حيث أَدخلَ معنىٰ «الإقرار» في الإيمان.

لأنَّه رأىٰ أنَّ لفظة «أقرَّ» أصدقُ في الدلالة والبيان علىٰ معنىٰ الإيمان الشَّرعي من غيرها؛ لأُمورٍ وأَسبابٍ ذكرَها ثمَّ ناقشها بالمعقول، وردَّ بتحقيقٍ علميٍّ رصينٍ قولَ مَن ادَّعىٰ: أنَّ الإيمانَ مرادفٌ للتَّصديق، وذكر فروقًا بينهما؛ تمنع دعوىٰ التَّرادف.

قالَ رحمهُ الله: (فكان تفسيرُهُ - أي الإيمان - بلفظ الإقرار؛ أَقربَ من تفسيره بلفظ التصديق، مع أنَّ بينهما فرقًا)[1].

وقال أيضًا: (ومعلومٌ أنَّ الإيمانَ هو الإقرار؛ لا مجرَّدَ التَّصديقِ. والإقرار ضمنِ قول القلبِ الذي هو التَّصديقُ. وعمل القلبِ الذي هو الإنقياد)[2].

وقال - رحمه الله تعالىٰ - في ردِّه علىٰ مَن ادَّعىٰ التَّرادف بين الإيمان والتَّصديق: (إنَّه - أي الإيمان - ليس مرادفًا للتَّصديق في المعنىٰ؛ فإنَّ كلَّ مخبرٍ عن مشاهدةٍ، أو غيبٍ، يقال له في

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص ٢٩١.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص ٦٣٨.

اللغة: صَدَقْتَ، كما يقال: كَذَبْتَ؛ فمَن قال: السَّماءُ فوقَنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب.

وأمَّا لفظ الإيمان؛ فلا يُستعمل إلاَّ في الخبرِ عن غائبٍ، لم يوجد في الكلام أنَّ مَن أخبرَ عن مشاهدةٍ، كقوله: طلعتِ الشَّمس وغربت، أنَّه يقال: آمنَّاه، كما يقال: صدَّقناه. ولهذا؛ المحدِّثون والشهود ونحوهم، يقال: صدقناهم، وما يقال: آمنا لهم؛ فإنَّ الإيمانَ مشتقٌ من الأَمن، فإنَّما يُستعمل في خبرٍ يؤتمن عليه المُخْبِرُ؛ كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المُخبِر، ولهذا لم يوجد قطُّ في القرآن وغيره لفظ: آمن له؛ إلاَّ في هذا النوع)(١).

وقال أيضًا: (إنَّ لفظَ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتَّكذيب؛ كلفظ التَّصديق؛ فإنَّه من المعلوم في اللُّغة أنَّ كلَّ مُخْبرٍ يقال له: صَدقتَ، أو كَذبتَ، ويقال: صدَّقناه، أو كذَّبناه، ولا يقال: لكلِّ مُخْبِرٍ: آمنَّا له، أو كذَّبناه. ولا يقال: أنتَ مؤمنٌ له، أو مُكذِّبٌ له؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمنٌ أو كافر، والكُفرُ لا يختصُّ بالتكذيب)(٢).

(١) «مجموع الفتاوى» ج٧، ص ٢٩١.
(٢) «مجموع الفتاوى» ج٧، ص ٢٩٢.

وقالَ الشَّيخُ العلاَّمةُ محمَّد بن صالح العُثيمين، رحمه الله:

(أكثر أَهل العلم يقولون: إنَّ الإيمان في اللغة: التصديق، ولكن في هذا نظر! لأَنَّ الكلمة إذا كانت بمعنىٰ الكلمة؛ فإنَّها تتعدَّىٰ بتعدِّيها، ومعلومٌ أَنَّ التَّصديقَ يتعدَّىٰ بنفسه، والإيمانَ لا يتعدَّىٰ بنفسه؛ فنقول مثلاً: صدَّقْتُه، ولا تقول آمنتُهُ! بل تقول: آمنت به، أَو آمنت له؛ فلا يمكن أَن نفسِّر فعلاً لازمًا لا يتعدَّىٰ إلاَّ بحرف الجرِّ بفعلٍ مُتَعَدٍّ ينصب المفعول به بنفسه، ثمَّ إن كلمة «صَدَّقت» لا تُعطي معنىٰ كلمةِ «آمنت» فإنَّ «آمنت» تدلُّ علىٰ طمأنينةٍ بخبره أَكثر من «صَدَّقت».

ولهذا؛ لو فُسِّر «الإيمان» بـ «الإقرار» لكان أَجود؛ فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرارَ إلاَّ بتصديقٍ، فتقول أَقرَّ به، كما تقول: آمن به، وأَقرَّ له كما تقول: آمن له)[١].

واعلم أَخي المسلم علَّمنا اللهُ وإيَّاك طريقةَ السَّلفِ الصَّالح: أَنَّ الحقائق قد تُعرف بالشَّرع كالإيمان، وقد تُعرف باللُّغة كالشَّمس، وقد تُعرف بالعرف كالقبض.

(١) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» ج٢، ص ٢٢٩.

وأَنَّ التَّعريفَ الشَّرعيَّ قد يتَّفق مع التَّعريف اللُّغوي، وقد يختلف؛ بحيث يكون المعنىٰ الشَّرعيُّ أَشمل من اللُّغوي، ولكنَّ العبرةَ بالمعاني الشَّرعيَّة التي نتعبَّد الله تعالىٰ بها .

وهكذا في مسمَّىٰ الإيمان؛ إذ التَّصديقُ أَحدُ أَجزاء المعنىٰ الشرعي علىٰ الصحيح المشهور عند أَئمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة، وعلىٰ ذلك دلَّت نصوص الكتاب والسُّنَّة .

فالمعنىٰ المختار للإيمان لغةً: هو الأَمن، والتَّصديق، والإقرار.

والإقرار يكون:

- باعتقاد القلب: أَي بتصديقِه بالأَخبار.
- بعملِ القلب: أَي بإذعانِه وانقيادِه للأَوامر.

* الإيمانُ في الاصطلاح الشَّرعي:

الإيمانُ - عند أَهل السُّنَّة والجماعة - هو شهادةُ التَّوحيد:

« أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ »

ومعنىٰ شَهادَةُ « أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » أَي: التَّصديقُ الجازمُ، والإقرارُ الكاملُ، والاعترافُ التَّامُّ؛ بوجود الله تعالىٰ، وبربوبيته وأُلوهيَّتِه، وأَسمائِه، وصفاتِه، واستِحقاقِهِ وحدَه العبادَةَ، واطْمئنان القلبِ بذلك اطمئنانًا تُرىٰ آثارُه في سلوكِ العبْد، والالتزامُ بأَوامرِ الله تعالىٰ، واجتنابُ نواهيه.

وشَهادَةُ « أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ » أَي: أَنَّ مُحمَّدًا بنَ عبدِ الله ﷺ رسولُ الله، وخاتمُ النبيِّين، وقبولُ جميعِ ما أَخبرَ به ﷺ عن ربِّهِ - جلَّ وعلا - وعن دين الإسلام من الأُمور الغيبيَّة، والأَحكام الشرعيَّة، وبجميع مفردات الدِّين، والانقيادُ له ﷺ بالطَّاعة المُطْلَقَةِ فيما أَمر به، والكفُّ عمَّا نهىٰ عنه ﷺ وزجر ظاهرًا وباطنًا، وإظهارُ الخضوعِ والطمأْنينةِ لكلِّ ذلك.

وملخصه: (هو جَميعُ الطَّاعات الباطنِة والظاهرِة).

● الباطنةُ: كأَعمال القلب، وهي تصديقُ القلب وإقرارُهُ.

● الظاهرةُ: أفعالُ البدن من الواجبات والمندوبات.

واعلم أخي الموحِّد: أنَّه يجب أن يَتْبَعَ ذلك كلُّه: قولُ اللِّسان، وعملُ الجوارح والأَركان، ولا يجزيء واحد من الثلاثة إلاَّ بالآخر؛ لأنَّ أعمالَ الجوارح داخلةٌ في مسمَّىٰ الإيمان، وجزءٌ منه.

فمُسَمَّىٰ الإيمان عند أَهل السُّنَّة والجماعة؛ كما أَجمعَ عليه أَئمَّتُهم وعلماؤهم - سلفًا وخلفًا - هو:

(اعتقادٌ بالقلبِ، وقولٌ باللِّسانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأَركان؛ يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصية).

ومن أُصولهم التي اتَّفقوا عليها في مسمَّىٰ الإيمان علىٰ اختلاف عباراتهم في التعبير - إِجمالاً وتفصيلاً - وذلك خوفًا من الاشتباه، أَو الالتباس؛ أَنَّ الإيمانَ مُرَكَّبٌ من:

(قولٍ، وعملٍ).

أَو (قولٍ، وعملٍ، ونيَّةٍ).

أَو (قولٍ، وعملٍ، ونيَّةٍ، واتِّباعِ السُّنَّة).

أَيْ: أَنَّ مسمَّىٰ الإيمان يُطلق - عند أَهل السُّنَّة والجماعةِ -

علىٰ ثلاثِ خصالٍ مجتمعة، لا يجزيء أحدها عن الآخر، وهذه الأُمور الثلاثةُ جامعةٌ لدّين الإسلام:

(اعتقادُ القلب، إقرارُ اللّسان، عملُ الجوارح).

وبعبارةٍ أُخرىٰ عندهم: ● قولُ القلبِ، وقول اللّسان.

● عملُ القلبِ، وعمل الجوارح.

ويمكن توضيح ذلك؛ بالتّفصيل التالي:

أَوّلاً – ● قول القلبِ: هو معرفته للحقّ، واعتقادهُ، وتصديقهُ، وإقراره، وإيقانُه به؛ وهو ما عَقَدَ عليه القلب، وتمسَّك به، ولم يتردَّد فيه.

قال الله – تبارك وتعالىٰ – في مُحْكَم التّنزيل:

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ...»(٢).

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٣٣ – ٣٤.

(٢) «رواه البخاري» في: (كتاب الإيمان) باب: «زيادة الإيمان ونقصانه».

● قولُ اللِّسانِ: إقرارُهُ، والتزامُه.

أَي: النطقُ بالشَّهادتين، والإقرارُ بلوازمهما.

قال تعالىٰ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ...﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ»(٣).

ثانيًا- ● عملُ القلبِ: نيَّتهُ، وتسليمُهُ، وإخلاصُهُ، وإذعانُهُ، وخضوعُه، وإنقيادُه، والتزامُه، وإقبالُه إلىٰ الله تعالىٰ، وتوكُّلُه عليه - سبحانه - ورجاؤُه، وخشيتُه، وتعظيمُه، وحُبُّه وإرادتُه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٣.

(٣) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم».

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[2].

وقال النبيُّ ﷺ:

«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ»[3].

● عملُ اللِّسان والْجَوارح:

أَي فعلُ المأمورات والواجبات، وتركُ المنهيّات والمحرّمات.

■ فعمل اللِّسان: ما لا يؤدَّىٰ إلاَّ به؛ كتلاوةِ القرآن، وسائرِ الأَذكار؛ من التسبيح، والتَّحميد، والتهليل، والتَّكبير، والدُّعاءِ، والاستغفار، والدَّعوةِ إلىٰ الله تعالىٰ، وتعليم النَّاسِ الخيرَ، وغير ذلك من الأَعمالِ التي تؤدَّىٰ باللِّسان؛ فهذا كلُّه من الإيمان.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢ . (٢) سورة الليل، الآيات: ١٩ - ٢١ .

(٣) «رواه أبو داود» في (كتاب الأدب) باب: «الغيبة». وصحّحه الألباني.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٩ .

■ وعملُ الْجَوارح:

مثلُ الصَّلاةِ، والقيام، والرُّكُوع، والسُّجود، والصِّيام، والصَّدقات، والمشْي في مرضاة الله تعالىٰ؛ كنقل الخُطا إلىٰ المساجد، والحجِّ، والجهاد في سبيل الله تعالىٰ، والأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وغيرِ ذلك من أَعمال شُعبِ الإيمان.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[2].

فهذه الخصالُ الثَّلاث:

(اعتقادُ القلبِ، إقرارُ اللِّسان، عملُ الجوارحِ).

اشتمل عليها مسمَّىٰ الإيمان عند أَهل السُّنَّة والجماعة:

فمَن أَتىٰ بجميعها؛ فقد اكتَمَلَ إيمانُهُ، ومَن أَتىٰ باثنين دون الثالث، لم يصح إيمانه.

---

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ٦٣ ـ ٦٤. (٢) سورة التوبة، الآيتان: ١١١ ـ ١١٢.

علاقة الإيمان بأعمال الجوارح
عند أهل السنة والجماعة

فإِنَّ علاقة الإيمانِ بأَعمال الجوارِح، وأنَّه لا إِيمانَ لمن ترك الأَعمالَ المفروضَة؛ من المسائلِ العَظيمة الجليلةِ عند أَئمَّة أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة، ومِمَّا يدلُّ علىٰ أنَّه لا بُدَّ مع اعتقادِ القلبِ من إِقرار اللِّسان وعملِ الجوارحِ؛ وَصْفُ الله تعالىٰ للمؤمنين الصَّادقين في كثيرٍ من الآيات؛ بصفاتٍ زائدةٍ علىٰ التَّصديق؛ إِذ وصفهم بالخصالِ الثَّلاثِ المذكورة؛ كما أَطلق الله تعالىٰ صفةَ المؤمنين الكاملين - حقًّا وصدقًا - علىٰ الذين آمنوا بالله جلَّ وعلا، وصدَّقوا رسوله ﷺ ولم يشكُّوا في ذلك، ولم يَرتابوا، وانقادوا لأَمره، ثمَّ عملوا بما آمنوا به؛ من أُصول الدِّين وفروعِهِ، وظاهرِهِ وباطنه، وظهرت آثارُ هذا الإيمانِ في عقائدهم، وأَقوالهم، وأَعمالهم الظاهرةِ والباطنةِ؛ وبهذه الأَعمالِ حقَّقوا الإيمانَ الكاملَ؛ فاستَحقُّوا هذا الوصفَ من ربِّهم - جلَّ وعلا - فدلَّ كلُّ هذا علىٰ أَنَّ الإيمانَ يعمُّ هذه الخصالَ الثَّلاثَ؛ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ أَدخلَ

أَعمالَهم في مسمَّىٰ الإيمانِ في الآيات القرآنيَّةِ، وجعلها شرطًا في قبول إيمانهم.

إذن فلا يكون المؤمنُ مؤمنًا حقًّا؛ إلاَّ بتلك الأَعمالِ الصَّالحةِ، كما قال الله تبارك وتعالىٰ في مُحْكَم التَّنزيل:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٢].

(١) سورة الأَنفال، الآيات: ٢ – ٤ .
(٢) سورة الأَنفال، الآية: ٧٤ .

الأَدلَّة من القرآن
علىٰ أنَّ الأَعمال جزءٌ من الإيمان

قال الله تبارك وتعالىٰ في مُحكَم التَّنزيل:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨ .

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٥ .

الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٣).

وَقال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[(٣)].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ - ١١. (٢) سورة المائدة، الآية: ٩٣.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

● وجعل اللهُ - عزَّ وجلَّ - في كتابه العزيز؛ جميعَ الطَّاعاتِ والأَعمال الصَّالحة من الإيمان، وذلك في كثيرٍ من الآيات الكريمات، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾(١).

لم يختلف المفسِّرون من السَّلف والخلف؛ بأَنَّ الله - تبارك وتعالىٰ - أَرادَ من: ﴿إِيمَانَكُمْ﴾ في الآية الكريمة؛ صلاتَكم إلىٰ بيت المقدس؛ فسمَّىٰ الصَّلاة إيمانًا، ولو لم تكن جزءًا من الإيمان وركنًا فيه؛ لما صحَّ تسميتها به؛ فهذا دليلٌ قاطعٌ وبيِّنٌ علىٰ أَنَّ العملَ من الإيمان، وجزءٌ منه، وداخلٌ في مُسَمَّاهُ.

● وكذلك قرن الله - عزَّ وجلَّ - الإيمانَ مع العمل في كثيرٍ من الآيات في كتابه العزيزِ، وجعلَ جنَّةَ الخُلد؛ جزاءً لمن آمن وعمل صالحًا، قال تعالىٰ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾(٣).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٧.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٩.

وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾[(١)].

وقال: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[(٢)].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[(٣)].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[(٤)(*)].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(٥)].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠ .
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٧٢ .
(٣) سورة العصر، الآيات: ١ – ٣ .
(٤) سورة البينة، الآية: ٥ .
(٥) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢ – ٩٣ .
(*) قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في هذه الآية الكريمة: (وقد استدلَّ كثير من الأئمة، كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أنَّ الأعمال داخلةٌ في الإيمان، ولهذا قال: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾).

والآياتُ الكريماتُ في إثبات دخولِ العملِ في مُسَمَّىٰ الإيمان في القرآن الكريم؛ كثيرةٌ جدًا ومعلومة، وهذه الآياتُ البيِّناتُ والواضحات في كتاب الله العزيز؛ كلُّها تُدخِلُ الأَعمالَ الصَّالحةَ، وجميعَ الطَّاعاتِ - الباطنةِ والظاهرةِ - في مُسَمَّىٰ الإيمان.

● إذن صفةُ المؤمنِ الصَّادقِ في القرآن العزيز:

هو الذي يفعل ما يوجبُ عليه الشرعُ؛ من أَعمال القلبِ واللِّسانِ والجوارحِ - ظاهرًا وباطنًا - وإذا فعل ذلك كله؛ كان جزاؤُه عند الله تعالىٰ؛ أَن يدخله الجنَّةَ، ويُكفِّرَ عنه سيئاته، ويُزحزحَهُ عن النَّار، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(١).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥ .

الأَدلة من السُّنَّة
علىٰ أَنَّ الأَعمال جزءٌ من الإيمان

قال النَّبِيُّ ﷺ : «قُلْ آمَنْتُ باللهِ، فاسْتَقِمْ»[١].

وقال ﷺ : «الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُها قَوْلُ: لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وأَدْناهَا إمَاطَةُ الأَذىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعبةٌ مِنَ الإيمانِ»[٢].

وقـال ﷺ : «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيـهِ وَجَدَ حَلاَوةَ الإيمـان: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِليـهِ مِمَّا سِواهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ للهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ في الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ في النَّارِ»[٣].

وقـال ﷺ : «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُـونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[٤].

---

(١) «رواه مسلم» في (كتاب الإيمان) باب: «جامع أوصاف الإسلام».
(٢) «رواه مسلم» في (كتاب الإيمان) باب: «بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها».
(٣) «رواه البخاري» في كتاب (الإيمان) باب: «مَن كره أن يعود في الكفر».
(٤) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «حبُّ النبي ﷺ من الإيمان».

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لوفد عبدِ القيس؛ عندما سألوهُ عن أُمور الدِّين؛ فأَمَرهم: «بالإِيمَانِ باللهِ وَحْدَهُ»، وقال: «أَتَدرونَ مَا الإِيمانُ باللهِ وَحْدَه؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «شَهادَةُ: أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وإِقَامُ الصَّلاةِ، وإِيتَاءُ الزَّكاةِ، وَصِيامُ رَمَضانَ، وأَنْ تُعطُوا مِن المغْنَمِ الخُمُسَ»(١)(*).

وعن أَبي هريرة – رضي الله عنه – أَنَّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ: أيُّ العَمَلِ أفضلُ؟ فقال: «إيمانٌ باللهِ ورَسُولِهِ» قيلَ: ثُمَّ ماذا؟ قال: «الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ» قيلَ: ثُمَّ ماذا؟ قال: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضانَ؛ إيمانًا وَاحْتِسابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٣). وقال ﷺ:

«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنفْسِهِ»(٤).

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «أداء الخمس من الإيمان».
(٢) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «من قال إن الإيمان هو العمل».
(٣) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «تطوع قيام رمضان من الإيمان».
(٤) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «من الإيمان أن يُحبَّ لأخيه ما يُحب لنفسه».
(*) قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: (وأيُّ دليلٍ علىٰ أنَّ الأعمال داخلةٌ في مُسمَّىٰ الإيمان فوقَ هذا الدَّليل؟ فإنَّهُ فسَّرَ الإيمانَ بالأعمال، ولم يذكُر التصديقَ؛ مع العلم بأنَّ هذه الأعمال لا تُفيدُ مع الجحود) «شرح العقيدة الطحاوية» ص (٤٧٨).

هذه مجموعة من الأَحاديث النبويَّةِ - وغيرها كثيرٌ جدًا يصعب حصرها - الدَّالة علىٰ أَنَّ الأَعمالَ داخلةٌ في مُسَمَّىٰ الإيمان، وأنَّه لا ينفع التَّصديقُ ولا القولُ بدون العمل وأَداءِ الفرائض.

● فهذه الأَدلَّةُ من كتاب الله تعالىٰ وسُنَّةِ رسوله ﷺ؛ تُثْبِتُ أَنَّ الأَعمالَ جزءٌ من الإيمان وداخلةٌ في مُسمَّاهُ، ولم يثبت المدحُ فيهما إلاَّ علىٰ إيمان ومعه العملُ الباطن والظاهر؛ لا علىٰ إيمانٍ خالٍ من عمل.

وهذا هو القولُ الحقُّ المُبِينُ، الذي أَجمع عليه سَلَفُ هذه الأُمَّةِ المباركةِ؛ من الصحابة والتَّابعين ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ، إلىٰ يومنا هذا؛ بل أَصبح هذا القولُ من مميِّزات أَهل السُّنَّة والجماعة، والفارقةِ بينهم وبين مَن خالفهم من أَهل البدع والأَهواء.

فتعريفهم للإيمان حكم شرعي موافق للمنقول؛ أَمَّا غيرهم فقد مالوا عن الحقِّ وجانبَوا الصَّواب؛ لأَنَّ أَهلَ السُّنَّة والجماعة آمنوا بنصوص الكتاب والسُّنَّة جميعًا، وعوَّلوا عليها، ولم يضطربوا، وبها كانوا أَوسطَ الفِرَق، وأَسْعَدَها بالمذهب الحقِّ.

وقد قال الله - تبارك وتعالىٰ - في كتابه العزيز عنهم:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

● واعلم أخي القارئَ اللَّبيب! علَّمنا الله وإيَّاكَ طريقَ الحقِّ:

أنَّ المؤمنَ الصادقَ مع ربِّه - جلَّ وعلا - والطَّالِبَ للحقِّ، العامل لآخرته؛ يبتعدُ عن شبهات الشَّيطان وخُطواته، ويتَّبع الجماعة، ولا يقول قولاً ولا يعملُ عملاً؛ إلاَّ وله فيه إمامٌ من أئمَّة أهل السُّنَّة المعتبرين، ويكفيه - أيضًا - دليلٌ واحدٌ صحيحٌ من الشَّرع، لكي يعتقدَ ذلك الأمر ويعملَ به؛ فكيف وقد تضافرت الأدلَّةُ الشرعيَّةُ الصَّريحةُ من كتاب الله تعالىٰ، وسُنَّةِ رسولِهِ ﷺ علىٰ صحَّة ما أجمعَ عليه سلفُ هذه الأُمَّة المعصومةِ، في مُسَمَّىٰ الإيمان، وفي جميع ما يعتقدون، والحمد لله.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥.
(٢) سورة النور، الآية: ٥١.

* خلاصةُ القول في مسمَّىٰ الإيمان:

هو ما وَقَرَ في القلب، وصدَّقه اللِّسانُ والعملُ، وبَدَت ثمراتهُ واضحةً في الجوارح بالامتثال لأَوامرِ الله تعالىٰ والابتعادِ عن نواهيه.

لأَنَّ اسمَ الإيمان يقع علىٰ مَن يُصدِّق بجميع ما جاء به الرَّسولُ ﷺ عن ربِّه - جلَّ وعلا - اعتقادًا، وإقرارًا، وعملاً.

وأَنَّ العباد لا يتساوون في الإيمان ولا يتماثلون فيه أَبدًا؛ لذا مَن صدَّق بقلبه، وأَقرَّ بلسانه، ولم يعمل بجوارحه الطَّاعات التي أُمر بها؛ لم يَستحق اسمَ الإيمان. ومَن أَقرَّ بلسانه، وعمل بجوارحه، ولم يصدِّق ذلك قلبُهُ؛ لم يَستحق اسمَ الإيمان.

وإذا تجرَّد التَّصديقُ عن العمل؛ فلا فائدةَ فيه، ولو كان التَّصديق المجرَّدُ عن العمل ينفعُ أَحدًا لنَفَع إبليسَ - نعوذ بالله منه ومن خُطُواته - فقد كان يعرف أَنَّ الله - عزَّ وجلَّ - واحدٌ لا شريك له، وأَنَّ مصيرَه لا شكَّ إليه سبحانه؛ ولكنَّه عندما جاءه الأَمر الإلهي: ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ولم يَشفع له عِلْمه بالوحدانيَّة والربوبيَّة؛ لأَنَّه لم يُحقِّق توحيدَ العبادة الذي من أَجله خلقَ الله الخلق.

إذن فالتَّصديقُ المجرَّدُ عن العمل لا قيمةَ لهُ عند ربِّ العالمين!

والإيمانُ لم يأْتِ في القرآن والسُّنَّة مجرَّدًا عن العمل؛ بل عُطف عليه العملُ الصَّالحُ في كثيرٍ من الآيات والأَحاديث، وهذا من باب عطف الخاص على العام، أَو البعض على الكلِّ؛ وذلك للتَّأكيد على الأَعمال الصَّالحة؛ كما في قولِهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾(١). فإنَّ جبريل وميكال داخلان في الملائكة.

وقولِهِ تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(٢).

والصَّلاة والزَّكاة من العبادة.

● فالإيمانُ والعملُ متلازمانِ لا ينفكُّ أَحدُهما عن الآخر، والعملُ صورةُ الإيمان وجوهَرُهُ، وهو من لوازمه ومقتضَياته، ونصفُ معناه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٨.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

إجماع أئمة أهل السنة والجماعة على تعريف الإيمان

وقد أَجمعَ أَئمَّةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ علىٰ أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، والإيمان بلا عمل لا يصحُّ ولا يجزئ، وحكىٰ الإجماعَ عنهم جمعٌ غفير من أَئمَّة التَّابعين، ومَن تبعهم بإحسان؛ فهذه بعضها:

● قال الإمامُ سُفيان بن عُيينة: (الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ؛ أَخذناهُ مِمَّن قَبلنا قولٌ وعملٌ؛ وأَنَّه لا يكون قولٌ إلاَّ بعَمَل)[1].

● وقال الإمامُ الشافعيُّ، رحمه الله تعالىٰ: (كان الإجماعُ من الصَّحابَةِ والتَّابعينَ من بَعدِهِم مِمَّن أَدركناهُم: أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ ونيَّة، ولا يجزئ واحدٌ من الثَّلاثةِ إلاَّ بالآخر)[2].

● وقال الإمامُ أَحمد بن حنبل، رحمه الله: (أَجمعَ تسعون رَجُلاً من التَّابعين، وأَئمَّةِ المسلمين وأَئمَّةِ السَّلف، وفُقهاءِ

(١) «كتاب الشريعة» الآجري: ٢ / ٦٠٤ (٢٣٩).
(٢) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنة» اللالكائي: ٥ / ٩٥٦ (١٥٩٣).

الأَمصار علىٰ أنَّ السُّنَّة التي تُوفِّيَ عنها رسولُ الله ﷺ - فذكر أُمورًا منها - الإيمانُ قولٌ وعملٌ يزيدُ بالطَّاعة وينقصُ بالمعصية)[1].

● وقال الإمامُ البغوي، رحمه الله: (اتَّفقت الصَّحابةُ والتَّابعون فمَن بَعدهم من علماءِ السُّنَّةِ علىٰ أَنَّ الأَعمالَ من الإيمانِ... وقالوا: إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ وعقيدة)[2].

● وقال الإمامُ الحافظ سفيان الثوري: (كان الفقهاء يقولون: لا يستقيم قولٌ إلاَّ بعمل، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ إلاَّ بنيَّة، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ إلاَّ بموافقة السُّنَّة)[3].

● وقالَ الحافظُ أبو عمر بنُ عبد البر، رحمه الله:

(أَجْمَعَ أَهْلُ الفقهِ والحديثِ عَلَىٰ أَنَّ الإيمانَ قَولٌ وَعَمَل، ولا عمل إلاَّ بنيَّةٍ، والإيمانُ عِنْدَهُمْ يَزيدُ بالطَّاعَةِ، ويَنْقُصُ بالمعصية، والطَّاعاتُ كُلُّها عِنْدَهُمْ إيمانٌ)[4].

---

(١) «طبقات الحنابلة» ابن رجب الحنبلي: ١ / ١٣٠ .
(٢) «شرح السنة» الإمام البغوي: ١ / ٣٨ .
(٣) «الإبانة الكبرى» ابن بطة: ١ / ٣٣٣ .
(٤) «التمهيد» الإمام ابن عبد البر: ٩ / ٢٣٨ .

زيادة الإيمان ونقصانه

ومن عقيدة أَهل السُّنَّة والجماعة التي أَجمعوا عليها :

أَنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطَّاعة حتىٰ يكونَ كالجبلِ، وينقصُ بالمعصية حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء، وأَهلهُ يتفاضلونَ فيه؛ فقد وردت أَدلَّةٌ كثيرةٌ من الآياتِ والأَحاديثِ، وعن أَئمَّة السَّلفِ الصَّالح علىٰ أَنَّ الإيمانَ؛ درجاتٌ وشُعَبٌ، يزيدُ وينقص.

● الإيمانُ يزيدُ : بأَعمال القلب والجوارحِ وبقول اللِّسان؛ كالطَّاعات والعبادات؛ من التَّصديق والمعرفةِ والعلمِ والعملِ، والتَّقوىٰ والإخلاصِ والصَّلاح، وذكرُ الله تعالىٰ، والحبِّ والبُغضِ في الله، والخوفِ والخشيةِ والرَّجاءِ من الله، والتوكُّلِ علىٰ الله، والمسارعةِ إلىٰ رضوان الله تعالىٰ، والقيامِ بجميع شعائر الدِّين من الأَعمال الصَّالحة.

● والإيمانُ ينقصُ: بأَعمال القلب والجوارح وبقول اللِّسان؛ كفعل المُحَرَّمات والمعاصي والمُنْكَرات، واقترافِ المنهيَّات،

وارتكابِ الذُّنوب والكبائرِ، والأَقوالِ والأَفعال الرَّديئةِ، وبغفلة القلبِ ونسيانِ ذكرِ الله تعالىٰ، وبالحسد، والكبر، والعُجبِ، والرِّياءِ والسُّمْعَةِ، والجهلِ، والإعراضِ، والتعلُّقِ بالدُّنيا، وقُرَناءِ السوء، وجميعِ الأَعمال الطالحة.

وأَنَّ أَهل الإيمان يتفاضلونَ في إيمانهم علىٰ حَسَب عِلْمِهم وعَمَلِهم؛ فبعضُهُم أَكملُ إيمانًا من بعض.

الأدلة من القرآن على زيادة الإيمان

قال الله - تبارك وتعالىٰ - في كتابه العزيز:

﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾(٤).

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٤.

وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾(٥).

وقال تعالىٰ: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٦).

وقد استدلَّ أَئمَّة أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة؛ بهذه الآياتِ الكريماتِ وغيرها من كتاب الله تعالىٰ علىٰ زيادةِ الإيمان ونُقصانه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣ .

(٢) سورة مريم، الآية: ٧٦ .

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٣ .

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢ .

(٥) سورة محمد، الآية: ١٧ .

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٣٧ .

الأَدلة من السُّنَّة علىٰ زيادة الإِيمان

قال النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم :

« أَوْثقُ عُـرَىٰ الإِيمـانِ : المُـوالاَةُ في الله والمُـعـاداةُ في الله ، والحُبُّ في الله ، والبُغضُ في الله »[١] .

وقال ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ للهِ ، وأَبْغَضَ للهِ ، وأَعْطَىٰ للهِ ، وَمَنَعَ للهِ ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ »[٢] .

وقال ﷺ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا »[٣] .

وقال ﷺ : « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمان »[٤] .

وقال ﷺ : « يَخرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ ، وَفِي

---

(١) انظر تخريج هذا الحديث في : « السلسلة الصحيحة » للألباني ، رقم : (٩٩٨) .

(٢) ، (٣) « رواهما أبو داود » في (كتاب السُّنَّة) باب : « الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه » . وصحَّحهما الألباني في « صحيح سنن أبي داود » ج٣ ، ص٨٨٦ .

(٤) « رواه مسلم » في (كتاب الإيمان) باب : « بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأنَّ الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر واجبان » .

قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، ويَخرجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، ويَخرجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»(١).

وقال ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً؛ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، وَهْوَ مُؤْمِنٌ»(٢).

فهذه الأدلَّةُ من القرآن والسُّنَّة؛ تُبَيِّنُ أَنَّ الإيمانَ يزيد وينقص، وأَنَّ أَهلَهُ متفاضلون؛ منهم السَّابق بالخيرات، ومنهم المقتصد، ومنهم الظَّالمُ لنفسه، ومنهم المحسن، ومنهم المؤمن، ومنهم المسلم؛ ليسوا عند الله سواء؛ بل فضَّل الله - تبارك وتعالىٰ - بعضَهُمْ علىٰ بعضٍ، ورفع بعضَهم فوق بعضٍ درجاتٍ، والله - عزَّ وجلَّ - يؤتي من فضلِهِ مَن يشاء من عباده، ولا معقِّب لحكمه تعالىٰ، وهو العليمُ الحكيم، العزيز الكريم.

واعلم أَنَّ هذه الأَدلَّةَ دالَّةٌ علىٰ زيادة الإيمانِ تصريحًا، وعلىٰ

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «زيادة الإيمان ونقصانه».
(٢) «رواه البخاري» في (كتاب الحدود) باب: «ما يحذر من الحدود: الزنا وشرب الخمر».

نقصانه لزومًا؛ لأنَّ زيادةَ الإيمان تستلزم نَقْصَهُ، وهما متلازمان؛ وما جازَ عليه الزيادةُ، جازَ عليه النُقصانُ - كما قال أئمَّةُ السَّلف - والذي تعتريه الزِّيادةُ لا بُدَّ وأنَّه ينقص؛ بدليل كونه قبل الزيادة أنقصَ منه بعدَها، وإلاَّ فلا معنىٰ للزِّيادة؛ إذ لا يمكن أن يُتَصَوَّرَ شيءٌ قابلٌ للزيادة غيرَ قابلٍ للنقصان؛ لهذا فإنَّ كلَّ دليلٍ دلَّ علىٰ زيادة الإيمان في القرآن والسُّنَّة؛ فهو يدُلُّ علىٰ نقصانه، وكذا العكسُ؛ فما دلَّ علىٰ نقصان الإيمانِ؛ فهو يدُلُّ علىٰ زيادته.

● قال الإمامُ أحمدُ بن حنبل - رحمه الله - عندما سُئِلَ عن كيفية نقصانِ الإيمان: (فكما يزيد؛ كذا ينقص)(١).

● وقال الإمامُ البيهقي، رحمه الله: (وأنَّ الإيمان؛ يزيد وينقص، وإذا قَبِلَ الزيادة قَبِلَ النقص)(٢).

● وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمه الله:

(وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان - في الإيمان - عن الصَّحابة، ولم يعرف فيه مُخالِفٌ من الصَّحابة)(٣).

---

(١) رواه الخلال في «السُّنَّة»: (١٠٣٠).

(٢) انظر: «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» باب: «القول في الإيمان».

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص٢٢٤.

● وبناءً على زيادة الإيمان ونقصانه يتكامل المؤمنون في إيمانهم، ويتفاضلون بقدر طاعتهم لله وموافقتِهم لشرعه.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٣).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٠.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.

أسباب زيادة الإيمان

إنَّ الله - تبارك وتعالىٰ - جعلَ للإيمانِ مواردَ عديدة تُعَزِّزُهُ وتقوِّيه، وأَسبابًا كثيرةً تزيده وتُنمِّيه؛ إذا فعلها العبدُ، وسعىٰ في طلبها، وفعلها تقرُّبًا إلىٰ الله تعالىٰ؛ قَوِيَ يقينهُ وزادَ إيمانه، وارتفعَت درجاتهُ في الدُّنيا والآخرة، والإيمانُ سببٌ لكلِّ خيرٍ؛ عاجلاً كان أَم آجلاً.

ومن أَهمِّ أَسبابِ زيادةِ الإيمانِ؛ الَّتي وردت في الكتاب والسُّنَّة:

١- طلبُ العلمِ النَّافعِ المستمدِّ من كتاب الله تعالىٰ وسُنَّةِ رسوله ﷺ والعملُ به؛ لأَنَّه يورث العملَ والخشيةَ من الله تعالىٰ؛ فمَن وُفِّقَ فيهما، فقد وُفِّقَ لأَعظم أَسبابِ زيادةِ الإيمان.

٢- التقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ، والتعرُّف إليه؛ بتحقيق التوحيد الخالص، ومعرفةِ أَسماءِ الله الحُسنىٰ؛ الواردةِ في الكتاب والسُّنَّة، والحرصِ علىٰ فهم معانيها، والتعبُّد بها.

٣- الاقتداءُ بالنَّبيِّ ﷺ واتِّباعُ هديه، والتسنُّنُ بسُنَّته في كلِّ كبيرةٍ وصغيرة، والعضُّ عليها بالنَّواجذ، وتأمُّلُ سيرتِه ﷺ ومعرفةُ ما كان عليه من الأَخلاق العالية، والأَوصافِ الكاملة، والخصال الكريمة، والشمائلِ الحميدة؛ لأَنَّ مَن درس وتأَمَّل سيرتَهُ ﷺ وصفاته؛ فقد استكثر لنفسه من الخير، وازداد يقينُهُ وحُبُّهُ للنَّبيِّ ﷺ وأَورثَتهُ هذه المحبَّةُ متابعتَهُ، والعَمَلَ بسُنَّته ﷺ.

٤- تركُ جميع المحرَّمات والمعاصي والمنهيَّات؛ تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ، وابتغاءَ وجههِ الكريم سبحانه.

٥- الإقبالُ علىٰ الدَّار الآخرة والسَّعْيُ لها بالقول والعمل، والزُّهدُ في الدُّنيا، والإعراضُ عن زخرفها الذي يشغل عن طاعة الله تعالىٰ؛ ولكن بضوابط الشَّرع، من غير إفراطٍ ولا تفريط.

٦- قراءةُ القرآن وتدبُّره: فهو من أَنفع دواعي زيادةِ الإيمانِ؛ فالَّذي يقرأه بتدبُّرٍ وتأَمُّل؛ يجد فيه من العلوم والمعارف ما يُقوِّي به إيمانه، ويزيده وينمِّيه، ولا تكون هذه الزِّيادةُ إلاَّ مع فهم القرآن وتطبيقِهِ، والعملِ به.

٧- الإكثارُ من الدُّعاء، وذكر الله تعالىٰ؛ من التَّضرُّع، والاستغفار، والتَّسبيح، والتَّهليل؛ لأَنَّهما من أَهمِّ أَسبابِ صلةِ

العبدِ بربِّهِ – جلَّ وعلا – فهما يغرسان شجرةَ الإيمان في القلب ويغذِّيانه ويقوِّيانه .

٨– الإكثارُ من النَّوافل بعد الفرائض؛ لأنَّها تُقرِّبُ العبدَ إلىٰ ربِّه – عزَّ وجلَّ – والإتقانُ في جميع العبادات، والاجتهادُ في تحقيق مقامِ الإحسان في العبادة .

٩– الاتِّصافُ بصفاتِ المؤمنين الصَّادقين وأَولياءِ الله الصَّالحين، واتِّباعُ آثارهم، والأَخذُ بهديهم، والتأسِّي بهم، ومجالستُهم؛ لأنَّ ذلك يُذكِّرُ العبدَ بربِّه تعالىٰ، ويُرقِّق قلبَهُ، ويزيده إيمانًا .

١٠– الإحسان إلىٰ عباد الله المؤمنين؛ من بِّرِ الوالدين، والأَقاربِ، والجيرانِ، وإحسان الخُلق معهم، وقضاءِ حوائجهم، ورفعِ نوائبهم، وحضورِ أَفراحهم وأَتراحهم .

١١– تأمُّلُ محاسنِ الإسلام؛ حيث إنَّ الدِّينَ الإسلامي كلَّه محاسن؛ فعقائدُهُ أَصحُّ العقائدِ وأَنفعها وأَصدقها من بين عقائدِ الأَديان والمِلَل، وأَحكامُه أَحسنُ الأَحكام وأَعدلُها للعباد، وأَخلاقُه أَجملُ الأَخلاق وأَكملُها إطلاقًا؛ فالمتأمِّلُ في هذه كلِّها يُزيِّنُ اللهُ الإيمانَ في قلبه ويحبِّبه إليه، فيجد حلاوتَهُ؛ فيزداد إيمانًا .

١٢- تأمُّلُ آياتِ الله ومخلوقاته؛ فالمتأمِّل في عظمة خلقِ السَّموات والأَرض وما فيهنَّ من المخلوقات المتنوِّعةِ والعجيبة، وفي نفس الإنسان وما هو عليه من الصِّفات؛ يجد ذلك من الأَسباب القويَّة لزيادة الإيمان وترسيخِه في القلب.

١٣- الدعوةُ إلىٰ الله تعالىٰ، ونشرُ رسالةِ الإسلام الخالدةِ من التَّوحيد الخالصِ، والأَمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر، والتَّواصي بالحقِّ والصبر.

١٤- البُعدُ عن شُعَبِ الكُفر، وكبائرِ الذُّنوب، والنِّفاق، والفسوق، والظُّلم، والعصيان، وجميعِ ما ينافي الإيمانَ؛ لأَنَّ هذه المعاصيَ سببُ ضعفِ الإيمان في القلب، والبُعدَ عنها سببٌ لزيادته وقوته.

● واعلم - أَخي المسلم - علَّمنا الله تعالىٰ وإِيَّاك طريق النجاة:

أَنَّ من أَهمِّ أَسبابِ نقصانِ الإيمانِ في قلب العبدِ؛ هو عدمَ تعاهدِ أَسبابِ زيادةِ الإيمان، وإِهمالَ تقويته، وتركَ العناية به؛ فكما أَنَّ المحافظةَ علىٰ هذه الأَسباب سببٌ في زيادة الإيمان؛ كذلك إِهمالُها سببٌ في نقصه.

أسباب نقص الإيمان

كما إنَّ للإيمان أَسبابًا تزيده وتُنَمِّيه؛ فكذلك للإيمانِ أَسبابٌ تنقصه وتضعفه، فعلىٰ المسلمِ الموحِّدِ أَن يكون حريصًا لمعرفة هذهِ الأَسباب؛ حتىٰ يحذر من الوقوعِ فيها، ومن أَهمِّ هذه الأَسباب:

- الجهلُ بأُمور الدِّينِ، وعلوم الشَّرعِ، والتَّقليدُ الأَعمىٰ.
- الابتداعُ في الدِّين، وتركُ سُنَّةِ الرَّسول ﷺ.
- اتِّباعُ الأَئمَّة المضلِّين من أَهل الأَهواءِ والبدع.
- اتِّباعُ الهوىٰ، والشهواتِ والشُّبُهات.
- الاقتداءُ بأَصحابِ الجحيمِ؛ من أَهل الكُفرِ، والشِّرك، والمعاصي.
- عدمُ إظهارِ البراءةِ والعداء؛ لأَعداء الإسلام.
- عدمُ الشعورِ بالمسؤولية تُجاهَ الأُمَّةِ الإسلاميَّة والمسلمين.
- طاعةُ النَّفس الأَمَّارَةِ بالسُّوءِ، وعدمُ مجاهدتها.

● مجالسُ اللَّهو، وقُرَنَاءُ السُّوء.

● الغفلةُ، والإعراض، والتناسي؛ عن ذكر الله تعالىٰ.

● فعلُ المعاصي والآثام، وارتكابُ الذُّنوبِ، والاستهانةُ بها.

● الركونُ إلىٰ الدُّنيا الزَّائلةِ الفانية، وفتنتها، وزينتها، وملهياتِها، ومغرياتِها، والانهماكُ في طلبها، والجري خلف مَلَذَّاتِها؛ من الأَموال والأَولاد، وحبِّ الشَّهوات.

● الإعراضُ عن الدَّار الآخرةِ، وعدم السَّعي في طلبها، والعملِ لها.

● التَّقصيرُ في الطَّاعات والقُرُبات، والتَّكاسل عنها، وعدمُ استغلالِ الأَوقات في الأَعمال الصَّالحة.

● اتِّباع خُطوات الشَّيطان؛ لأَنَّ الشَّيطان - نعوذ بالله منه - عدوٌّ لدودٌ للمؤمنين، يتربَّص بهم الدوائرَ، وهمُّه الأَكبرُ وغايتُهُ الأَسْمَىٰ هي؛ إفسادُ عقائِدِ المؤمنين، وزعزعةُ الإيمان في قلوبهم وتخريبُها، أَو إضعافُها.

شعب الإيمان

قد تبيَّن لنا مما مضىٰ؛ أَنَّ حقيقةَ الإيمانِ عند أَهل السُّنَّة والجماعة: اعتقادٌ، وقولٌ، وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعات؛ لأَنَّ الطَّاعاتِ كلَّها من الإيمان، وينقصُ بالمعاصي والمنكراتِ.

والإيمانُ: مركَّبٌ من شُعبٍ وأَجزاءٍ ومراتبَ ودرجاتٍ؛ تتفاوتُ وتتفاضل؛ بعضُها أَفضل وأَعلىٰ من بعض، وأَجر بعضها أَعظم من بعض.

وأَهلُ الإيمان: متفاوتونَ ومتفاضلونَ فيه علىٰ حسب عِلْمِهم وعَمَلِهم، وبما قام لديهم من علمٍ، ويقينٍ، وصدقٍ، وإخلاصٍ، وحبٍّ، وخضوعٍ لله تعالىٰ، وبما يقومونَ به من الأَعمالِ الصَّالحة؛ من البرِّ والتَّقوىٰ، وامتثالِ أَوامر الله تعالىٰ واجتنابِ نواهيه.

فمَن أَتىٰ منهم بأَكثر عدد من شُعب الإيمان؛ كان أَفضلَ من المُقِلِّ عند الله تعالىٰ، ومَن أَتىٰ بأَعلىٰ الشُّعَب؛ كان أَفضلَ من الذي أَتىٰ بأَدنىٰ الشُّعب، والله يرفع مَن يشاء درجات.

فأفضلُهم وأعلاهم درجةً عند الله تعالىٰ؛ هم أُولو العزم من الرُسُل - صلوات الله عليهم - وأَدناهم المخلصون من أهلِ التوحيد وبين ذلك مراتبُ ودرجاتٌ؛ لا يُحيط علمًا بها إلاَّ الله تعالىٰ، وبحسب ذلك يتسابقون في دخول جنَّة الخُلد، وعلىٰ حسبه تُرفع درجاتهم، وبقدره تكون مقاعدهم عند الله تعالىٰ، والله يختص برحمته مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وعلىٰ كلِّ شيءٍ قدير.

وقد ذكر الله تعالىٰ في كتابه؛ آياتٍ كثيرةً فيها من شُعَب الإيمان الاعتقادية والقولية والفعلية الظاهرة والباطنة، وشهدَ تعالىٰ لمن أَتىٰ بهذه الشُّعب بالصِّدق والتَّقوىٰ، وسمَّاهم المؤمنين المتَّقين الصَّادقين؛ ثمَّ بشَّرهم بالفلاح والفوز والنَّجاة والجنَّة، قال تعالىٰ:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧ .

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ – ١١ .

هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾(٣).

وقال النبيُّ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَو بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(٤).

---

(١) سورة المعارج، الآيات: ١٩ – ٣٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(٣) سورة الكهف، الآيات: ١٠٧ – ١٠٨.

(٤) رواه مسلم في: «كتاب الإيمان» باب: (بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان). ورواه البخاري في: «كتاب الإيمان» باب: (أمور الإيمان) بلفظ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ».

آياتُ وأَحاديثُ شُعبِ الإيمان في الكتاب والسُّنَّة كثيرةٌ جدًا؛ يصعبُ حصرها والإحاطة بها - وخصوصًا في هذا الكتاب - فإنَّ جميع ما ثبت عن النَّبِيِّ ﷺ من الأَوامر والنواهي، وما جاءت به الشريعة المطهرة؛ تُعَدُّ من شُعب الإيمان، من أَعلاها: لا إله إلاَّ الله، إلىٰ أَدناها: إماطة الأَذىٰ عن الطريق - كما حدَّدها النَّبِيُّ ﷺ - وجميع هذه الشُّعب من الإيمان، سواءٌ كانت من الأَعمال القولية أَو العملية؛ الظاهرة أَو الباطنة.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني، رحمه الله تعالىٰ:

(إنَّ هذه الشُّعب تتفرع عن: أَعمال القلب، وأَعمال اللِّسان، وأَعمال البدن)[1].

وقال الإمام ابن القيِّم، رحمه الله تعالىٰ:

(ولَمَّا كان الإيمان أَصلاً له شُعبٌ متعددة، وكلّ شُعبة منها تُسمىٰ إيمانًا؛ فالصَّلاة من الإيمان، وكذلك الزَّكاة والحج والصِّيام، والأَعمالُ الباطنة؛ كالحياء، والتوكل، والخشية من الله، والإنابة إليه؛ حتىٰ تنتهيَ هذِهِ الشُّعبُ إلىٰ إماطة الأَذىٰ عن

(١) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» ج١، ص ٧٣.

الطريق، فإنَّهُ شعبةٌ من شُعبِ الإيمانِ، وهذِهِ الشُّعَبُ؛ منها ما يزولُ الإيمانُ بزوالها كشعبةُ الشَّهادةِ، ومنها ما لا يزولُ بزوالها كتركِ إماطةِ الأَذىٰ عن الطريقِ، وبينهما شُعبٌ متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، منها ما يلحق بشُعبة الشهادة، ويكون إليها أقربَ، ومنها ما يلحق بشُعبة إماطة الأَذىٰ، ويكون إليها أَقربَ)[١].

وقد صَنَّفَ العلماء - رحمهم الله تعالىٰ - في «شُعب الإيمان» مصنفات عديدةً وعظيمةً، واجتهدوا في ذكر جميع هذه الشُّعب وتحديدها، والإحاطة بها؛ بأدلتها من الكتاب والسُّنَّة.

(١) انظر: «الصلاة وحكم تركها» فصل: (في الحكم بين الفريقين).

مراتب الإيمان

علمنا – مِمَّا سبقَ – أَنَّ الإيمانَ عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة :

اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأَهلهُ متفاوتون فيه علىٰ حسب عِلْمِهم وعَمَلِهم.

والإيمان : مركَّبٌ من شُعب وأَجزاء، وهو درجاتٌ ومراتب؛ له حدٌّ أَعلىٰ الذي يبلغ بصاحبه درجة الصدِّيقين، وحدٌّ أَدنىٰ الذي مَن أَخلَّ به ذهب إيمانه.

● والإيمانُ يزيدُ بالطَّاعاتِ، والأَعمالِ الصَّالحةِ، إلىٰ ما شاء اللهُ تعالىٰ أَن يزيدَ؛ حتىٰ يُوصلَ صاحبَه درجةَ أَولياء الله الصَّالحين، والصِّدِّيقين، والشُّهداء، ويرفعه إلىٰ عليين في جنَّات النعيم، وهذه المرتبة تُسمَّىٰ «حقيقة الإيمان».

● والإيمانُ ينقص بالمعاصي؛ لكن يبقىٰ مع صاحبه أَصل الإيمانِ الذي يخرج به من النَّار فلا يُخلد فيها، ويُسَمَّىٰ مسلمًا ولا يُسمَّىٰ مؤمنًا بإطلاق؛ بل لا بُدَّ من التقييد؛ فيقال : مؤمن

ناقص الإيمان، أَو مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، كما أَنَّه لا يُنفىٰ عنه الإيمان بإطلاق؛ فيقال: ليس بمؤمن حقًا، أَو ليس بصادق الإيمان، وهذا أَقلُّ مراتب الإيمان وأَدناها.

وهذه المرتبة تُسمَّىٰ: الإسلامُ، أَو أَصل الإيمان، وتنعقد هذه المرتبة بثلاثة أُمورٍ: الأَوَّلِ: النُّطقُ بالشَّهادتين.

الثاني: قولُ القلب، وهو العلمُ والتَّصديقُ بمعناهما، وأَنَّ الرَّسُول ﷺ صادقٌ في كلِّ ما أَخبر وأَمرَ به عن الله تعالىٰ.

الثالثِ: عملُ القلبِ، وهو قبولُ التوحيدِ والبراءةُ من ضدِّه، ومحبَّةُ الله تعالىٰ ورسُوله ﷺ ودينه، والعزم علىٰ الانقياد لهما.

ومَن لم يأْتِ بهذه الأُمور الثلاثة من العباد مجتمعة؛ لم ينعقد له أَصلُ الإيمان، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١).

فإذا جاء العَبدُ بأَصل الإيمانِ؛ فهو مكلَّف بعدها بتكميل إيمانه؛ بامتثال الطَّاعات، واجتناب المحرَّماتِ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥ .

وذلك لأَنَّ الله – تبارك وتعالىٰ – قال في صحة إسلام العبد :

﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(١) .

● وكذلك : أَنَّ الإيمانَ – عند أَهل السُّنَّة والجماعة – ينقص ثمَّ ينقص ؛ حتىٰ يكون أَمرُ صاحبِه علىٰ خطرٍ عظيم ؛ بل رُبَّما يذهبُ إيمان المسلم كلِّيًا ، بقدر مخالفته ، وبحسب إصراره علىٰ المعاصي التي تقودُه إلىٰ ما يناقض إيمانه ، وفي النهاية لا يبقىٰ معه من الإيمان شيءٌ ينفعه عند الله – سبحانه وتعالىٰ – يوم الحساب .

إذن فللإيمان حَدٌّ أَدنىٰ مَن أَخلَّ به ذهب إيمانُهُ ، ولن ينجوَ صاحبه من الخلودِ في النَّار ، والعياذ بالله .

● فالإيمان – عند أَهل السُّنَّة والجماعة – مراتبُ ودرجاتٌ ومنازل ، والمؤمنونَ فيه علىٰ طبقاتٍ متفاوتون في مراتب إيمانهم ؛ فمنهم مَن معه أَصلُ الإيمان ، ومنهم مَن عملَ بحقائقه واستكمل الإيمانَ ، وبلغ درجاتِ الكمالِ الواجبِ ، أَو المستحبِّ ؛ فهؤلاءِ معهم « حقيقة الإيمان » .

فمراتب الإيمان – عند أَهل السُّنَّة والجماعة – هي :

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١ .

المرتبةُ الأُولىٰ: «أَصلُ الإيمان»:

ويسمَّىٰ أيضًا «الإيمان المجمل» أَو «مطلق الإيمان».

وهذه المرتبة من الإيمان غيرُ قابلةٍ للنُّقصان؛ لأَنَّها حدُّ الإسلام، والفاصلُ بين الإيمان والكُفر.

وهذا النوع واجبٌ علىٰ كلِّ مَن دخلَ دائرةَ الإيمانِ والإسلامِ، وشرطٌ في صحَّته، وبه تَثْبُتُ الأَحكامُ الشَّرعيَّةُ؛ لأَنَّ اسمَ الإيمان وحكمهُ يشملُ كلَّ مَن دخل فيه، وإن لم يستكمله، ولكن معه الحدُّ الأَدنىٰ منه، وهو ما يصحُّ به إِسلامه.

ومرتكبُ الكبائر داخلٌ في هذا المعنىٰ، والمنفي عنه ليس اسمَ الإيمان والدخول فيه، وإنَّما المنفي هو حقيقته وكماله الواجب؛ فهو لا يُسلب عنه مطلَق الإيمان - أَي أَصله - ولا يُعطىٰ الإيمانَ المطلقَ التَّامَّ.

وهذا الإيمانُ يتحقَّق بالتَّصديق والانقياد المجمل، وتوحيد الله تعالىٰ في ذاته وصفاته وأَفعاله، واستحقاقه - سبحانه - وحده للعبادة، واتِّباع أَوامره ونواهيه، واتِّباع رسوله ﷺ.

وهذه المرتبة لا يشترط فيها وجودُ العلمِ التَّامِّ بالإيمان.

فإذا عَمِلَ العبدُ بهذا كلِّه؛ فقد حقَّقَ أَصلَ الإيمان الذي ينجو به من الكُفر، وأمَّا في الآخرة فينجو به من الخُلود في النَّار، ومصيره يكون إلىٰ الجنَّة؛ إن مات علىٰ هذا، ولم ينقضه بقول أَو عمل أو اعتقاد، وإن قصَّر في بعض الواجبات، أَو اقترف بعض المحرَّمات، ولكنَّ منهم مَن يُدخلُها ابتداءً برحمة الله تعالىٰ ومغفرته، أَو بعد شفاعة أَو سبب آخر، ومنهم من يدخلها بعد أَن يُعذَّب في النَّار - والعياذُ بالله - والله أعلم.

وصاحبُ هذه المرتبة يدخل في دائرة الإسلام، أَو الإيمان المقيَّد، وكذلك يدخل فيها مَن أَسلم من أَهل الطَّاعة ممَّن لم تدخل حقائقُ الإيمان في قلوبهم، ويدخل فيها - أَيضًا - أَهلُ الكبائر عمومًا، ويسمَّىٰ صاحبه: مؤمنًا ناقص الإيمان، أَو فاسقًا، أَو عاصيًا.. إلخ.

وهؤلاء وإن كانوا في عِداد المسلمين؛ لكنهم علىٰ خطرٍ عظيم، إن لم يتوبوا من ظلمهم ومعاصيهم ويكملوا إيمانهم كما هو مطلوب شرعًا؛ لأنَّهم معرَّضون لتسلط الشياطين - الإنس والجن - عليهم بسبب ظلمهم؛ فتجرهم بالشهوات والشبهات إلىٰ الكُفر أَو النِّفاق، وكذلك معرَّضون للعقوبات في الدُّنيا والآخرة.

المرتبةُ الثانية «الإيمانُ الواجب»:

ويسمَّىٰ - أيضًا - «الإيمانَ المفصَّلَ»، أو «الإيمانَ المطلق»، أو «حقيقةَ الإيمان». وهذه المرتبة تكون بعد مرتبة «أَصل الإيمان» أي:

هم الذين جاءوا بكمال الإيمان الواجب؛ ممن يؤدُّون الواجبات، ويجتنبون الكبائرَ والمنكراتِ، ويلتزمون بكلِّ تفصيلات الشريعة؛ تصديقًا وعملاً، ظاهرًا وباطنًا؛ حسب استطاعتهم، وبقدر ما يزيدُ من عِلمِهم وعَملهم يزداد إيمانُهم، ويعبدون الله تعالىٰ علىٰ بصيرة وعلم، وسلمت قلوبهم من الشِّرك والريب، وأَمراض الشبُهات والشهوات.

كما سَلِمت أعمالُهم من الإصرار علىٰ المعاصي؛ فهم ملازمون طاعةَ الله واستغفارَه، وإذا ارتكبوا بعضَ الصَّغائر؛ تُكفَّر عنهم بأَدائهم للفرائض واجتنابهم للكبائر، ولكنَّ المتورِّع عن الصغائر؛ أَكملُ إيمانًا ممن يقع فيها.

وهم في الدُّنيا: من أَهل ولاية الله وعنايته وتسديده ورحمته، ولا يمنع ذلك من أَن تصيبَهم بعضُ المصائبِ والمكروهات؛ تمحيصًا للذنوب، وتحقيقًا للصبر والإيمان، وزيادةً في الحسنات، ورفعة في الدرجات، وتكفيرًا للسيئات.

وفي الآخرة: يتولاهم الله تعالى برحمته؛ فيؤمّنهم من الفزع الأكبر، ويدخلهم الجنّة ابتداءً؛ لأنّ الله تعالى حرّم عليهم النّار، ولا يمنع ذلك أن ينال بعضهم بعض المكروه عند الموت، أو في القبر، أو في الحشر؛ تكفيرًا لما قد أصاب في الدّنيا من المعاصي.

وأصحابُ هذه المرتبةِ؛ هم أهلُ السّلامةِ والأمنِ والفلاح والنّجاة في الدّنيا والآخرة، قال الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(٢).

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ – ٣٣ .

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤ .

المرتبةُ الثالثة «الإيمانُ الكامل»:

ويسمَّىٰ أيضًا: «الإيمانَ المستحب» وهذه المرتبة تكون بعد مرتبة: «الإيمان الواجب» وسمِّيت: الإيمان الكامل؛ لأنَّه كَمُلَ بالمستحبات والنوافل. وهي «مرتبة الإحسان» وهذه المرتبة هي درجة المقرَّبين المحسنين، والمخلصين المتَّقين الأبرار، والسابقين، وعباد الله، وعبادِ الرَّحمن، والمسارعين في الخيرات؛ من الأَنبياء، والصدِّيقين، والشهداء، وأَولياء الله الصَّالحين.

فهم المقرَّبونَ الذين يتقربونَ إلىٰ الله بفعل الخيرات، والاجتهادِ في الطَّاعات والقُرُبات من الواجبات والمستحبَّات والمندوبات وملازمتِها والمسارعةِ فيها واجتنابِ المكروهات والمشتبهات.

وهم المحسنون؛ الذين أَكملوا مراتب الإسلام والإيمان، وارتفعوا إلىٰ مراتب الإحسان؛ فيعبدون الله كأَنَّهم يرونه؛ فإن لم يكونوا يرونه، فإنَّهم يستشعرون أَنَّ الله - عزَّ وجلَّ - يراهم.

وهم عباد الله وعباد الرَّحمن؛ الذين جاءوا بالعبوديَّة الحقَّة، فتعلَّقت قلوبهم بالله تعالىٰ، بكامل الخضوعِ والإنابة، واطمئنَّت قلوبهم بطاعة الله، وخضعت جوارحهم لاتِّباع شرعه سبحانه.

وهم أَهل الإخلاص لله تعالىٰ؛ الذين حقَّقوا كلمة التوحيد

بشقَّيه: « شهادةِ أن لا إلهَ إلاَّ الله »: بالتوحيد الخالص. و« شهادةِ أنَّ محمَّدًا رسُولُ الله »: بالتَّمسُّك بشريعته ﷺ.

وأَصحابُ هذه المرتبة: هم الفائزونَ بالمراتبِ العليَّة، والمقامات السامية؛ برفقة النبييِّن، والصِّديقين، والشهداء، والصَّالحين، وحسُن أُولئكَ رفيقًا.

* وهم في الدُّنيا عبادُ الله المخلصونَ؛ اعتقادًا وقولاً وعملاً.

* وفي الدار الآخرة هم أَهلُ مقعد صدقٍ في الفردوس الأَعلىٰ؛ عند مليك مقتدر.

● فهم أَولياءُ الله تعالىٰ وأَحبَّاؤُهُ، وأَهل عنايته الفائقة، وخاصته، وصفوته من خلقه، قال الله - تبارك وتعالىٰ - عنهم:

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[١].

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٦٢ - ٦٣.

■ هذه هي مراتبُ الإيمان عند أهلِ السُّنَّة والجماعةِ، وهذه المراتب مستنبَطَة باستقراء من الكتاب والسُّنَّة من قِبَل أئمتهم.

ويتفاوتُ أصحابُ هذه المراتب عند الله تعالىٰ في الدُّنيا والآخرة؛ بقدر تفاوتهم في العلم والعمل والإخلاص، ويقابلُ ذلك تفاوتهم في الدَّرجات العُلىٰ من جنَّة الخُلد والنَّعيم الدائم.

وقد قال الله تعالىٰ في كتابه العزيز عن هذه المراتب:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[1].

● السابقُ بالخيرات:

هو المُحسن الذي حقَّق أَصل العبودية لله تعالىٰ، وعَبَدَ الله كأنَّه يراه، وهو الفاعلُ للواجبات، والمستحبَّات، والمندوبات، التَّاركُ للمحرَّمات، والمعاصي، والذنوب، والمكروهات، والمجتنبُ للمحظورات، والمشتبهات، والشهوات.

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٣٢ ـ ٣٣.

وهو من أَولياء الله تعالىٰ وأَحبَّائه، وخاصته، وصفوته من خلقه. وهو صاحبُ: «الإيمان الكامل المستحب».

● المقتصد:

المكتفي بفعلِ الواجبات، واجتناب المحظورات، دون فعل المسنونات والمندوبات والمستحبات، ودون ترك بعض المنهيَّات والمكروهات. وهو صاحبُ: «الإيمان الواجب».

● الظالم لنفسه:

هو التَّاركُ لبعض الواجبات والفروض، أَو المرتكبُ لبعض المحرَّمات والمعاصي والذنوب؛ التي لا تصل إلىٰ الكُفر الأَكبر، أَو الشِّرك الأَكبر. وهو صاحبُ: «الإيمان المجمل».

قال حَبْر الأُمَّة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

(السَّابقُ بالخيراتِ يَدخلُ الجنَّةَ بغير حساب، والمُقتصدُ يَدخلُ الجنَّةَ برحمة الله، والظَّالمُ لنفسه وأَصحابُ الأَعراف يَدخلونَ الجنَّةَ بشفاعة محمَّد ﷺ)[1].

وقالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» في تفسيره الآية: ﴿٣٢﴾ من سورة فاطر.

(يقول تعالىٰ: ثمَّ جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدِّق لما بين يديه من الكُتب الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأُمَّة، ثمَّ قسمهم إلىٰ ثلاثة أنواع، فقال تعالىٰ: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ وهو المفرِّطُ في فعل بعض الواجبات؛ المرتكب لبعض المحرمات.

﴿ وَمِنْهُم مُقْتَصِد ﴾ وهو المؤدي للواجبات؛ التارك للمحرَّماتِ، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وهو الفاعلُ للواجباتِ والمستحبات؛ التاركُ للمحرَّماتِ والمكروهات، وبعض المباحات. قال عليُّ بن أَبي طلحة، عن ابن عبَّاس في قوله تعالىٰ:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾

قال: هم أُمَّة محمَّد ﷺ، ورَّثهم الله تعالىٰ كلَّ كتاب أَنزله؛ فظالِمُهم يُغْفَر له، ومقتصدُهم يُحاسَبَ حسابًا يسيرًا، وسابقُهم يدخل الجنَّة بغير حساب).

قول أئمة أهل السنة والجماعة
في
مسمى الإيمان

قول أئمة أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان

اتَّفقَ أَئمَّة أَهل السُنَّة والجماعة - سلفًا وخلفًا - علىٰ أنَّ الإِيمانَ: اعتقادٌ وقولٌ وعمل؛ قولُ القلبِ واللِّسانِ، وعملُ القلبِ والجوارح. والإِيمانُ: يزيد بالطَّاعة وكثرة العبادة والمداومة عليها. وينقص بالمعصية، والغفلةِ، والتقصيرِ في فعل الطَّاعة.

وقد حكىٰ الإجماعَ علىٰ هذا القول أَكثرُ أَهل العلم؛ بل أَصبح هذا القولُ من مميِّزات أَهل السُنَّة والجماعة، والفارقة بينهم وبين أَهل البدع والأَهواء.

وأَقوالهم في هذا الباب كثيرةٌ جدًّا؛ لا يمكن حصرها في هذا الكتاب، ولكن نذكر بعضًا منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر.

ونبدأُ من الصَّحابة - رضي الله عنهم - ثمَّ التابعين - رحمهم الله - ثمَّ أَتباع التابعين، ثمَّ من يليهم من بعدهم من الأَعلام؛ مرتبًا لهم حسب وفيَّاتهم عدا الصَّحابة والتَّابعين؛ فنبدأُ بأَعلامهم:

١- قالَ أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطّاب - رضي الله عنه - لأَصحابه: (هَلمُّوا نَزْدَدْ إيمانًا) فيذكرون الله تعالىٰ (١).

٢- قالَ أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب، رضي الله عنه:

(الصَبْرُ مِن الإيمان؛ بِمَنْزِلَة الرأْسِ مِن الجسَد، مَنْ لا صَبْرَ لَهُ؛ لا إيمانَ لَه) (٢).

٣- قالَ عبدُ الله بن مسعود، رضي الله عنه:

(اللَّهُمَّ زِدْنا إيمانًا، ويَقينًا، وفِقْهًا) (٣).

٤- قال عبد الله بن رواحة، رضي الله عنه:

(تعالَوا فلنُؤْمنْ ساعةً؛ تعالَوا فلنذكرِ الله، ولتزدادوا إيمانًا؛ تعالوا نذكُرُهُ بطاعته؛ لعلَّه يَذْكُرنا بمغفرته) (٤).

٥- قالَ معاذُ بنُ جبل، رضي الله عنه:

(اجلسْ بنا نُؤْمنْ ساعةً - يعني نذكر الله عزَّ وجلَّ -) (٥).

---

(١) «السُنّة» الخلال: ٥ / ٣٩ (١١٢٢). و «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُنّة» اللالكائي: ٥ / ١٠١٢ (١٧٠٠). و «الإبانة» ابن بطة: ٢ / ٨٤٦ (١١٣٤).
(٢) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُنّة» اللالكائي: ٤ / ٩٢٤ (١٥٦٩).
(٣) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُنّة» اللالكائي: ٥ / ١٠١٣ (١٧٠٤).
(٤) «الإيمان» ابن أبي شيبة: ص٤٣ (١١٦).
(٥) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُنّة» اللالكائي: ٥ / ١٠١٤ (١٧٠٦).

٦- قَال أَبو هريرةَ، رضي الله عنه: (الإيمانُ نَزِةٌ؛ فمَن زَنىٰ فارقه الإيمانُ، فإن لامَ نفسَهُ وراجَعَ؛ راجَعَهُ الإيمان)(١).

٧- وكانَ عبدُ الله بن عباس وأَبو هريرة وأَبو الدرداء - رضي الله عنهم أَجمعين - يقولون: (الإيمانُ يَزيدُ ويَنْقُص)(٢).

٨- قال عمَّار بن ياسر، رضي الله عنه: (ثَلاثٌ مَن جمَعهُنَّ فقد جمعَ الإيمانَ: الإنصافُ من نَفسكَ، وبَذْلُ السَّلامِ للعالمِ، والإنفاقُ منَ الإقْتار)(٣).

٩- قال جندبُ بنُ عبدِ الله البجلي، رضي الله عنه: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ونَحْنُ فِتْيانٌ حَزَاوِرةٌ؛ فَتَعلَّمْنا الإيمانَ قَبْلَ أَن نَتَعلَّمَ القُرآنَ؛ ثُمَّ تَعلَّمْنَا القُرآنَ؛ فَازْدَدْنا بهِ إيمانًا)(٤)(*).

١٠- قالَ عميرُ بنُ حبيبٍ الخطميّ رضي الله عنه: (الإيمانُ يزيدُ وينقص. قيل: ومازيادتُهُ ونقصانُهُ؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه)(٥).

---

(١) «كتاب الشريعة» الآجري: ٢ / ٥٩٦ (٢٢٨) تحقيق د. عبد الله الدميجي؛ دار الوطن.
(٢) «شرح أُصول الاعتقاد» اللالكائي: ٥ / ١٠١٦ (١٧٠٩، ١٧١١، ١٧١٢).
(٣) «البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «إفشاء السلام من الإسلام».
(٤) «ابن ماجة» المقدمة / كتاب السُّنة، باب «الإيمان» برقم (٦١)، وصححه الألباني.
(٥) «الإبانة» ابن بطة: ٢ / ٨٤٥ (١١٣١).
(*) حَزَاوِرة: (هو جَمْع حَزْوَر وحَزَوَّر، وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع).

١١- قال عقبةُ بنُ عامرٍ الجهنيُّ، رضي الله عنه: (إنَّ الرَّجُلَ ليَتفضلُ بالإيمانِ؛ كمَا يتفضلُ ثوب المرأة)[١].

١٢- قال التَّابعيُّ علقمة بن قيس النخعي - رحمه الله - لأَصحابه: (امشُوا بنا؛ نَزْدَدْ إيمانًا - يعني تفقهًا -)[٢].

١٣- قال التَّابعيُّ الجليلُ عروةُ بنُ الزبيرِ، رحمه الله:
(مَا نَقصَتْ أَمانةُ عبدٍ قط؛ إلاَّ نَقصَ إيمانُه)[٣].

١٤- قال الخليفةُ العادلُ عمرُ بنُ عبدِ العزيز رحمه الله: (فإنَّ للإيمان فرائضَ وشرائعَ وحدودًا وسُننًا؛ فمَن استكملَها استكملَ الإيمان، ومَن لم يَستكملها لم يستكمل الإيمان)[٤].

١٥ - قال التَّابعيُّ الإمام المفسِّر مجاهدُ بنُ جبرٍ، رحمه الله:
(الإيمانُ: قولٌ وعمل؛ يزيدُ وينقص)[٥].

١٦- قال الإمامُ الأَوزاعيُّ، رحمه الله (ت ١٥٧هـ):
(لا يَستقيمُ الإيمانُ إلاَّ بالقول، ولا يَستقيم الإيمانُ والقولُ

---

(١) «الإبانة» ابن بطة: ٢ / ٧١٦ (٩٦٩).
(٢) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنة» اللالكائي: ٥ / ١٠٢٣ (١٧٣٠).
(٣) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنة» اللالكائي: ٥ / ١٠٢٣ (١٧٢٩).
(٤) «صحيح البخاري»: في (كتاب الإيمان) باب: «بني الإسلام علىٰ خمس».
(٥) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنة» اللالكائي: ٥ / ١٠٢٣ (١٧٢٨).

إلاَّ بالعمل، ولا يَستقيمُ الإيمانُ والقولُ والعملُ إلاَّ بنيَّةٍ موافقةٍ للسُّنَّة، فكان مَن مضىٰ ممَّن سلف لا يُفرِّقون بين الإيمان والعملِ والعملُ من الإيمانِ، والإيمانُ من العملِ، وإنَّما الإيمانُ اسمٌ يَجْمَعُ كما يجمع هذه الأَديانَ اسمُها؛ وتصديقه العمل؛ فمَن آمن بلسانِهِ وعَرفَ بقلبهِ وصَدَّق ذلك بعمله؛ فذلك العُروة الوُثقىٰ التي لا انفصامَ لها، ومَن قال بلسانه ولم يَعرف بقلبه ولم يُصدِّقه بعمله؛ لم يُقبَلْ منه، وكان في الآخرةِ من الخاسِرين)[1].

١٧– قال الإمامُ سفيان الثَّوري، رحمه الله (ت ١٦١ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ؛ يَزيدُ ويَنْقُص: يزيدُ بالطَّاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلاَّ بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلاَّ بالنيَّة، ولا يجوز القول والعمل والنيَّة إلاَّ بموافقة السُّنَّة)[2].

١٨– قال الإمامُ مالكٌ، رحمه الله تعالىٰ (ت ١٧٩هـ):

(الإيمانُ: قولٌ وعمل)[3]

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُنة» اللالكائي: ٥ / ٩٥٥ – ٩٥٦ (١٥٩١).
(٢) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُنة» اللالكائي: ١ / ١٧٠ (٣١٤).
(٣) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُنة» اللالكائي: ٥ / ١٠٣٠ (١٧٤٢).

١٩- قال الوليدُ بن مسلم القُرَشي، رحمه الله: سمعتُ الأَوزاعي، ومالكَ بن أنس، وسعيدَ بنَ عبد العزيز؛ ينكرون قول مَن يقولُ: إنَّ الإيمانَ قولٌ بلا عمل، ويقولون:

(لا إيمانَ إلاَّ بعمل، ولا عملَ إلاَّ بإيمان)[١].

وقال أيضًا: سمعتُهم يقولون: (ليس للإيمانِ مُنتهىً هو في زيادةٍ أَبدًا، ويُنكرون علىٰ مَن يقول: إنَّه مُستكملُ الإيمان، وإنَّ إيمانَهُ كإيمانِ جبريل عليه السَّلام)[٢].

٢٠- قال الإمامُ خُالد بنُ الحارثِ، رحمه الله (ت ١٧٩ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ وعملٌ؛ يَزِيدُ ويَنْقُص)[٣].

٢١- قال الإمامُ وكيعُ بن الجرَّاح، رحمه الله (ت ١٧٩ هـ):

(أَهْلُ السُّنَّة يقولونَ: الإيمانُ قولٌ وعمل)[٤].

٢٢- قال الإمامُ عبد الله بن المبارك رحمه الله (ت ١٨١ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ وعمل، والإيمانُ يَتفاضَل)[٥].

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنة» اللالكائي: ٤ / ٩٣٠ (١٥٨٦).
(٢) «السُّنة» عبد الله بن أحمد: ١ / ٣٢٢ (٦٨٧).
(٣) «السُّنة» عبد الله بن الإمام أحمد: ١/ ٣٣٦ (٦٩٩).
(٤) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنة» اللالكائي: ٤ / ٩٣٠ (١٥٨٥).
(٥) «السُّنة» عبد الله بن الإمام أحمد: ٥/ ٣١٥ (٦٢٧).

٢٣- قال الإمام الفُضيل بن عياض رحمه الله (ت ١٨٦ هـ) :

(الإيمانُ عِندنا داخِلهُ وخارِجُهُ ؛ الإقرار باللِّسان ، والقبول بالقلب والعملُ به)(١) . وقال : (لاَ يَصْلح قولٌ إلاَّ بالعمل)(٢) .

٢٤- قال الإمامُ يحيىٰ بنُ سعيدٍ القطَّان رحمه الله (ت ١٩٨) :

(كُلُّ مَن أَدْرَكْتُ من الأَئمَّة كانوا يقولونَ : الإيمانُ قولٌ وعملٌ ؛ يزيدُ وينقص ، ويُكفِّرون الجهميَّة ، ويُقدِّمون أبا بكرٍ وعُمَرَ في الفضيلةِ والخلافة)(٣) .

٢٥- قال الإمامُ سفيان بن عُيينة ، رحمه الله (ت ١٩٨ هـ) :

(الإيمانُ قولٌ وعمل ؛ أخذناهُ ممَّن قبلنا قولٌ وعملٌ ؛ وأنَّه لا يكون قولٌ إلاَّ بعَمَل)(٤) .

٢٦- وعن الإمامِ الحافظ الحُميدي - رحمه الله - قال : سمعتُ ابن عُيَيْنَة يقول : (الإيمانُ قولٌ وعملٌ ؛ يزيدُ وينقص) فقال له أَخوه إِبراهيمُ بن عُيينة : يا أَبا محمَّد لا تقولَنَّ : يزيدُ وينقص

---

(١) « شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنة » اللالكائي : ٥ / ١٠٣٣ (١٧٤٧) .
(٢) « السُّنة » عبد الله بن الإمام أحمد : ١ / ٣٣٧ (٧٠٢) .
(٣) « سير أعلام النبلاء » الذهبي : ٩ / ١٧٩ .
(٤) « كتاب الشريعة » الآجري : ٢ / ٦٠٤ (٢٣٩) .

فغضِبَ وقال: (اسكُتْ يا صَبيُّ! بلىٰ حتىٰ لا يَبقىٰ منهُ شَيءٌ)(١).

٢٧- قال الإمامُ الحسن البصري، رحمه الله (ت ١١٠ هـ):

(لَيْسَ الإيمانُ بالتَحلِّي وَلا بالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ في القُلوبِ وَصَدَّقَتْهُ الأَعْمالُ)(٢).

٢٨- قال الإمامُ النضر بن شميل رحمه الله (ت ١١٠ هـ):

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ والإيمان يتفاضل)(٣).

٢٩- قال الإمامُ الشافعيُّ، رحمه الله تعالىٰ (ت ٢٠٤هـ):

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، وينقصُ بالمعصية؛ ثُمَّ تلا قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَزْدادَ الَّذينَ آمنوا إيمانًا ﴾)(٤).

وقال أَيضًا: (كان الإجماعُ من الصَّحابَةِ والتَّابعينَ من بَعدِهِم ممَّن أَدركناهُم: أَنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ ونيَّة، ولا يجزئُ واحدٌ من الثَّلاثةِ إلاَّ بالآخر)(٥).

---

(١) «كتاب الشريعة» الآجري: ٢ / ٦٠٧ (٢٤٤).
(٢) «الإبانة» ابن بطة: ٢ / ٨٠٥ (١٠٩٤).
(٣) «السُّنة» عبد الله بن الإمام أحمد: ١ / ٣١٦ (٦٣٢).
(٤) «حلية الأولياء» الأصفهاني: ٩ / ١١٥ . والآية: ٣١ من سورة المدثر.
(٥) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنة» اللالكائي: ٥ / ٩٥٦ (١٥٩٣).

٣٠- قال الإمامُ عبد الرزاق الصَّنعاني رحمه الله (ت ٢١١ هـ) :
(سَمِعتُ مُعمرًا وسُفيانَ الثَّوري ومالكَ بن أَنس وابن جريج وسُفيان بن عُيينة يقولون : الإيمانُ قولٌ وعملٌ يزيدُ وينقص)[١] .

٣١- قال الإمامُ عبد الله الحُميدي رحمه الله (ت ٢١٩ هـ) :
(الإيمانُ قولٌ وعملٌ ؛ يزيدُ وينقص ، لا يَنفعُ قولٌ إلاَّ بعملٍ ، ولا عملٌ ولا قولٌ إلاَّ بنيَّة ، ولا قولٌ وعملٌ ونيَّة إلاَّ بسُنَّة)[٢] .

٣٢- قال الإمامُ الحافظ أَبو عُبيد القاسمُ بن سلاَّم ، رحمه الله (ت ٢٢٤ هـ) : (اعلم - رحمك الله - أَنَّ أَهلَ العلمِ والعنايةِ بالدِّينِ افترقُوا في هذا الأمرِ فرقتين : فقالت إحداهما : الإيمانُ بالإخلاصِ للهِ ، وشَهادة الأَلسنة والعَمل . وقالت الفرقةُ الأُخرىٰ : بل الإيمان بالقُلوبِ والأَلسنةِ ؛ فأَمَّا الأَعمالُ ، فإنَّما هي تقوىٰ وبِرّ ، وليست من الإيمان . وإنَّا نَظرنا في اختلافِ الطائفتين ؛ فوجَدنا الكتابَ والسُّنَّةَ يُصدِّقان الطَّائفةَ التي جعلت الإيمانَ بالنيَّة والقَولِ والعملِ جَميعًا ، ويَنفيان ما قالت الأُخرىٰ)[٣] .

---

(١) « كتاب الشريعة » الآجري : ٢ / ٦٠٧ (٢٤٤) .
(٢) « أُصول السُّنة » الحُميدي : مطبوعة في آخر « مسنده » ج٢ ، ص ٥٤٦ .
(٣) « كتاب الإيمان » أبو عبيد القاسم بن سلام : ص٩ . تحقيق الألباني .

وقال أيضًا: (فلم يجعل الله للإيمان حقيقةً؛ إلاَّ بالعمل على هذه الشروط، والذي يزعم أنَّه بالقول خاصة يجعله مؤمنًا حقًّا، وإن لم يكن هناك عملٌ؛ فهو معانِد لكتاب الله والسُّنَّة)[١].

٣٣- قال الإمامُ علي بن المدينيُّ، رحمه الله (ت ٢٣٤ هـ): (الإيمانُ: قولٌ وعملٌ على سُنَّةٍ وإصابةٍ ونيَّة، والإيمانُ: يزيدُ وينقص)[٢].

٣٤- قال الإمامُ أبو ثور الكلبي البغدادي، رحمه الله (ت ٢٤٠ هـ): (الإيمانُ تَصْديقٌ بالقلب، وقولٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح)[٣].

٣٥- قال الإمامُ أَحمد بن حنبل، رحمه الله (ت ٢٤١هـ): (أَجمعَ تسعون رَجُلاً من التَّابعين، وأَئـمَّة المسلمين، وأَئمَّة السَّلف، وفُقهاءِ الأَمصار؛ على أَنَّ السُّنَّة التي تُوفِّيَ عنها رسولُ الله ﷺ ... - فذكر أُمورًا منها -: الإيمانُ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ بالطاعة، ويَنقصُ بالمعصية)[٤].

---

(١) « كتاب الإيمان » أبو عبيد القاسم بن سلّام؛ ص (١٨) المكتب الإسلامي.
(٢) « شرح أصول اعتقاد أهل السنة » اللالكائي: ١ / ١٨٧ (٣١٨).
(٣) « شرح أصول اعتقاد أهل السنة » اللالكائي: ٤ / ٩٣٢ (١٥٩٠).
(٤) « طبقات الحنابلة » ابن رجب الحنبلي: ١ / ١٣٠ .

وقال أيضًا رحمه الله: (الإيمانُ: يزيدُ وينقص؛ فزيادته بالعمل، ونقصانه بتركِ العمل)(١).

٣٦- قال الإمامُ البخاريُّ، رحمه الله (ت ٢٥٦ هـ):

(كتبتُ عن ألفِ نفرٍ من العُلماءِ وزيادة، ولم أكتب إلاَّ عمَّن قال: الإيمانُ: قولٌ وعمل، ولم أكتب عن مَن قال: الإيمان قول)(٢). وقال: (لقيتُ أكثرَ من ألف رجلٍ من العلماءِ بالأمصار فما رأيتُ أحدًا يَختلفُ في أنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص)(٣).

٣٧- قال الإمامُ إسحُاق بنُ راهويه رحمه الله (ت ٢٨٣ هـ):

(الإيمانُ يزيدُ وينقصُ؛ حتىٰ لا يَبقىٰ منه شيءٌ)(٤).

٣٨- قال الإمامُ أبو زرعةَ الرازيُّ، رحمه الله (ت ٢٦٤ هـ):

(الإيمانُ عندنا قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، ومَن قال غيرَ ذلك؛ فهو مُبتدعٌ مُرجئ)(٥).

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنة» اللالكائي: ٥ / ١٠٥٦ (١٧٩٨).
(٢) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُنة» اللالكائي: ٥ / ٩٥٩ (١٥٩٧).
(٣) «فتح الباري» ابن حجر العسقلاني: ج١، ص ٤٧ .
(٤) «السنة» الخلال: ٤ / ٦٨٠ (١٠١١).
(٥) «طبقات الحنابلة» ابن رجب الحنبلي: ١ / ٢٠٣ .

٣٩- قال الإمامُ أبو حاتم الرازيُّ، رحمه الله (ت ٢٧٧ هـ):

(مذهبُنا واختيارُنا وما نعتقدُه ونَدينُ اللهَ به ونَسألُهُ السَّلامةَ في الدِّينِ والدُّنيا: أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص)(١).

٤٠- قال الإمامُ أبو يوسفَ يعقوبُ بنُ يوسفَ البسويُّ، رحمه الله (ت٢٧٧ هـ) عن العلماء الذين حفظ عنهم الدِّين:

(الإيمانُ عند أَهل السُّنَّة: الإخلاصُ لله بالقلوبِ والأَلسنةِ والجوارحِ وهو قولٌ وعملٌ؛ يزيدُ وينقص، علىٰ ذلك وَجَدنا كُلَّ مَن أَدركنا من عَصرِنا بمكَّةَ والمدينة والشَّام والبَصرة والكوفة).

ثمَّ ذكر منهم ثلاثين ونيفًا ممَّن أَخذَ عنهم العلم وقال: كلُّهم يقولون: (الإيمان قولٌ وعملٌ ويطعنون علىٰ المرجئة وينكرونَ قولَهم)(٢).

٤١- قال الإمامُ محمَّد بن نصر المروزيُّ، رحمه الله (ت ٢٩٤هـ): («الإيمانُ: أَن تُؤمنَ بالله»: أَن تُوحِّدَه، وتُصدِّق به بالقلبِ واللِّسان، وتَخضعَ لهُ ولأَمره؛ بإعطاءِ العَزمِ للأَداء لما أَمر، مُجانبًا للاستنكافِ والاستكبار، والمُعاندة، فإذا فعلتَ ذلك لزمتَ محابَّهُ، واجتنبتَ مساخطَهُ)(٣).

(١) «طبقات الحنابلة» ابن رجب الحنبلي: ١ / ٢٨٦.
(٢) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنة» اللالكائي: ٥ / ٩٥٩ (١٥٩٧).
(٣) «تعظيم قدر الصَّلاة» المروزي: ج١، ص٣٩٤.

٤٢- قال شيخُ المفسِّرين أبو جعفر محمَّد بن جرير الطَّبري، رحمه الله (ت ٣١٠هـ): (أمَّا القولُ في الإيمان هل هو قولٌ وعمل، وهل يزيدُ وينقص، أم لا زيادةَ فيه ولا نُقصان؟ فإنَّ الصوابَ فيه قولُ مَن قالَ: هو قولٌ وعملٌ يزيدُ وينقص، وبه جاء الخبرُ عن جماعةٍ من أَصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ وعليه مضىٰ أهلُ الدِّينِ والفضل)(١). وقال في تفسير قول الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ نقلاً عن الحسن وقتادة: (لا يقبل اللهُ قولاً إلاَّ بعمل من قال وأَحسن العمل قَبِلَ اللهُ منه)(٢).

٤٣- قال الإمامُ أَبو الحسن الأَشعريُّ - رحمه الله - عن ما أَجمع عليه أَئمَّة السَّلف من الأُصول (ت ٣٢٤ هـ): (وأَجْمَعُوا علىٰ أنَّ الإيمانَ: يَزيدُ بالطَّاعَةِ، ويَنقصُ بالمعصية)(٣).

٤٤- قال الإمامُ البَرْبَهَارِي، رحمه الله (ت ٣٢٩ هـ):

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ، وعملٌ وقولٌ، ونِيَّةٌ وإصابة؛ يزيدُ وينقصُ، يزيدُ ما شاءَ اللهُ، ويَنقصُ حتىٰ لا يَبقَىٰ منهُ شيءٌ)(٤).

---

(١) «صريح السُّنَّة» الإمام ابن جرير الطبري: ص٢٥. تحقيق بدر بن يوسف المعتوق.
(٢) «تفسير الطبري» ج١٢، ص١٢١ والآية ﴿١٠﴾ من سورة فاطر.
(٣) «رسالة إلىٰ أهل الثغر» الأشعري: ص ٢٧٢. تحقيق عبد الله شاكر الجندي.
(٣) «شرح السُّنَّة» الإمام الحسن بن علي البربهاري: ص ٦٧. تحقيق خالد الردادي.

٤٥- قال الإمامُ أبو بكر الآجُريُّ رحمه الله (ت ٣٦٠ هـ):

(اعلموا - رحمنا الله وإيَّاكم - أنَّ الذي عليه علماء المسلمين: أنَّ الإيمانَ واجبٌ علىٰ جميع الخلق، وهو تصديقٌ بالقلب وإقرارٌ باللِّسان وعملٌ بالجوارح. ثمَّ اعلموا: أنَّه لا تجزئ المعرفةُ بالقلب والتَّصديق؛ إلاَّ أن يكون معه الإيمان باللِّسان نُطقًا، ولا تجزئ معرفةٌ بالقلب، ونُطْقٌ باللِّسان؛ حتىٰ يكون عمل بالجوارح؛ فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث: كان مؤمنًا. دلَّ علىٰ ذلك القرآنُ والسُّنَّة وقولُ علماء المسلمين)[١].

وقال أيضًا: (فالأعمالُ - رحمَكُم اللهُ - بالجوارح تصديقٌ عن الإيمان بالقلب واللِّسان، فمَن لم يُصدِّق الإيمانَ بعمل جوارحه مثل الطَّهارة والصَّلاة والزَّكاة والصِّيام والحجِّ والجهاد، وأشباه هذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكُن مؤمنًا، ولم تنفعه المعرفةُ والقول، وكان تَركُهُ للعمل تكذيبًا لإيمانه، وكان العملُ بما ذكرناه تَصديقًا منه لإيمانه وبالله التوفيق)[٢].

وقال أيضًا، رحمه الله:

---

(١) «كتاب الشريعة» الإمام الآجري: ج٢، ص٦١١ . دار الوطن.
(٢) «كتاب الشريعة» الإمام الآجري: ج٢، ص٦١٤ . دار الوطن.

(اعلموا - رحمنا الله وإيَّاكم - يا أَهلَ القرآن، ويا أَهلَ العلمِ بالسننِ والآثار، ويا معشر مَن فَقَّهَهُم اللهُ تعالىٰ في الدِّين بعِلْمِ الحلال والحَرام: أَنَّكُم إن تَدبَّرتُم القرآن - كما أمركُم الله تعالىٰ - علمتم أنَّ الله تعالىٰ أوجبَ علىٰ المؤمنينَ بعد إيمانهم به وبرسوله العَملَ، وأنَّه تعالىٰ لم يُثنِ علىٰ المؤمنين بأنَّه قد رضيَ عنهم وأنَّهم قد رضوا عنه، وأثابهم علىٰ ذلك الدُّخولَ إلىٰ الجنَّة والنجاةَ من النَّار؛ إلاَّ بالإيمان وحده؛ حتىٰ ضَمَّ إليه العملَ الصَّالح. قَرَنَ مع الإيمانِ العمل الصَّالح، لم يُدخلهُم الجنَّةَ بالإيمان وحده حتىٰ ضمَّ إليه العملَ الصَّالح الذي وفَّقهُم له، فصار الإيمانُ لا يتمُّ لأحدٍ حتىٰ يكون مُصدِّقًا بقلبه، وناطِقًا بلسانه، وعاملاً بجوارحه، لا يخفىٰ علىٰ مَن تدبَّر القرآنَ وتصفَّحهُ، وَجَدَهُ كما ذكرت. واعلموا - رحمنا الله وإيَّاكم - أنِّي قد تَصفَّحتُ القرآنَ فوجدتُ ما ذكرتُه في شبيه من خمسين مَوضعًا من كتاب الله تعالىٰ، أنَّ الله تبارك وتعالىٰ لم يُدخل المؤمنين الجنَّة بالإيمان وحده؛ بل أَدخلهم الجنَّة برحمته إيَّاهم، وبما وفَّقهم له من الإيمان والعمل الصَّالح)[1].

---

(١) «كتاب الشريعة» الإمام الآجري: ج٢، ص٦١٨ . دار الوطن.

٤٦- قال الإمامُ ابن بطَّة العكبَري، رحمه الله (ت ٣٨٧ هـ) في كتابه العظيم «الإبانة الكُبرىٰ»: (باب: بيان الإيمان وفرضه، وأنَّه تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح والحركات؛ لا يكون العبد مؤمنًا؛ إلاَّ بهذه الثلاث:

اعلموا - رحمكم الله - أنَّ الله - جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه -فرضَ علىٰ القلب المعرفةَ به، والتَّصديقَ له، ولرسُلِه، وكُتُبِه، وبكلِّ ما جاءت به السُّنَّة، وعلىٰ الأَلسن النطقَ بذلك، والإقرارَ به قولاً، وعلىٰ الأَبدان والجوارح؛ العملَ بكلِّ ما أَمرَ به، وفرضَهُ من الأَعمال؛ لا تجزي واحدةٌ من هذه إلاَّ بصاحبتها، ولا يكون العبدُ مؤمنًا؛ إلاَّ جمعها كلَّها حتىٰ يكون مؤمنًا بقلبه، مُقِرًا بلسانه، عاملاً مجتهدًا بجوارحه، ثمَّ لا يكون - أَيضًا - مع ذلكَ مؤمنًا؛ حتىٰ يكون موافقًا للسُّنَّة في كلِّ ما يقوله ويعمله؛ متبعًا للكتاب والعلم في جميع أَقواله وأعماله، وبكلِّ ما شرحته لكم نزل به القرآنُ، ومضت به السُّنَّة، وأَجمع عليه علماءُ الأُمَّة)(١).

وقال أَيضًا: (واعلموا رحمكم الله؛ أَنَّ الله - عزَّ وجلَّ-

(١) «الإبانة» ابن بطة: ٢ج، ص ٧٦٠.

لم يُثْنِ علىٰ المؤمنين، ولم يصِفْ ما أعدَّ لهم من النَّعيم المقُيم والنَّجاة من العذاب الأَليم، ولم يُخبرهم برضاه عنهم؛ إلاَّ بالعمل الصَّالح والسَّعي الرَّابح، وقَرَنَ القولَ بالعمل، والنيَّةَ بالإخلاص؛ حتىٰ صار اسم الإيمان مُشتملاً علىٰ المعاني الثلاثة، لا ينفصلُ بعضُها من بعض، ولا ينفعُ بعضُها دون بعض؛ حتىٰ صار الإيمانُ قولاً باللِّسان، وعملاً بالجوارح، ومعرفةً بالقلب خلافًا لقول المرجئة الضَّالة الذين زاغتْ قلوبهم وتلاعبتِ الشَّياطين بعقولهم، وذكر الله - عزَّ وجلَّ - ذلك كلَّه في كتابه والرَّسُول ﷺ في سُنَّتِه)(١).

وقال أيضًا: (فكلُّ مَن تركَ شيئًا من الفرائض التي فرضها الله - عزَّ وجلَّ - في كتابه، أَو أَكَّدها رسُولُ الله ﷺ في سُنَّتِهِ - علىٰ سبيل الجحود لها والتكذيب بها - فهو كافرٌ بيِّنُ الكُفرِ لا يَشُكُ في ذلك عاقلٌ يؤمنُ بالله واليوم الآخر، ومَن أَقَرَّ بذلكَ، وقالهُ بلسانه؛ ثمَّ تركه تهوُّنًا ومجونًا، أَو معتقدًا لرأي المرجئة ومتَّبعًا لمذهبهم؛ فهو تاركُ الإيمان، ليس في قلبه منه قليلٌ ولا كثيرٌ، وهو في جملة المنافقين الذين نافقوا رسُول الله ﷺ

(١) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٧٧٩ (١٠٧٢).

فنزل القرآن بوصفهم، وما أعدّ لهم، وإنَّهم في الدَّرْكِ الأَسفلِ من النَّار؛ نستجير بالله من مذاهب المرجئة الضَّالَّة)[١].

وقال كذلك رحمه الله:

(فقد تلوتُ عليكم من كتاب الله - عزَّ وجلَّ - ما يدلُّ العقلاءَ من المؤمنين؛ أنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ، وأنَّ مَن صدَّقَ بالقولِ وتركَ العمل؛ كان مكذِّبًا وخارجًا من الإيمان، وأنَّ الله لا يقبل قولاً إلاَّ بعمل، ولا عملاً إلاَّ بقول)[٢].

٤٧- قال الإمامُ أَبو بكر الإسماعيليُّ - رحمه الله - عن اعتقاد أئمَّة الحديث والدِّين؛ إنَّهم كانوا يقولون (ت ٣٧١ هـ):

(إنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ ومعرفةٌ؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ؛ ومَن كثُرت طاعتُه أَزْيَدُ إيمانًا ممَّن هو دونه في الطَّاعة)[٣].

٤٨- قالَ الإمامُ ابن أَبي زيدٍ القَيروانيُّ رحمه الله (ت ٣٨٦):

(أنَّ الإيمانَ: قولٌ باللِّسانِ، وإخلاصٌ بالقلبِ، وعملٌ

(١) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٧٦٤.
(٢) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص٧٩٥ (١٠٧٤).
(٣) «اعتقاد أئمة الحديث» الإمام أبو بكر الإسماعيلي: ص ٦٣.

بالجوارح؛ يَزيدُ بزيادة الأَعمالِ، ويَنقُصُ بنَقْصِها؛ فيكون فيها النَّقصُ وبها الزِّيادَة، ولاَ يَكْمُلُ قولٌ إلاَّ بعمل، ولا قولٌ ولا عملٌ إلاَّ بنيَّة، ولا قولٌ ولا عملٌ ولا نيَّة إلاَّ بموافقة السُّنَّة، وأَنَّه لا يكفرُ أَحدٌ بذنب من أَهل القبلةِ)(١).

٤٩- قال الإمامُ الحافظ ابن مندة رحمه الله (ت ٣٩٥ هـ):

(الإيمانُ: قولٌ باللِّسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالأَركان؛ يزيدُ ويَنقص)(٢).

٥٠- قال الإمام ابن أَبي زَمَنْين رحمه الله (ت٣٩٩ هـ):

(ومن قولِ أَهلِ السُّنَّة: إنَّ الإيمان إخلاصٌ لله بالقلوب، وشهادةٌ بالأَلسنة، وعملٌ بالجوارح؛ علىٰ نيَّةٍ حسنةٍ، وإصابةِ السُّنَّة... والإيمان بالله هو باللِّسان والقلب، ويُصَدِّقُ ذلك العملُ؛ فالقول والعمل قرينان لا يقوم أَحدهما إلاَّ بصاحبه... وأَنَّ الإيمانَ درجاتٌ ومنازلُ؛ يتمُّ ويزيدُ ويَنقص، ولو لا ذلك لاستوىٰ النَّاس فيه، ولم يكن للسَّابق فضلٌ علىٰ المسبوق)(٣).

---

(١) «قطف الجني الدَّاني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني» عبد المحسن العباد.
(٢) «كتاب الإيمان» الإمام ابن مندة: ج٢، ص ٣٤١.
(٣) «أُصول السُّنَّة» الإمام ابن أَبي زمنين: ص٢٠٧ - ٢١١ «مكتبة الغرباء الأَثرية».

٥١- قال الإمامُ إسماعيل الصابوني رحمه الله (ت ٤٤٩ هـ):

(ومن مَـذهبِ أهلِ الحـديث : أنَّ الإيمـانَ قـولٌ وعـملٌ ومعرفة ؛ يزيد بالطاعةِ، وينقص بالمعصية)(١) .

٥٢- قال ابنُ بطَّالٍ القرطبيُّ المالكيُّ رحمه الله (٤٤٩ هـ):

(مذهبُ جماعة أَهلِ السُّنَّةِ من سَلَفِ الأُمَّةِ وخلفها : أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعمل ؛ يزيدُ وينقص، والحُجَّةُ علىٰ زيادته ونُقصانهِ ما أَورَدَه البخاري من كتاب الله من ذكر الزيادة في الإيمان، وبيانُ ذلك أَنَّه مَن لم تَحصل له بذلك الزيادةُ ؛ فإِيمانه أَنقص من إيمانِ مَن حصلت له)(٢) .

٥٣- قال الحافظ الحليميُّ البخاريُّ رحمه الله (ت ٤٠٣ هـ):

(ومِمَّا يدلُّ علىٰ أَنَّ الإيمانَ يزيدُ ويَنقص ؛ قول النَّبيِّ ﷺ للنِّساء : « إِنَّكُنَّ نَاقِصَاتُ عَقْل وَدِين »)(٣) .

٥٤- قال الإمام أَبو يعلىٰ الفرَّاء (ت ٤٥٨ هـ) - رحمه الله - عن تعريف الإيمان الشرعي : (وأَمَّا حدُّه في الشرعِ فهو جميع

---

(١) « عقيدة السلف » الإمام الصابوني : ص ٢٦٤ . « دار العاصمة » .
(٢) « شرح صحيح البخاري » ابن بطال : ج١ ، ص٥٦ « مكتبة الرشد » .
(٣) « المنهاج في شعب الإيمان » الحافظ الحليمي البخاري : ج١ ، ص٤٠ - ٦٣ .

الطاعاتِ الباطنةِ والظاهرة ؛ فالباطنةُ أعمالُ القلب ، وهو تصديقُ القلب ، والظاهرةُ هي أفعالُ البدنِ الواجبات والمندوبات)(١) .

٥٥- قال الحافظُ البيهقيُّ ، رحمه الله (ت ٤٥٨ هـ) :

(إنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقص ، وإذا قبلَ الزيادة قَبلَ النقص)(٢) .

٥٦- قال الحافظُ ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله (ت ٤٦٠ هـ) :

(أَجْمَعَ أَهْلُ الفقهِ وَالحديثِ عَلَىٰ أَنَّ الإيمانَ قَولٌ وَعَمَل ، وَلا عَمَلَ إلاَّ بنيَّة ، والإيمانُ عِنْدَهُمْ يَزيدُ بالطاعَةِ ، ويَنْقُصُ بالمعصيَةِ ، وَالطَاعَاتُ كُلُّها عِنْدَهُمْ إيمان)(٣) .

٥٧- قال الإمامُ الحافظ البغويُّ رحمه الله (ت ٥١٦ هـ) :

(اتَّفقت الصَّحابةُ والتَّابعون ، فمَن بَعدهم من علماءِ السُّنَّةِ ؛ علىٰ أنَّ الأَعمالَ من الإيمانِ . . . وقالوا : إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ وعقيدةٌ ؛ يزيدُ بالطاعة ، ويَنقُصُ بالمعصية علىٰ ما نطقَ به القرآنُ في الزيادة ، وجاء في الحديث بالنقصان في وصفِ النِّساء)(٤) .

---

(١) « مسائل الإيمان » الإمام القاضي أبو يعلىٰ : ص (١٥٢) « دار العاصمة » .
(٢) « الاعتقاد » الإمام البيهقي : ص ١١٥ باب : « القول في الإيمان » .
(٣) « التمهيد » الإمام ابن عبد البر : ج٩ ، ص ٢٣٨ .
(٤) « شرح السُنّة » الإمام البغوي : ج١ ، ص٣٨ - ٤٠ .

٥٨- قال الإمامُ قِوَام السُّنَّة الأَصفهانيُّ رحمه الله (ت ٥٣٥ هـ):

(الإيمانُ في الشَّرعِ عبارةٌ عن جميع الطَّاعاتِ الظَّاهرةِ والباطنة)[1]. وقال أيضًا : (قال علماءُ السَّلف : ... الإيمانُ قولٌ وعملٌ ونيَّة ؛ يَزيدُ ويَنقص ؛ زيادَتُه البِرُّ والتقوىٰ، ونُقصانُه الفسوقُ والفجور)[2].

٥٩- قالَ الشَّيخُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ رحمه الله (ت ٥٦١ هـ):

(ونَعتقدُ أنَّ الإيمانَ : قولٌ باللِّسان ، ومَعرفةٌ بالجنان، وعَملٌ بالأَركان)[3].

٦٠- قال الحافظُ عبد الغني المقدسيُّ رحمه الله (ت ٦٠٠ هـ):

(الإيمانُ : قولٌ وعملٌ ونيَّة ؛ يزيدُ بالطَّاعةِ، ويَنقصُ بالمعصية)[4].

٦١- قال الإمامُ ابنُ قدامةَ المقدسيُّ رحمه الله (ت ٦٢٠ هـ):

(الإيمانُ : قولٌ باللِّسان ، وعملٌ بالأَركان ، وعقدٌ بالجنان؛ يزيدُ بالطاعة ، وينقصُ بالعصيان)[5].

---

(١) « الحجة في بيان المحجة » : ١ / ٤٠٣ .   (٢) « الحجة » ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٤ .

(٣) « الغنية لطالبي طريق الحق » الجيلاني : ١ / ٦٢ . « دار الألباب » دمشق.

(٤) « الاقتصاد في الاعتقاد » الإمام المقدسي : ١٨٢ . تحقيق د . أَحمد الغامدي.

(٥) « لمعة الاعتقاد » : ص ٣٣ . تحقيق عبد القادر الأَرناؤوط « مكتبة دار البيان ».

٦٢- قال الإمامُ النووي، رحمه الله (ت ٦٧٦ هـ):

(قال عبد الرزاق: سمعتُ مَن أدركتُ من شيوخنا وأَصحابنا؛ سفيان الثوري، ومالك بن أَنس، وعبيد بن عمر، والأَوزاعي، ومَعْمر بن راشد، وابن جريج، وسفيان بن عيينة، يقولون: الإيمانُ قولٌ وعمل؛ يَزيد ويَنقص. وهذا قولُ ابن مسعود وحذيفة والنخعي، والحسن البصري، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وعبد الله بن المبارك؛ فالمعنىٰ الذي يَستحقُّ به العبدُ المدحَ والولايةَ من المؤمنين؛ هو إتيانه بهذه الأُمور الثلاثة: التَّصديقُ بالقلب، والإقرارُ باللِّسان، والعملُ بالجوارح)[1].

وقال أَيضًا رحمه الله: (إنَّ الطاعات تُسمَّىٰ إيمانًا ودينًا، وإذا ثبتَ هذا علمنا أنَّ مَن كثُرت عبادتُه؛ زادَ إيمانُه ودينُه، ومَن نَقصت عبادتُه؛ نقصَ دينه)[2].

٦٣- قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله (ت ٧٢٨ هـ):

(ومن أُصولِ أَهلِ السُّنَّة: أَنَّ الدِّينَ والإيمانَ؛ قولٌ وعمل: قولُ القلبِ واللِّسان، وعملُ القلبِ واللِّسان والجوارح، وأَنَّ

(١) «شرح صحيح مسلم» النووي: ج١، ص١٤٦.

(٢) «شرح صحيح مسلم» النووي: ج٢، ص٦٨.

الإيمانَ؛ يزيدُ بالطاعة، وينقصُ بالمعصية)[١] .

وقال أيضًا رحمه الله: (ولهذا كان القولُ: إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ - عند أهل السُّنَّة - من شعائر السُّنَّة، وحكىٰ غيرُ واحدٍ الإجماعَ علىٰ ذلك)[٢] .

٦٤- قال الإمامُ الحافظ ابنُ القيِّمِ رحمه الله (ت ٧٥١ هـ):

(حقيقةُ الإيمانِ مُركَّبَةٌ: من قولٍ وعملٍ. والقولُ قسمان: قولُ القلب، وهو الاعتقادُ، وقولُ اللِّسان، وهو التكلُّمُ بكلمةِ الإسلام. والعملُ قسمان: عملُ القلب، وهو نيَّته وإخلاصُه، وعملُ الجوارح؛ فإذا زالت هذه الأَربعة، زال الإيمانُ بكماله، وإذا زال تصديقُ القلب، لم تنفَع بقيَّة الأَجزاء)[٣] .

٦٥- قال الإمامُ الحافظ المفسِّر ابن كثير رحمه الله (ت ٧٤٤ هـ) في تفسير الآية ﴿ ٢ ﴾ من سورة الأَنفال:

(وقد استدلَّ البخاري وغيرُه من الأَئمَّة بهذه الآية وأَشباهِها؛ علىٰ زيادةِ الإيمانِ وتفاضُلِه في القلوب، كما هو

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٣، ص١٥١ .
(٢) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٧، ص٣٠٨ .
(٣) «كتاب الصلاة وحكم تاركها» لابن القيم: ص (٥٤) .

مذهبُ جمهورِ الأئمة؛ بل قد حكىٰ الإجماعَ علىٰ ذلك غيرُ واحدٍ من الأئمةِ؛ كالشافعي، وأحمدُ بن حنبل، وأبي عبيد، كما بيَّنا ذلك مستقصًىٰ في أوَّلِ شَرحِ البخاري، ولله الحمدُ والمنَّة).

وقال - أيضًا - في تفسير الآية ﴿ ١٢٤ ﴾ من سورة التوبة:

(وهذه الآيةُ: من أكبر الدلائل علىٰ أنَّ الإيمانَ؛ يزيدُ وينقص، كما هو مذهبُ أكثر السَّلف والخلف من أئمَّة العلماء؛ بل قد حكىٰ غيرُ واحدٍ الإجماعَ علىٰ ذلك، وقد بسط الكلام علىٰ هذه المسألة في أوَّلِ شرحِ البخاري، رحمه الله).

٦٦- قال العلاَّمةُ ابن أَبي العزِّ الحنفيُّ رحمه الله (ت ٧٩٢ هـ):

(اختلفَ النَّاسُ فيما يقع عليه اسمُ الإيمانِ اختلافًا كثيرًا: فذهبَ مالكٌ، والشَّافعيُّ، وأَحمدُ، والأَوزاعي، وإسحاقُ بنُ راهويه، وسائرُ أهلِ الحديث، وأَهلُ المدينة - رحمهم الله - وأَهل الظاهر، وجماعةٌ من المتكلِّمين: إلىٰ أنَّه تَصديقٌ بالجنان، وإقرارٌ باللِّسان وعملٌ بالأَركان)[1].

٦٧- قال الإمامُ الحافظ أَبو الفرج ابن رجب الحنبليُّ الدِّمشقي رحمه الله (ت ٧٩٥ هـ) في شرح حديث النَّبيِّ ﷺ:

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: ج٢، ص٤٥٩؛ تحقيق شعيب الأَرناؤوط.

« اللَّهُمَّ زيِّنا بزينَةِ الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مُهْتَدين »[١].

قال: (أمَّا زينةُ الإيمانِ؛ فالإيمانُ قولٌ وعملٌ ونيَّة؛ فزينةُ الإيمانِ تَشملُ زينةَ القلبِ بتحقيقِ الإيمانِ له، وزينة اللِّسان بأقوال الإيمان، وزينةَ الجوارح بأَعمال الإيمان)[٢].

وقال في شَرحه لقول البخاري: (الإيمانُ: قولٌ وعمل):

(وأَكثرُ العلماءِ قالوا: هو قولٌ وعمل. وهذا كلُّه إجماعٌ من السَّلفِ وعلماءِ أَهلِ الحديث. وقد حكىٰ الشَّافعيُّ إجماعَ الصَّحابة والتَّابعين عليه، وحكىٰ أَبو ثور الإجماعَ عليه أَيضًا، وقال الأَوزاعيُّ: كانَ مَن مضىٰ مِمَّن سلفَ لا يفرِّقون بينَ الإيمان والعمل. وحكاه غيرُ واحدٍ من سلف العلماء عن أَهل السُّنَّة والجماعة. ومِمَّن حكىٰ ذلك عن أَهل السُّنَّة والجماعة: الفضيلُ ابنُ عياض، ووكيعُ بنُ الجراحِ. ومِمَّن رُوِيَ عنه أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ: الحسنُ، وسعيدُ بنُ جبير، وعمرُ بنُ عبد العزيز، وعطاءٌ، وطاوسٌ، ومجاهدٌ، والشَّعبيُّ، والنخعيُّ، والزُّهريُّ، وهو قولُ الثوريِّ، والأَوزاعيِّ، وابنِ المباركِ، ومالكٍ،

---

(١) رواه النسائي» في (كتاب السهو) باب: « الدعاء بعد الذكر» وصحَّحه الألباني.

(٢) « شرح حديث عمار بن ياسر» ص ٤٨ تحقيق إبراهيم العرف. « مكتبة السوادي».

والشافعيّ، وأحمدَ، وإسحاقَ، وأبي عبيدٍ، وأبي ثورٍ، وغيرهم...).

وقال - أيضًا - رحمه الله:

(زيادةُ الإيمانِ ونُقصانُهُ: قولُ جمهورِ العلماء)[1].

٦٨- قال العلأمةُ السَّفارينيُّ، رحمه الله (ت ١١٨٨ هـ):

(الذي اعتمدَه أئمَّةُ الأثَرِ وعلماءُ السَّلف: أَنَّ الإيمانَ: تصديقٌ بالجنان، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالأَركان؛ يزيدُ بالطاعة، وينقصُ بالعصيان، وإلأَّ فمجرَّدُ تصديق القلبِ من غير إقرارٍ باللِّسان لا يحصلُ به الإيمان؛ فإنَّ إبليسَ لا يُسَمَّىٰ مؤمنًا بالله، وإن كان مُصدِّقًا بوجوده ورُبوبيَّته)[2].

٦٩- قال العلأمة أَبو الفضل شهاب الدين الآلوسيُّ رحمه الله (ت ١٢٧٠ هـ) في تفسير الآية ﴿٢﴾ من سورة الأَنفال:

(وهذا أَحدُ أَدلَّةِ مَن ذهبَ إلىٰ أَنَّ الإيمانَ يقبلُ الزيادةَ والنقص، وهو مذهبُ الجمِّ الغفير من الفقهاءِ والمحدِّثين والمتكلِّمين، وبه أَقولُ لكثرةِ الظواهر الدالَّة علىٰ ذلك من

---

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن رجب الحنبلي: ج١، ص ٥ - ٨.

(٢) «شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد» السفاريني: ج٢، ص٢١٨.

الكتاب والسُّنَّة من غير مُعارضٍ لها عقلاً ؛ بل قد احتجَّ عليه بعضُهم بالعقل أيضًا ، وذلك أنَّه لو لم تتفاوت حقيقةُ الإيمان، لكان إيمانُ آحاد الأُمَّة ؛ بل المُنهمكين في الفسق والمعاصي مساويًا لإيمان الأنبياء والملائكة - عليهم الصَّلاة والسَّلام - واللازمُ باطلٌ ؛ فكذا الملزوم)[١] .

٧٠- قال العلأمةُ صديق حسن خان القنوجيُّ البخاريُّ رحمه الله تعالىٰ (ت ١٣٠٧ هـ) :

(إنَّ الإيمانَ الشَّرعيَّ المطلوبَ لا يكون إلاَّ اعتقادًا وقولاً وعملاً : هكذا ذهبَ إليه أكثرُ الأئمَّةِ ؛ بل قد حكاه الشَّافعيُّ، وأحمدُ، وأَبو عبيدٍ، وغيرُ واحدٍ؛ إجماعًا أَنَّ الإيمانَ : قولٌ وعملٌ)[٢] .

٧١- قالَ الشَّيخُ العلأمةُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ ناصرٍ السَّعديُّ، رحمه الله (ت ١٣٧٦ هـ) في تفسير قوله تعالىٰ :

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًىۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾ [مريم] (وفي هذا دليلٌ علىٰ

---

(١) «روح المعاني» الآلوسي: ج٥، ص١٦٥ .
(٢) «بغية الرائد في شرح العقائد» القنوجي: ص٤٤ . الطبعة الهندية .

زيادةِ الإيمانِ ونقصه، كما قاله السَّلفُ الصَّالح، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ لِيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾، ﴿ وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ويدلُّ عليه - أيضًا - الواقع. فإنَّ الإيمانَ: قولُ القلب واللِّسان، وعملُ القلب واللِّسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور أعظمَ تفاوتٍ).

٧٢- قال العلاَّمة حافظ الحكميُّ رحمه الله (ت ١٣٧٧ هـ):

(الإيمان: قولٌ وعمل؛ قولُ القلب واللِّسان، وعملُ القلب واللِّسان والجوارح؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه)[١].

٧٣- قال الشيخُ العلاَّمة المفسِّر الأُصوليُّ محمَّدُ الأَمينُ بنُ محمَّدِ المختارِ الجَكَني الشَّنقيطي، رحمه الله (ت ١٣٩٣ هـ):

(إنَّ الحقَّ الذي لا شكَّ فيه الذي: هو مَذهبُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة أَنَّ الإيمانَ؛ شاملٌ للقول والعمل مع الاعتقاد، وذلك ثابتٌ في أَحاديثَ صحيحةٍ كثيرةٍ)[٢].

(١) «أعلام السُّنَّة المنشورة لإعتقاد الطائفة الناجية المنصورة»: ص (٤٥) تحقيق أحمد الرشد.
(٢) «أضواء البيان» الشنقيطي: ج٧، ص٢٠١.

●● هذا غيضٌ من فيضٍ من قولِ أئمَّةِ أهل السُّنَّة والجماعة المعتبرين؛ سلفًا وخلفًا، وقولهم واحد هو: أنَّ الإيمانَ: اعتقادٌ، وقولٌ، وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعات والقُربات، وينقص بالمعاصي والغفلة، لا قولَ لهم غيره؛ بل أجمعوا علىٰ ذلك قديمًا، ومن نسبَ إليهم خلاف ذلك؛ فقد أخطأ، أو تقوَّلَ عليهم، وجهل مذهبهم، ونسب إليهم ما لم يقولوه البتَّة.

وعلىٰ هذه العقيدةِ الحقَّة توفِّي الرَّسولُ ﷺ وعلىٰ هذا المنهج كان جميع الصَّحابة والتَّابعين ومَن تَبِعَهم بإحسان: من المحدِّثين، والفقهاء وجميعِ أئمَّة الدِّين ولم يخالفهم أحدٌ من السَّلفِ والخلفِ إلاَّ الَّذين مالوا عن الحقِّ في هذا الأمر، وجانَبوا الصوابَ والتَّوفيقَ.

والآثارُ عن أئمَّةِ السَّلفِ في مُسَمَّىٰ الإيمانِ وحقيقتِهِ كثيرةٌ جدًا، لا يمكن حَصرُها هنا، وقد قال بهذا القولِ - أيضًا - خلقٌ كثير من أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة غيرِ الذين ذكرناهم من الأئمَّة.

فمَن أرادَ البسطَ والإحاطة في معرفةِ أقوالهم في هذا الباب؛ فعليه مراجعةُ مصنَّفاتِهم وكُتُبِ أئمَّتهم وخُصوصًا كُتب العقيدةِ المسندةِ وهي كثيرةٌ جدًا وقد ذكرنا بعضها في نهاية هذا الكتاب.

الاستثناء في الإيمان

ومن ميزات أُصول العقيدة عند أَهل السُّنَّة والجماعة، والتي تميزهم عن غيرهم من أَهل الأَهواءِ والبِدع، والفِرَق الضَّالَّة:

■ أَنَّهم يرونَ جوازَ الاستثناءِ في الإِيمانِ في أَحوال - فعلاً وتركًا، استحبابًا لا إِيجابًا - ولكنَّ الاستثناء - عندهم - أَوْلىٰ من عدمه؛ لما في الإطلاق من تزكية للنفس بإِيهامه أَنَّه مستكملٌ للإيمان، ولا يرونَ الاستثناءَ علىٰ وجه الشَّكِّ؛ لأَنَّ الشاكَّ في إِيمانه لم يَعُدْ مؤمنًا وكذلك يكرهون السؤال عن الإِيمان، ويرونه بدعة.

وذهب إِلىٰ هذا القول: جمهورُ أَئمَّتهم من السَّلف والخلف.

وصيغة الاستثناء: قولُ الْمُسْلم عن نفسه إِذا سُئِلَ: (أَمؤمنٌ أنتَ؟) فيقول بإِجابةٍ ليس فيها ما يُوهِمُ الجزمَ، والقطعَ بكمال الإيمان: (أَنا مؤمنٌ إن شاء الله). أَو (آمنتُ بالله). أَو (أَرجو...). أَو نحو ذلك من الصِّيَغ.

■ لأَنَّ العبدَ المسلم الذي يعتقدُ ويقول: إِنَّ الإِيمانَ اعتقادٌ

وقولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقُصُ؛ ينبغي عليه إذا قال: (أَنا مؤمنٌ) أَن يستثني؛ لأَجل تجنب تزكية نفسه بما يوهم استكماله للإيمان؛ لأَنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[1].

واعلم! بأَنَّ مُسلمًا مهما بَلَغَ أَمره من الالْتزامِ ومن فعلِ الطَّاعاتِ والقُربات والواجباتِ، ومن تركِ جميعِ المحرَّماتِ؛ لا يستطيع أَن يَجزمَ بأَنَّ معه كمالَ الإيمانِ؛ لأَنَّه لايستطيع أَن يجزم بأَنَّه أَتىٰ بجميع ما يُطلَب منه من الأَعمالِ، أَو هل قُبِلَت منه هذه الأَعمالُ أَم لا؟ ولعلَّ هناك أُمورًا خَفِيَتْ علىٰ العبد يُحْبَطُ بها عَمَلُه!

وعدم الاستثناء؛ يتضمَّنُ أَنَّ العبد فعَلَ جميع ما أُمِر به من قِبلِ الشارع، أَو زاد علىٰ ذلك من المستحبَّات، وإِن جزم بذلك! فقد زكَّىٰ نفسه، وهذا قولٌ بغير علم.

لأَنَّ الإيمانَ المطلَق؛ شاملٌ للاعتقاداتِ، والأَقوال، والأَعمال الظاهرة والباطنة؛ فالاستثناءُ واردٌ - عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة - علىٰ الإيمانِ المطلق، أَو حقيقةِ الإيمان.

■ وأَمَّا تركُ الاستثناءِ فإِنَّهُ واردٌ - عندَ أَهل السُّنَّة والجماعة - علىٰ مطلقِ الإيمانِ؛ الذي هو حدُّ الإسلام، والفاصلُ بين الكُفر

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

والإيمان، أي أصلُ الإيمان دونَ كماله، والدخول فيه دون تمامه؛ كما يقولُ المسلم: (أَنا حاجٌ، وصائمٌ، أَو مُتَصدِّقٌ . .) لمن شَرَعَ في ذلك. وكما يُطلِقُهُ في قوله: (آمنتُ بالله ورسوله).

وأهلُ السنَّة والجماعة:

يَرونَ الاستثناءَ في الإيمانِ؛ لشدَّةِ خوفهِم من الله - تبارك وتعالىٰ - وإثباتًا لأَقدارِهِ سبحانَه، ونفيًا لتزكيةِ أَنفسهم الضَّعيفة؛ لا شكًا فيما يجبُ عليهم الإيمانُ به، ولكن خوفًا أَن لا يكونوا قد قاموا بحقائقه، ورجاءَ أَن يأْتُوا بواجباته وكمالاته.

ولهذا يمنعونَ الاستثناءَ بشدةٍ؛ إذا كان علىٰ وجهِ الشَّكِّ في الإيمان؛ لأَنَّ الشكَّ في ذلك كُفرٌ؛ بل يقصُدُونَ من ذلك: نفي الشَّكِّ في إِيمانهم من جهةٍ، وعدمَ الجزمِ بكمالِهِ من جهةٍ أُخرىٰ، وذلك لعدم تزكيتهم لأَنفسهم.

ولأَنَّ الإيمانَ النافعَ هو المتقبَّلُ عندَ اللهِ تعالىٰ، إذ أَنَّ مَن قام بالعمل الصَّالح وأَتىٰ به، أَو بجميعِ الواجباتِ؛ لا يدري هل يُقبَلُ منهُ عملُه هذا أَم لا؟ فالاستثناءُ هنا معناهُ عدمُ العلمِ بالعاقبة، وبما يُختَمُ للعبد؛ فلا يدري أَهو من المقبولينَ، أَم من المحرومين.

ولذا فأَهلُ السُّنَّة والجماعة تراهُم: قلِقينَ وخائفينَ في هذا

الشأنِ؛ خشيةَ عدمِ قبولِ أعمالِهم؛ فهمْ يتقلَّبونَ بينَ الخوفِ والرَّجاءِ؛ طامعين في رحمةِ اللهِ تعالىٰ وَجِلينَ من سَخَطِه.

فأهلُ السُّنَّة والجماعة:

لا يجزمون لأنفسِهِمْ بالإيمانِ المطلق؛ الذي يشملُ فعلَ جميعِ الطَّاعاتِ، وتركَ جميعِ المنهيَّاتِ، ولَنْ يستطيعَ أحدٌ من المسلمين - كائنًا مَن كان - أَن يدَّعِيَ لنفسِهِ أنَّه جاء بذلك كلِّه علىٰ التَّمام والكمال، وإن قال فقد شهِدَ لنفسه بأنَّه من الأَبرارِ المتَّقين، وأولياءِ اللهِ الصَّالحينَ! وضَمِنَ لنفسه دخولَ الجنَّةِ ابتداءً، وهذا من التألِّي علىٰ اللهِ تبارك وتعالىٰ - والعياذُ بالله - ولا يقولُها مسلمٌ عاقل.

فهُم: بَعِيدُونَ كلَّ البُعد عن تزكيةِ أَنفسهِم، ولا أَعظمَ للنَّفسِ تزكيةً وراء الشَّهادة لها بالإيمان الشَّامل لكلِّ شُعبِه.

وأَهلُ السُّنَّة والجماعة: من فقهِهِم في الدِّينِ، وحكمتِهِم في التَّعامُلِ مع صفاتِ ربِّهم وتأدُّبهِمْ مع اللهِ - جلَّ وعلا - يُعلِّقُون الأُمورَ كلَّها - حتىٰ المُتيَقَّنَ منها - بمشيئَتِه سبحانه وتعالىٰ.

● وهم يفضِّلونَ الاستثناءَ، ولم يوجُبوه؛ مخافةً واحْتِياطًا، أن لا يكونُوا قد كَمَّلُوا الأَعمالَ، وأَتَوْا بها علىٰ وجْهِها المطلوب؛ ولِمَا في تَرْكِهِ من الإيهامِ بتزكيةِ النَّفسِ، والشَّهادةِ لها بالكمال.

• ويكرهون تركَه، ولم يُحرِّموه؛ وأَجازُوه علىٰ معنىٰ الدُّخول في أَصلِ الإيمان، لا علىٰ كماله.

فهم يجيزونَ الأَمرين؛ لعدمِ ورودِ الدَّليل من الكتاب والسُّنَّة علىٰ التحريمِ، أَو الوجوبِ، والله تعالىٰ أَعلم.

وأَهلُ السنَّة والجماعة:

يكرهُونَ سُؤالَ المُسلم لغيره: (أَمؤمنٌ أَنتَ؟) ويكرهُون الجوابَ أَيضًا، ويرونَ أَنَّ هذا السؤالَ بدعةٌ أَحدَثَهَا أَهلُ البِدَعِ من المرُجئَةِ؛ ليحتجُّوا بها علىٰ قولهم في الإيمان: إِنَّه التَّصديقُ أَو القولُ، وإِنَّ العملَ ليس من مُسمَّىٰ الإيمان؛ خلافًا لعقيدةِ السَّلفِ الصَّالح. وإِذا أَجابوا عن السؤال مع الكراهيَّةِ؛ فيكرهُونَ جوَابَ إِطلاقَ الإيمان إِلاَّ أَن يُقَيَّدَ؛ فيُقرَنُ بما يُفْهَمُ منه أَن قَصْدَهم ليس قصدَ أَهلِ الأَهواءِ والبدعِ: أَنَّ الإيمانَ مجردُ قول! بل يقصدون: نَفْيَ الشَّكِّ في إيمانهم من جهة، وعدَمَ الجزمِ بكمالِه من جهةٍ أُخرىٰ.

والأَدلَّةُ علىٰ جوازِ الاستثناءِ؛ كثيرةٌ في كتاب الله تعالىٰ، وسُنَّة رسُوله ﷺ، وأَصحابه الكرام، والتَّابعين العِظامِ، ومَن تبعهم بإِحسان، وآثارِ السَّلفِ الصَّالحِ، وأَقوالِ الأَئمَّةِ، والعلماء، منها:

قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ...﴾[١].

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ...﴾[٢].

وقولُ النَّبِيِّ ﷺ: «وَاللهِ! إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ للهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِىٰ»[٣].

وكان النَّبِيُّ ﷺ يقول حين يدخل المقبرة: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ»[٤].

● وقال الصَّحابيُّ الفقيهُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، رضي الله عنه: (مَنْ شَهِدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ؛ فَلْيَشْهَدْ أَنَّهُ في الجَنَّةِ)[٥].

وقال رجلٌ عندَ ابن مسعودٍ، رضي الله عنه: (أنا مؤمن!).

فقال ابن مسعود: (أفأنت من أهل الجنَّة؟) فقال: (أرجو).

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.

(٣) «رواه مسلم» في (كتاب الصيام) باب: «صحة صوم مَن طلع عليه الفجر وهو جنب».

(٤) «رواه مسلم» في (كتاب الجنائز) باب: «ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها».

(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة» اللالكائي: ج٥، ص١٠٤٨ (١٧٧٩).

فقال ابن مسعود: (أفلا وكلت الأولىٰ، كما وكلت الأخرىٰ؟)(١).

• وقال إمام أهلِ السُّنَّة أحمدُ بنُ حنبلٍ، رحمه الله: (أذهبُ إلىٰ حديثِ ابنِ مسعودٍ في الاستثناءِ في الإيمان؛ لأنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، والعملُ الفعلُ، فقد جئنَا بالقولِ، ونَخشىٰ أَن نكُونَ قد فرَّطنا في العمل؛ فيعجبني أَن نستثنيَ في الإيمانِ، نقولُ: أَنا مؤمنٌ إن شاءَ الله)(٢).

• وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ رحمه الله تعالىٰ: سمعتُ أَبا عمرو - يعني الأَوزاعيَّ - ومالك بن أَنسٍ، وسعيد بن عبد العزيز؛ لا يُنكِرُونَ أَن يقولَ: أَنا مؤمنٌ، ويَأْذَنُونَ في الاستثناءِ أَن أَقول: (أَنا مؤمنٌ إن شاء الله)(٣).

• وقال الإمامُ يحيىٰ بنُ سعيدٍ القطَّانُ رحمه الله: (مَا أَدركتُ أَحدًا من أَصحابنا ولا بلغنا إلاَّ علىٰ الاستثناء)(٤).

• وعن جَرِيرِ بن عبد الحميد - رحمه الله - قال: سمعتُ

---

(١) «كتاب الإيمان» الإمام أبو عبيد القاسم: ص٢٠ (٩).
(٢) «السُّنَّة» الإمام الخلال: ج٣، ص٦٠٠ (١٠٥٦).
(٣) «السُّنَّة» عبد الله بن الإمام أحمد: ج١، ص ٣٤٧ (٧٤٤).
(٤) «السنة» الخلال: ج٣، ص ٥٩٥ (١٠٥٣).

منصورَ بن المُعتَمِر، والمُغيرةَ بن مقسمٍ والأعمشَ وليثَ بنَ أبي سليم، وعمارةَ بن القَعقاعِ، وابن شُبْرُمَةَ، والعلاءَ بن المُسيِّبِ، وإسماعيلَ بن أَبي خالدٍ، وعطاءَ بن السَّائبِ، وحمزةَ بنَ حَبيبِ الزياتِ ويزيدَ بن أَبي زيادٍ، وسفيانَ الثَّوريّ وابن المُباركِ، ومَن أَدركت:

(يَسْتَثْنُونَ في الإيمانِ، ويَعيبُونَ عَلَىٰ مَنْ لا يَسْتَثْنِي)[1].

● وقال الحافظُ البيهقيُّ، رحمه الله:

(وقد رَوَيْنا هذا - يعني الاستثناءَ - عن جماعةٍ من الصَّحابةِ والتَّابعينَ والسَّلفِ الصَّالحِ رضي الله عنهم أجمعين)[2].

● وسُئلَ الإمامُ أَحمدُ بنُ حنبلٍ - رحمه الله - عن الإيمانِ؟ فقال: (قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّة) قيل له: فإذا قال الرَّجُلُ: مؤمنٌ أنتَ؟ قال: (هَذه بِدْعَة) قيل له: فما يُرَدُّ عليه؟ قال: (يقول: مُؤمِنٌ إنْ شاءَ اللهُ؛ إلاَّ أن يَسْتَثْنيَ في هذا الموضع)[3].

● وقال الإمام إبراهيمُ النَّخَعِيُّ رحمه الله:

(سُؤالُ الرَّجُلِ الرَّجُلَ: أَمؤمنٌ أَنتَ؟ بدعة)[4].

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنة» اللالكائي: ج٥، ص ١٠٥٠ (١٧٨٥).
(٢) «شعب الإيمان» البيهقي: ج١، ص ٢١٢.
(٣) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنة» اللالكائي: ج٥، ص ١٠٥٧ (١٧٩٨).
(٤) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص ٨٨٠ (١٢١٢).

• وقال الإمامُ سفيانُ بنُ عيينةَ، رحمه الله: (إذا سُئِلَ: أمؤمنٌ أنت؟ إن شاءَ لم يُجبْهُ، أو يقولُ: سُؤالكَ إيَّايَ بدعةٌ، ولا أشُكُّ في إيماني، ولا يعنِّفُ مَن قال: إنَّ الإيمانَ ينقُصُ، أو قال: مؤمنٌ إن شاءَ اللهُ، وليس يُكرَهُ وليسَ بداخلٍ في الشَّكِ)(١).

• وقال الإمامُ الآجُرِيُّ، رحمه الله:

(من صِفَةِ أهلِ الحقِّ - مِمَّنْ ذكرنا من أهلِ العلمِ - الاستثناءُ في الإيمانِ، لا علىٰ جهة الشَّكِّ - نعوذ بالله مِنَ الشَّكِّ في الإيمانِ - ولكن خوف التَّزكية لأنفُسهم منَ الاستكمال للإيمان، لا يَدْري أَهُوَ مِمَّنْ يَستحِقُّ حقيقةَ الإيمانِ أم لا؟

وذلك أنَّ أهلَ العلمِ من أهلِ الحقِّ إذا سُئِلوا: أمؤمنٌ أنتَ؟ قال: آمنتُ باللهِ، وملائكته، وكُتُبِه، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخر، والجنَّةِ والنَّار، وأشباه هذا؛ فالناطق بهذا والمُصدِّقُ بِقَلْبِهِ مؤمنٌ، وإنَّما الاستثناءُ في الإيمان لا يَدْري أهو مِمَّنْ يَسْتَوْجِبُ ما نَعتَ اللهُ به المؤمنينَ من حقيقةِ الإيمانِ أم لا؟ هذا طريقُ الصَّحابةِ والتَّابعينَ لهم بإحسانٍ، عندَهُم أنَّ الاستثناءَ في الأَعمال لا يكونُ في القولِ والتَّصديقِ في القلبِ، وإنَّما الاستثناءُ في الأَعمالِ

---

(١) «الإبانة» ابن بطة: ج٢، ص ٨٨١ (١٢١٣).

المُوجِبَةِ لحقيقة الإيمان، والنَّاسُ عندهم علىٰ الظَّاهِرُ مؤمنون، به يتوارثون، وبه يتناكحونَ، وبه تجري أَحكامُ ملَّة الإسلام، ولكنْ الاستثناء منهم علىٰ حسب ما بيَّنَّاهُ لكَ، وبيَّنَهُ العلماءُ من قبلنا، رُوِيَ في هذا سننٌ كثيرةٌ، وآثارٌ تدلُّ علىٰ ما قلنا)(١) .

● وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمه الله تعالىٰ:

(إِنَّ الإيمانَ المطلقَ؛ يَتضمَّن فعلَ ما أَمرَ اللهُ به عبدَه كُلِّه، وتركَ المحرَّماتِ كلِّها؛ فإذا قال الرجلُ: أَنا مؤمنٌ بهذا الاعتبارِ؛ فقد شَهِدَ لنفسه بأنَّه من الأَبرار المتَّقينَ القائمينَ بفعلِ جميعِ ما أُمِرُوا به، وتركِ كلِّ ما نُهوا عنه؛ فيكونُ من أَولياء الله، وهذا من تزكيةِ الإنسان لنفسه، وشهادَته لنفسه بما لا يَعلمُ، ولو كانت هذه الشهادةُ صَحيحةً؛ لكانَ ينبغي له أَن يَشهدَ لنفسِهِ بالجنَّة إِن ماتَ علىٰ هذا الحال، ولا أَحد يَشهدُ لنفسه بالجنَّة؛ فشهادَتُه لنفسه بالإيمان؛ كشهادَتِه لنفسه بالجنَّة إِذا مات علىٰ هذا الحال، وهذا مأْخذُ عامَّةِ السَّلفِ الذين كانوا يَستثنونَ، وإِن جوَّزوا تركَ الاستثناءِ بمعنًىٰ آخر)(٢) .

---

(١) «كتاب الشريعة» الآجري: ج٢، ص ٦٥٦ .

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص ٤٤٦ .

الاستثناء في الإسلام

وصيغةُ الاستثناءِ: قولُ العبدِ عن نفسِهِ إذا سُئِلَ، هل أَنتَ مسلمٌ؟ (أَنا مسلمٌ إن شاء الله).

فجمهورُ أَهل السُّنّة والجماعة؛ لا يَرونَ الاستثناءَ في الإسلام؛ كما يرونه في الإيمان؛ لأَنَّ الإيمان - عندهم - درجات أَقلُّها وأَدناها الإسلام، ويرونَ أَنَّ هنالكَ فرقًا بين الإسلام والإيمان؛ فالإسلامُ غيرُ الإيمانِ، والمُسلمُ غير المؤمن.

فالإيمانُ - عند أَهل السُّنَّة والجماعة - درجاتٌ ومنازلُ، والنَّاسُ فيه طبقاتٌ: منهمُ المحسنُ، ومنهمُ المؤمنُ، ومنهمُ المسلمُ، وأَكملُهُم دينًا المحسنُ ثمَّ الذين يلونَهم؛ فالإسلامُ هو أَقلُّ هذهِ الدَّرجاتِ، وهو أَصلُ الدِّين أَو الإيمان المجمل، أَو الفيصلُ بين الإيمان والكُفر، وليس وراءَ الإسلامِ إلاَّ الكُفرُ الأَكبرُ، والخُروجُ من المِلَّةِ والدِّين؛ فمَن لم يكنْ مُسلمًا كان كافرًا، وأَمَّا مَن لم يكن مؤمنًا فقد يكون مسلمًا.

لأَنَّ مَن نَطقَ بالشهادتين، وأَرادَ الدُّخولَ في الإسلام؛ أَصبحَ

مسلمًا، وتميّز عن غيره من الكُفّار، فتجري عليه أحكامُ الإسلام، التي تَجري على المسلمين.

فقد دلّت النصوصُ الشرعيّةُ على جوازِ القولِ: (أنا مسلمٌ) بدُونِ استثناءٍ؛ كما في قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَىٰ اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١].

وقولِ اللهِ تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ - رحمه الله - عن هذه الآية:

(وهذه الآيةُ ممّا احتجَّ بها أَحمدُ بنُ حنبلٍ وغيرُه؛ على أنّه يُستثنىٰ في الإيمان دونَ الإسلام، وأَنَّ أَصحابَ الكبائر يخرجُون من الإيمانِ إلىٰ الإسلام. قال الميمونيُّ: سأَلتُ أَحمدَ بنَ حنبلٍ عن رأيه في «أَنا مؤمنٌ إن شاءَ الله؟» فقال: أَقولُ: مؤمنٌ إن شاءَ الله. وأَقولُ: مسلمٌ ولا أَستثني. قال: قلتُ لأَحمد: تُفرّقُ بين الإسلام والإيمان؟ فقال لي: نعم. فقلتُ له: بأَيِّ شيءٍ تحتجُّ؟ قال لي:

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾)(١) .

وقال هشامُ بن حسَّانِ الأزديُّ، رحمه الله :

(كان الحسنُ البصريُّ ومحمَّدُ بنُ سيرينَ، يقولانِ : مُسْلِمٌ، ويهابانِ مُؤمن)(٢) .

وقال الإمام أبو بكر المَرْوَزِيُّ، رحمه الله : (قيلَ لأَبي عبدِ الله، نقولُ : نحن المؤمنونَ؟ قال : نقولُ نحن المُسلِمُون)(٣) .

وقال أحمدُ بنُ محمَّد بن هانئ الأَثْرَمِ، رحمه الله :

(قلتُ لأَبي عبدِ الله : فأَمَّا إذا قال أَنا مُسلمٌ فلا يستثنى؟ فقال : لا يستثني إذا قال : أَنا مُسلم)(٤) .

وقد روى الميمونيُّ عن الإمام أَحمدَ – رحمهم الله – قال :

قلتُ لأَبي عبدِ اللهِ : تفرِّق بين الإيمان والإسلام؟ قال : نعم، وأَقولُ مسلمٌ، ولا أَستثني . قلتُ بأَيِّ شيءٍ تحتجُّ؟ قال : عامَّةُ الأَحاديثِ تدُل على هذا، ثمَّ قال : « لاَ يَزْنِي الزَّاني حينَ يَزْني،

(١) « مجموع الفتاوى » ج٧، ص ٢٥٣ .
(٢) « السُّنة » لعبد الله بن الإمام أحمد : ج١، ص ٣٢٢ (٦٥٨) .
(٣) « السنة » للخلال : ج١، ص ٦٠٢ (١٠٧٣) .
(٤) « الإبانة » ابن بطة : ج٢، ص ٨٧٦ (١٢٠١) .

وهوَ مؤمنٌ، ولاَ يَسْرِقُ حينَ يَسْرِق وهو مؤمن» وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ قلتُ: وفي كتاب الله:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١)(*).

---

(١) «السنة» للخلال: ج١، ص ٦٠٤ (١٠٧٧).

(*) تنبيهٌ لمسألة!: «هل الإيمان مخلوقٌ أم غيرُ مخلوقٍ؟» اعلم! أنَّ هذه المسألةُ تفرَّعت من مسألةِ خلقِ القرآنِ التي ابتدعها أهلُ البدع والأهواء، وقد عدَّ كثير من أئمة السَّلف الصَّالح – رحمهم الله تعالىٰ – هذه المسألة من البدع العظيمة.

وأهل السُّنَّة والجماعة: اتَّفقوا علىٰ أنَّ القرآنَ كلامُ الله – تبارك وتعالىٰ – منزلٌ غيرُ مخلوق، والله – سبحانه – لم يزل متكلمًا إذا شاء، وكلامه لا نهاية له؛ وهم بهذا أثبتُوا ما أثبته الكتابُ والسُّنَّة، ومَن اتَّبع الوحيين فقد أصابَ؛ فعليها إن كان المراد من الإيمان شيئًا من صفات الله تعالىٰ وكلامه؛ فهو غيرُ مخلوقٍ. وإن كان المراد منه شيئًا من أفعال العباد وصفاتهم؛ فالعبادُ كلُّهم مخلوقون، وجميعُ أفعالهمْ وصفاتهمْ مخلوقة. للبسط في هذا الموضوع، انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ ج٦، ص٣١٣ وما بعدها. ج٧، ص ٦٥٢، ج٨، ص٤٢٢.

الإيمان والإسلام

اختلفَ أئمّةُ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ في مُسَمّىٰ الإيمان والإسلام علىٰ قولين: هل هُما بمعنىٰ واحد، أم أنَّ أحدَهما غير الآخر؟

والمتتبِّع للآيات القرآنية والأحاديث النبويّة؛ يجد أنَّ اسمَ الإيمان تارةً يُذكر مفردًا غير مقرونٍ باسم الإسلام، وتارةً يُذكر مقرونًا به، وإذا ذُكِرَ أحَدهما مفردًا؛ فهما مترادفان، وإذا ذُكِرَ أحدُهما مقرونًا بالآخر؛ فيكونان متغايرين.

والذي عليه جمهور أئمّة أهل السُّنّة والجماعة: أنَّ الإسلام والإيمان؛ يختلف معناهما من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، وأنّهما يتفقان في موطن، ويختلفان في موطن آخر؛ فقد يُطلقُ الإيمانُ، ويرادُ به الإسلامُ، وكذا العكس.

وقد يطلق الإسلام علىٰ الأعمال الظّاهرة، ويطلق الإيمان علىٰ الأعمال الباطنة وأنَّ مُسمّاهما يختلف علىٰ حسب الإفراد والاقتران.

أي: أنَّ مُسَمّىٰ الإسلام؛ غير مُسَمّىٰ الإيمان، وبينهما فرقٌ.

والإيمانُ: أكمل وأفضل وأعلىٰ مرتبةً من الإسلام. والعملُ داخل في مُسمّىٰ الإسلام، ومُسمّىٰ الإيمان.

■ فباعتبار الحقيقة اللُّغوية؛ يفترق الإسلام والإيمان.

فالإسلامُ معناه: الاستسلامُ لله وحده والخضوعُ له بالعبادة.

والإيمانُ معناه: تَصديقٌ، وإقرارٌ، ومعرفةٌ، وانقيادٌ.

■ وباعتبار الحقيقة الشرعيَّة يتضمَّن الإيمانُ الإسلامَ؛ لأنَّ بينهما تَلازُمًا في الوجود؛ فكلٌّ واحد منهما مُكمِّلٌ للآخر بحيث لا ينفكّان عن بعضهما وأنَّهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

لأنَّ الإيمانَ من حيثِ العموم أَشملُ من الإسلام؛ لأَنَّه يشمل الإيمانَ والإسلامَ، ولفظُ المؤمنِ يشمل المؤمنَ والمُسلمَ، والإيمانُ أَعلىٰ من الإسلام مرتبةً؛ فمَن وصل إلىٰ مرتبة الإيمان؛ فقد تجاوز الإسلام، كالإحسان فإنَّه أعم من الاثنين؛ فمَن بلغ مرتبة الإحسان؛ فقد تجاوز مرتبتي الإسلام والإيمان. أي: أنَّ الإسلام داخل في الإيمان، وليس العكس. إذن؛ فالإيمان أَعمُّ من الإسلام، والإسلام أخصُّ منه بهذا الاعتبار.

والإسلامُ والإيمانُ إذا اجتمعا؛ اختلفا في مدلولهما، أي:

يفترقان في المعنىٰ؛ فيُفسَّر الإسلامُ: بالأعمال الظاهرة، والإيمانُ بالأعمالِ الباطنةِ؛ فيصبح لفظُ الإسلام أعمَّ، ولفظُ الإيمانِ أخصَّ.

أي: إذا اجتمعا في نصٍّ واحد؛ فكلٌّ منهما يفسَّر بمعناه المذكور. وإذا افترقا؛ اجتمعا في مدلولهما، أي: إذا ذُكر أحدهما في نصٍّ ولم يُذكر معه الآخر فهو لازم له ويكون معناهما واحدًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

فهذه الآيةُ الكريمة: تدُلُّ علىٰ الافتراق والتلازم بين الإيمان والإسلام. أي: أنَّ الإسلامَ في هذهِ الآية إسلامٌ شرعيٌّ؛ يثابُ عليه أهلُه الذين نفىٰ الله تعالىٰ عنهم الإيمان الواجب (المطلق) الذي يستحقُّ عليه صاحبه المدح والثناء؛ لأنَّ المخاطبين في الآية ليسوا منافقين؛ بل معهم أصل الإيمان، ولكنهم لم يبلغوا حقيقته، ولهذا قَبِلَ الله تعالىٰ أعمالهم إذا أطاعوه؛ بخلاف المنافقين، وأنَّ نفيَ الإيمان هنا؛ كنفيه عن الزَّاني، والسَّارق، وشارب الخمر.

وعلىٰ ذلكَ فنقول: إنَّ الإسلامَ والإيمانَ؛ إذا اجتمعا باللَّفظ؛ افترقا بالمعنىٰ، أي: إذا قُرِنَ الإسلامُ والإيمانُ في نصٍّ واحد:

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

● فيراد بالإسلام: الاستسلامُ لله تعالىٰ وحده، والخضوع والإنقيادُ له - سبحانه - بالعمل. أَي: الأَعمال الظاهرة من العبادات: الشَّهادتان، والصَّلاةُ، والزَّكاةُ، والصِّيامُ، والحجُّ، وغير ذلك من الأَعمال الصَّالحة.

● ويراد بالإيمانِ: تصديقُ القلب وإقرارهُ ومعرفته. أَي: الأَعمال الباطنة من الاعتقادات؛ كالإيمان بالله تعالىٰ، وملائكته، وكُتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه، والتَّوكلِ والخوفِ والمحبَّةِ والرغبة والرهبه، وغيرها من الأُمور الغيبيَّة والعقديَّة.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

وعَنْ أَميرِ المؤمنين عُمَرَ بنِ الخطابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ؛ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.
(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ٣٥ - ٣٦.

رُكْبَتَيْهِ إلىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّد أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«الإِسْلاَمُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إن استَطَعْتَ إليهِ سَبِيلاً». قَالَ: صَدَقْتَ؛ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإحسَانِ، قَالَ:

«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ:

«أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ؛ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ:

«يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:

«فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١).

(١) «رواه مسلم» في (كتاب الإيمان) باب: «بيان الإيمان والإسلام والإحسان».

وإذا افترق الإسلام والإيمان في نصٍّ؛ اجتمعا بالمعنىٰ؛ فيُفَسَّرُ الإسلامُ بما يُفسَّر به الإيمانُ؛ فيشمُلُ كلٌّ واحدٍ منهما الدِّينَ كلَّه، من أُصولِهِ وفروعِهِ؛ من اعتقاداته وأَفعاله؛ الظَّاهرة والباطنة.

أَي: إذا جاء ذكرُ الإسلامِ مفردًا، أَو الإيمانِ مفردًا؛ فالمرادُ بهما الدِّينُ كلُّه، بما فيه من إسلامٍ، وإيمانٍ، واستسلامٍ، وشعائِرَ، وشَرائعَ، وعقائِدَ، ومناهجَ، وأَحكامٍ، وآدابٍ . . . إلىٰ آخره.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٤).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنْ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(٥).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥.
(٥) «رواه مسلم» في (كتاب الإيمان) باب: «بيان عدد شعب الإيمان».

وقول النَّبيِّ ﷺ لِوَفْدِ عبدِ القيسِ عندما سَأَلوهُ ﷺ عن أُمورٍ، فقالوا: فَمُرْنا بأَمرٍ فَصلٍ؛ نُخبر بهِ مَن وراءَنا، ونَدْخُل به الجنَّةَ؛ فأمَرَهُم النَّبيُّ ﷺ بِالإيمانِ باللهِ وَحْدَهُ، فقال:

«أَتَدْرُونَ مَا الإِيمانُ باللهِ وَحْدهُ؟» قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «شَهادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وصِيامُ رَمَضَانَ، وأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»(١).

فمثلُ الإسلامِ منَ الإيمان؛ كمثلِ الشَّهادتينِ إحداهُما منَ الأُخرىٰ؛ فالشَّهادةُ للرَّسول محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ بالرِّسالة؛ غيرُ الشَّهادةِ لله تعالىٰ بالوحدانيَّة والعبادة.

ومثلِ لفظ الفقير؛ إذا أُطلِقَ دخلَ فيه المسكينُ، وإذا أُطلِقَ لفظ المسكينِ تناولَ الفقيرَ، وإذا قُرِنَ بينهما؛ فأَحدُهما غيرُ الآخر.

ومِثْلُ ذلكَ البِرُّ والتَّقوىٰ، والإثمُ والعُدوانُ؛ فهُما شيئانِ في الأعيانِ وأَحدُهما مرتبطٌ بالآخرِ في المعنىٰ والحُكمِ كشيءٍ واحد.

فهذه الأَسماءُ التي تختلفُ دلالاتُها بالإطلاقِ والتَّقييدِ والتَّجريدِ والاقترانِ؛ تارةً يكونانِ إذا أُفرد أَحدُهما كان أَعمَّ من

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «أداء الخمس من الإيمان».

الآخَر، وتارةً يكونانِ مُتَساوِيَيْنِ في العُمُومِ والخُصُوصِ؛ فأيُّهما أُطلق تناولَه الآخَرُ.

كذلك الإسلامُ والإيمانُ؛ إذْ لا إيمانَ لمنْ لا إسلامَ لَهُ، ولا إسلامَ لمن لا إيمانَ له، ولا يَخلُو المسلمُ من إيمانٍ يصحُّ به إسلامه، ولا يَخلو المؤمنُ من إسلامٍ يُحقِّق به إيمانه.

ولكنَّ الإيمانَ الكاملَ؛ لا بُدَّ أن يكونَ معه إسلامٌ كاملٌ، أمَّا الإسلامُ الكاملُ؛ فلا يلزمُ منه الإيمانُ الكاملُ، ولكن لا بُدَّ أن يكون معه أَصلُ الإيمان.

وبهذا التَّفصيلِ يحصُل الجمعُ بين الأَدلَّةِ، وهذا هوَ القولُ الوسَطُ، وبه تجتمعُ النُّصُوصُ الشَّرعيَّة.

ويمكنُ القولُ: إنَّ الخلافَ بين علماءِ السَّلفِ في هذه المسألةِ خلافٌ لفظيٌّ يسيرٌ؛ لأنَّ الجميعَ متَّفقونَ علىٰ أنَّ العملَ يدخُلُ في مُسمَّىٰ الإيمانِ، وأنَّ الإيمانَ؛ يزيدُ بالطَّاعة، ويَنْقُصُ بالمعصيةِ، والفريقانِ لا يُخرجونَ أهلَ المعاصي والكبائرِ من الإيمانِ إلىٰ الكُفرِ؛ بل إلىٰ الإسلامِ؛ وإذا أخرجوهُم من الإيمانِ إلىٰ الإسلام؛ لم يقولوا إنَّه لا يبقىٰ معهم شيءٌ من الإيمان؛ بل يبقىٰ معهم أَصلُ الإيمان.

قالَ الإمامُ الزُّهريُّ، رحمه الله:

(نرىٰ أَنَّ الإسلامَ الكلمةُ، والإيمانُ العمل)(١).

وقال الإمام أَحمدُ بنُ حنبلٍ، رحمه الله:

(الإيمانُ مقصورٌ في الإسلام؛ فإذا زَنىٰ، خَرَجَ من الإيمانِ إلىٰ الإسلام... وقال: الإسلامُ غيرُ الإيمان)(٢).

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمه الله:

(ولو قُدِّرَ أَنَّ الإسلامَ يَستلزمُ الإيمانَ الواجبَ، فغايةُ ما يُقالُ: إِنَّهما متلازمانِ: فكلُّ مسلمٍ مؤمنٌ، وكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ. وهذا صحيحٌ؛ إِذا أُريدَ أَنَّ كلَّ مسلمٍ يدخلُ الجنَّةَ معهُ الإيمانُ الواجبُ، وهو متفقٌ عليه؛ إذا أُريدَ أَنَّ كُلَّ مسلمٍ يُثابُ علىٰ عبادته؛ فلا بُدَّ أَن يكونَ معهُ أَصلُ الإيمان فما من مسلمٍ إلاَّ وهو مؤمنٌ، وإن لم يكن هو الإيمانُ الذي نفاهُ النَّبِيُّ ﷺ عمَّن لا يُحبُّ لأَخيه ما يُحبُّ لنفسه، وعمَّن يفعلُ الكبائرَ، وعن الأَعرابِ وغيرهم. فإذا قيلَ: إنَّ الإسلامَ والإيمانَ التَّامَّ متلازمان، لم يلزم أَن يكونَ أَحدُهما هو الآخرَ؛ كالرُّوح والبدن، فلا يوجدُ عندنا روحٌ إلاَّ مع البدنِ، ولا يوجد بدنٌ حيٌّ إلاَّ مع الرُّوح، وليس أَحدُهما الآخرَ؛

(١-٢) «السُّنَّة» الإمام الخلال: ج٣، ص٦٠٧ (١٠٨٠).

فالإيمانُ كالروح، فإنَّه قائمٌ بالرُّوحِ ومتَّصلٌ بالبدن . والإسلامُ كالبدن، ولا يكونُ البدنُ حيًّا إلاَّ معَ الرُّوح، بمعنىٰ أنَّهما متلازمانِ، لا أنَّ مُسمَّىٰ أحدهما هو مُسمَّىٰ الآخرِ، وإسلامُ المنافقين كبدنِ الميِّتِ، جسدٌ بلا روحٍ، فما من بدنٍ حيٍّ إلاَّ وفيه روحٌ، ولكنَّ الأرواحَ متنوِّعةٌ؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ : «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تعَارَفَ مِنْهَا ائْتلفَ وَمَا تَناكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[1] .

وليس كلُّ مَن صلَّىٰ ببدنه يكونُ قلبُهُ منوَّرًا بذكر الله والخشوع وفهم القرآن، وإن كانت صلاتُه يُثابُ عليها، ويسقط عنه الفرضُ في أحكام الدُّنيا؛ فهكذا الإسلامُ الظَّاهر؛ بمنزلةِ الصَّلاةِ الظَّاهرة، والإيمانُ بمنزلة ما يكونُ في القلب حينَ الصَّلاة من المعرفة بالله والخشوع وتدبُّر القرآن؛ فكلُّ مَن خشعَ قلبُهُ، خشعتْ جوارحهُ، ولا ينعكس، ولهذا قيل: إيَّاكم وخشوعَ النِّفاق، وهو أن يكونَ الجسدُ خاشعًا، والقلبُ ليس بخاشعٍ؛ فإذا صَلُحَ القلبُ صَلُحَ الجسدُ كلُّه، وليسَ إذا كانَ الجسدُ في عبادةٍ يكونُ القلبُ قائمًا بحقائقها)[2] .

---

(١) رواه مسلم في: «كتاب البر والصلة والآداب» باب (الأرواح جنود مجندة)
(٢) «مجموع الفتاوى» ج٧، ص ٣٦٧ .

التلازم بين الظاهر والباطن

- (الظَّاهِرُ) : هو العملُ : قولُ اللِّسانِ، وعملُ الجوارح.
- (الباطنُ) : هو الإيمانُ : قولُ القلبِ، وعمَلُه.
- قاعدة : (لا إيمانَ إلاَّ بعمل، ولا عملَ إلاَّ بالإيمان).

فعلىٰ ضوءِ هذهِ القاعدةِ السَّلفيَّةِ لأئمَّةِ السَّلفِ الصَّالح؛ سلفًا وخلفًا : إنَّ ظاهرَ العبدِ هو الوجهُ الآخَرُ لقلبِهِ وباطنِهِ، وأنَّه انعكاسٌ مباشرٌ له لا يتخلَّفُ عنه ولا يُغايرُه، وإذا كان الباطنُ صالحًا كانَ الظَّاهرُ كذلك، وإذا كانَ الباطنُ فاسدًا كان الظَّاهرُ كذلك فاسدًا بحسبه، وإذا انتفىٰ الظَّاهرُ دلَّ ذلك علىٰ عدمِ ما في القلب، وإذا نَقَصَ دلَّ علىٰ نَقْصِ ما في القلب، وكذلك العكس.

* فصلاحُ الباطنِ يستلزمُ صلاحَ الظَّاهرِ؛ لأنَّه ينعكسُ حتمًا بالضرورة علىٰ الظَّاهِرِ فيُصْلِحُه.

* وفسادُ الباطنِ يستلزمُ فسادَ الظَّاهِرِ؛ لأنَّه كذلك ينعكسُ حتمًا بالضرورة علىٰ الظَّاهر فيُفْسِدُه.

فمن هُنا لا يمكنُ ادِّعاءُ الإيمانِ الشَّرْعِيِّ مع ظُهورِ الفسادِ في أعمالِ الجوارحِ؛ لأنَّ أَصلَ الإيمان في القلبِ، وأعمالَ الجوارحِ دليلٌ وشاهدٌ عليه. وأَصلُ الإيمان الذي في القلب هو:

- قولُ القلبِ من: المعرفةِ، والعلمِ، والتَّصديق.
- عملُ القلبِ من الإذعانِ والانقيادِ، والاستسلام، والنية والإخلاص.

ولكن من لوازمِ هذا الإيمانِ - إذا تحقَّق في القلب - تحقيقهُ في الظَّاهر؛ فالظَّاهرُ لا يتخلَّفُ عن الباطن ولا يُضادُّه؛ لأنَّه ترجُمانُ الباطنِ، ومرتبطٌ به ارتباطًا وثيقًا؛ فالإيمانُ الذي في القلبِ من التَّصديقِ والحبِّ والبُغضِ، وغيرها من أفعال القلب وأَعماله يستلزمُ الأُمورَ الظَّاهرةَ من الأَقوال والأَعمال؛ لأنَّ الأعمالَ الظَّاهرةَ؛ ترتبطُ مباشرةً بعملِ القلبِ من الإذعان والمحبَّة والخشية والتَّوقير؛ أكثر مِمَّا ترتبطُ بقول القلب من علمٍ ومعرفةٍ وتصديق.

فالعبدُ قد يكونُ عالمًا ومصدقًا ومعتقدًا للحقِّ، ولكنَّ خشية الله تعالىٰ في قلبه، والخوفَ منه، ومحبَّتَهُ، والانقيادَ له بالطَّاعة؛ لم تصل إلىٰ الدَّرجةِ التي تنجُو به من ظلماتِ الكُفرِ والشِّرك، أو أن يكونَ ما في قلبه من الحسدِ والكبْرِ، أَو حُبِّ الدُّنيا والشَّهواتِ قد

غلَبَ عليه؛ فطمسَهُ وجعلَ ما معه من التَّصديق وبعضَ أعمال القلب لا قيمةَ له عند ربِّ العزَّةِ والجلال، كالمشركين الذين لا يعبُدُونَ اللهَ وحدَهُ لا شريك له! بل يجعلونَ مع اللهِ شركاءَ؛ لأَنَّ قلوبَهم ليست خالصةً للهِ وحدَهُ؛ بل فيها من حبِّ غيره وطاعته وتعظيمه؛ ما صرفهم عن التَّوحيد الخالص لله تعالىٰ.

والمؤمنونَ عكسُ ذلك فقلوبُهم خالصةٌ لله تعالىٰ ويعبدون الله تعالىٰ وحده لا شريك له، ويقولون: آمنَّا وصدَّقنا سمعنا وأطعنا.

فالظَّاهرُ والباطنُ متلازمانِ؛ لا يكونُ الظَّاهرُ مستقيمًا؛ إلاَّ باستقامةِ الباطن، وليسَ العكس! وإلاَّ يكون نفاقًا؛ لأَنَّ الظَّاهرَ لا يختلفُ عن باطنٍ ولا يضادُّه البتَّة، والإيمانُ المطلوبُ شرعًا هو:

الإيمانُ الظَّاهرُ والباطنُ، وتلازمُ عملِ القلبِ بعمل الجوارح؛ لأنَّهُ لا يَصحُّ إيمانُ العبد بواحدةٍ دون الأُخرىٰ؛ فمَن زعمَ وجودَ العمل في قلبه دونَ جوارحِهِ لا يثبتُ لهُ اسمُ الإيمان؛ لأَنَّ الأَعمالَ والأَقوالَ الظَّاهرة من لوازمِ الإيمانِ التي لا تنفكُّ عنه، وتدخلُ في مُسَمَّاه.

ومن هنا جُعلَتِ الأَعمالُ الظَّاهرةُ في الشَّرعِ؛ مناطَ الحكم في الدُّنيا علىٰ حال العبد، وذلك بالنظر إلىٰ ظاهر أَعماله دونَ الباطن؛

فيُحْكَمُ عليه بإثبات الإسلام لهُ، أو الكفر؛ فمَن أظهرَ الإسلامَ حكمنا بإسلامه، ومَن أظهر الكُفرَ حكمنا بكُفره.

لأنَّ الإنسانَ مهما بلغَ من أمره؛ ليس في طاقته ولا في سلطانه الاطلاعُ علىٰ ما في بواطن الخلق وسرائرهم - لأنَّ هذا الأمرَ من خصائص الله جلَّ وعلا وحده - فجعلَ الله - سبحانه وتعالىٰ - ظاهرَ النَّاسِ دليلاً علىٰ بواطنهم؛ ثمَّ أعطاهمُ الحقَّ في الحُكمِ علىٰ البواطنِ؛ بمقتضىٰ ما يبدو لهم من ظواهرهم؛ فإن أظهروا الإسلامَ حُكِمَ لهم بالإسلام ظاهرًا وباطنًا، وإن أظهروا الكُفر حُكِمَ لهم بالكُفر ظاهرًا وباطنًا.

قال الله تعالىٰ في صفةِ المؤمنينَ الصَّادقينَ الذين صَلُحَ بَاطِنُهم وظاهِرُهُم وقالوا: سَمِعْنَا وأَطعنا آمنَّا وصدَّقنا ثمَّ عَمِلُوا بما آمنوا به:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

وقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٢).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: « لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ »(٣).

وقال ﷺ: « أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ »(٤).

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢ . (٢) سورة السجدة، الآية: ١٥ .
(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » مسند أنس بن مالك: ج٣، ص١٩٨ وحسنه الألباني في « السلسلة الصحيحة »: ج٦، ص٨٢٢ (٢٨٤١).
(٤) رواه البخاري: في « كتاب الإيمان » باب: « فضل من استبرأ لدينه ».

وقال التَّابعيُّ الحافظ مَيْمُونُ بنُ مُهْرانَ الجَزَرِيُّ - رحمه الله - لأصحابه؛ عندما رأىٰ راهبًا في الصومعة: (فيكم مَن بلغَ من العبادة ما بلغ هذا الرَّاهب؟) قالوا: لا. قال: (فما ينفعه ذلك ولم يُؤْمِنْ بمحمَّد ﷺ؟) قالوا: لا ينفعه شيء. قال: (كذلكَ لا ينفعُ قولٌ؛ إلاَّ بعَمَل)[١].

وقال شيخُ الإسلام الإمامُ الحجةُ الأَوْزَاعِيُّ، رحمه الله:

(لا يَستقيمُ الإيمانُ إلاَّ بالقولِ، ولا يَستقيمُ الإيمانُ والقولُ إلاَّ بالعملِ، ولا يَستقيمُ الإيمانُ والقولُ والعملُ إلاَّ بنيَّةٍ موافقةٍ للسُّنَّة؛ فكان مَن مضىٰ ممَّن سلفَ لا يُفرِّقون بينَ الإيمانِ، والعملُ من الإيمان، والإيمانُ من العمل، وإنَّما الإيمانُ اسمٌ يجمعُ كما يجمعُ هذه الأَديانَ اسمُها؛ وتصديقُهُ العملُ؛ فمَن آمنَ بلسانِهِ وعَرفَ بقلبِهِ وصَدَّقَ ذلك بعملِهِ؛ فذلكَ العُروةُ الوُثقىٰ التي لا انفصامَ لها، ومَن قال بلسانه، ولم يَعرفْ بقلبه، ولم يُصدِّقْه بعمله؛ لم يُقبَلْ منه، وكانَ في الآخرةِ من الخاسِرين)[٢].

---

(١) انظر: «تهذيب الكمال» للإمام الحافظ المزي؛ ج٢٩، ص٢١٧ .

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» اللالكائي: ٥ / ٩٥٥ - ٩٥٦ (١٥٩١).

وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة - رحمه الله - في شرح حديثِ النَّبيِّ ﷺ: «ألاَ وإنَّ في الجسَدِ مُضْغَةً: إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كُلُّهُ؛ ألاَ وهِيَ القَلْبُ»: (فبيَّن أَنَّ صَلاحَ القلبِ مستلزمٌ لصلاح الجسدِ؛ فإذا كان الجسدُ غيرَ صالحٍ، دلَّ علىٰ أَنَّ القلبَ غيرُ صالحٍ، والقلبُ المؤمنُ صالحٌ؛ فعُلِمَ أَنَّ مَن يتكلَّمُ بالإيمانِ، ولا يعملُ به، لا يكونُ قلبُهُ مؤمنًا، حتىٰ أَنَّ المُكْرَهَ في إظهارِ الإيمان؛ لا بُدَّ أَن يتكلَّمَ معَ نفسِهِ، وفي السِّرِّ معَ من يأمنُ إليه، ولا بُدَّ أَن يُظهِرَ علىٰ صفحاتِ وجهِهِ وفلتاتِ لسانه؛ كما قال عُثمان. وأَمَّا إذا لم يُظْهِرْ أَثرَ ذلكَ لا بقولِهِ، ولا بفعلِهِ قَطُّ؛ فإنَّه يدلُّ علىٰ أَنَّه ليس في القلبِ إيمانٌ، وذلكَ أَنَّ الجسدَ تابعٌ للقلب؛ فلا يستقِرُّ شيءٌ في القلبِ إلاَّ ظهرَ موجبُهُ ومُقتضاه علىٰ البدنِ، ولو بوجهٍ منَ الوجُوه)(١).

وقال الإمامُ الحافظُ ابنُ رجبَ الحنبليُّ - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديثِ أيضًا: (إنَّ صلاحَ حركاتِ العبدِ بجوارحِهِ، واجتنابَهُ للمحرَّماتِ واتِّقاءَهُ للشُّبهاتِ بحسْبِ صلاحِ حركةِ قلبِهِ؛ فإن كانَ قلبُه سليمًا، ليسَ فيه إلاَّ محبَّةُ اللهِ، ومحبَّةُ ما يُحبُّهُ اللهُ،

---

(١) «مجموع الفتاوى» ج١٤، ص١٢١.

وخشيةُ الله، وخشيةُ الوقوع فيما يكرهُهُ؛ صَلُحَتْ حركاتُ الجوارحِ كلُّها، ونشأ عن ذلك اجتنابُ المحرَّماتِ كلِّها، وتوقي الشبهات حذرًا منَ الوقوعِ في المحرَّمات. وإن كانَ القلبُ فاسدًا، قد استولىٰ عليه اتِّباعُ هَوَاه، وطلبُ ما يحبُّه، ولو كرهَهُ الله، فسدت حركاتُ الجوارحِ كلُّها، وانبَعَثَتْ إلىٰ كلِّ المعاصي والمشتبهات بحسب اتِّباع هوىٰ القلب. ولهذا يقال: القلبُ مَلِكُ الأَعضاءِ، وبقيَّةُ الأَعضاء جنودُه، وهم مع هذا جنودٌ طائعونَ له، مبعوثونَ في طاعته، وتنفيذِ أَوامره، لا يخالفونَهُ في شيءٍ من ذلك؛ فإن كان الملكُ صالحًا كانت هذه الجنودُ صالحةً، وإن كان فاسدًا كانت جنودُه بهذه المثابَةِ فاسدةً، ولا ينفعُ عندَ اللهِ إلاَّ القلبُ السليمُ... فإنَّ أَعمالَ الجوارحِ لا تستقيمُ إلاَّ باستقامةِ القلبِ، ومعنىٰ استقامةِ القلبِ أَن يكونَ ممتلئًا من محبَّةِ الله، ومحبَّةِ طاعته، وكراهية معصيته... وحركاتُ الجسدِ تابعةٌ لحركةِ القلب وإرادته، فإن كانت حركتُه وإرادتُه لله وحدَهُ؛ فقد صَلَحَ وصَلَحَتْ حركاتُ الجسدِ كلِّه، وإن كانت حركةُ القلب وإرادتُهُ لغير الله تعالىٰ، فسدَ، وفسدت حركاتُ الجسد بحسب فسادِ حركة القلب... ومعنىٰ هذا أَنَّ حركات القلب والجوارح إذا كانت كلُّها لله؛ فقد كَمُلَ إيمانُ العبد بذلك ظاهرًا وباطنًا، ويلزمُ

من صلاح حركات القلب صلاحُ الجوارح؛ فإذا كان القلبُ صالحًا ليس فيه إلاَّ إرادةُ الله، وإرادةُ ما يريدُهُ لم تنبعثِ الجوارحُ إلاَّ فيما يُريدُهُ الله)[١].

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمه الله:

(فأَصلُ الإيمانِ في القلب، وهو قولُ القلبِ وعملُهُ، وهو إقرارٌ بالتَّصديق والحبِّ والانقياد، وما كان في القلب، فلا بُدَّ أَن يظهرَ مُوجَبُهُ ومقتضاهُ علىٰ الجوارح، وإذا لم يعملْ بموجبه ومقتضاه؛ دلَّ علىٰ عَدَمه أَو ضعفه، ولهذا كانت الأَعمالُ الظاهرةُ من موجب إِيمانِ القلبِ ومقتضاه، وهي التَّصديقُ لما في القلب، ودليلٌ عليهِ وشاهدٌ له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعضٌ له؛ لكنَّ ما في القلبِ هو الأَصلُ لما علىٰ الجوارح؛ كما قال أَبو هريرة، رضي الله عنه: إنَّ القلبَ ملكٌ، والأَعضاءَ جنودُهُ؛ فإن طاب الملكُ، طابت جنودُهُ، وإذا خَبُثَ الملكُ؛ خبثتْ جنودُهُ)[٢].

وقال أَيضًا: (فهذا الموضع ينبغي تدبُّرُهُ فمَن عرف ارتباطَ

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» في شرح الحديث السادس من الأربعين النووية.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص٦٤٤ .

الظاهرِ بالباطن؛ زالتْ عنه الشبهةُ في هذا الباب، وعَلِمَ أنَّ مَن قالَ من الفقهاء: إنَّه إذا أقرَّ بالواجبِ وامتنَعَ عن الفعل لا يُقْتَلُ، أو يُقتلُ مع إسلامِه؛ فإنَّه دخلتَ عليه الشبهةُ التي دخلت على المرجئة والجهميَّة، والتي دخلت علىٰ مَن جعلَ الإرادةَ الجازمةَ مع القدرةِ التامَّة، لا يكون بها شيءٌ من الفعلِ، ولهذا كان المُمْتَنِعُون من قتلِ هذا منَ الفقهاءِ بَنَوهُ علىٰ قولهم في مسألَةِ الإيمانِ، وأنَّ الأَعمالَ ليستْ من الإيمان، وقد تقدَّم أنَّ جنسَ الأَعمالِ من لوازمِ إيمانِ القلب وأنَّ إيمان القلبِ التَّام بدون شيءٍ من الأعمالِ الظاهرةِ ممتنعٌ سواءً جعلَ الظاهرَ من لوازم الإيمان أو جزءًا من الإيمان)[1].

وقال في موضعٍ آخر: (وهنا أُصولٌ تنازعَ النَّاسُ فيها: منها أنَّ القلبَ هل يقوم به تصديقٌ أو تكذيبٌ ولا يَظْهَرُ قط منه شيءٌ علىٰ اللِّسانِ والجوارح، وإنَّما يظهَرُ نقيضُه من غيرِ خوفٍ؟ فالذي عليه السَّلفُ والأئمَّةُ وجمهورُ النَّاس؛ أنَّه لا بُدَّ من ظُهُورِ موجَبِ ذلك علىٰ الجوارح، فمَن قال: إنَّه يُصَدِّقُ الرَّسولَ ﷺ ويحبّه ويُعَظِّمُهُ بقلبِه، ولم يتكلَّم قطُّ بالإسلام ولا فعلَ شيئًا من واجباته بلا خوفٍ فهذا لا يكون مؤمنًا في الباطن وإنَّما هو كافر)[2].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٧، ص ٦١٦ .
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج١٤، ص ١٢٠ .

وقال كذلك: (وقد تبيَّنَ أنَّ الدِّينَ لا بُدَّ فيه من قولٍ وعملٍ، وأنَّه يُمْتَنَعُ أن يكونَ الرَّجلُ مؤمنًا بالله ورسولِهِ بقلبِه، أو بقلبِهِ ولسانه، ولم يؤدِّ واجبًا ظاهرًا، ولا صلاةً ولا زكاةً ولا صيامًا، ولا غيرَ ذلك من الواجبات، لا لأَجل أنَّ الله أَوجبها؛ مِثْلَ أن يؤدِّيَ الأَمانَةَ، أَو يَصدُقَ الحديثَ، أَو يعدِلَ في قَسمِهِ وحُكمِهِ؛ من غير إيمانٍ بالله ورسوله، لم يَخْرُجْ بذلك من الكُفر؛ فإنَّ المشركينَ، وأَهلَ الكتابِ يرونَ وجوبَ هذه الأُمور، فلا يكونُ الرَّجُلُ مؤمنًا بالله ورسوله مع عدم شيءٍ من الواجبات التي يختصُّ بإيجابها محمَّد ﷺ)[١]. وقال - أَيضًا - رحمه الله:

(إذا نقصتِ الأَعمالُ الظاهرةُ الواجبةُ؛ كان ذلك لنقصِ ما في القلبِ من الإيمان؛ فلا يُتَصَوَّرُ مع كمالِ الإيمان الواجبِ الذي في القلب أن تُعْدَمَ الأعمالُ الظاهرةُ الواجبةُ؛ بل يلزمُ من وجودِ هذا كاملاً وجودُ هذا كاملاً، كما يلزمُ من نقصِ هذا، نقصُ هذا؛ إذ تقديرُ إيمانٍ تامٍ في القلب بلا ظاهرٍ من قولٍ وعملٍ، كتقدير موجَبٍ تامٍّ بلا موجِبه وعلَّةٍ تامَّةٍ بلا معلُولِهَا وهذا ممتنع)[٢].

---

(١) «مجموع الفتاوى» ج٧، ص ٦٢١ .
(٢) «مجموع الفتاوى» ج٧، ص ٥٨٢ .

وقال الإمامُ الحافظُ ابنُ القيِّم رحمه الله تعالىٰ:

(وها هنا أصلٌ آخرُ: وهو أنَّ حقيقةَ الإيمانِ مُرَكَّبَةٌ من قول وعمل. والقولُ قسمان: قولُ القلبِ وهو الاعتقادُ. وقولُ اللِّسانِ، وهو التكلمُ بكلمة الإسلام. والعملُ قسمان: عملُ القلب، وهو نيَّتُهُ وإخلاصُهُ. وعملُ الجوارح؛ فإذا زالت هذه الأَربعةُ، زال الإيمانُ بكمالِه. وإذا زال تصديقُ القلب، لم ينفع بقيةُ الأَجزاء؛ فإنَّ تصديقَ القلب شرطٌ في اعتقادها وكونها نافعةً. وإذا زال عملُ القلب مع اعتقاد الصِّدق؛ فهذا موضعُ المعركةِ بين المرجئةِ وأَهل السُّنَّة؛ فأَهل السُّنَّةِ مُجمِعُونَ علىٰ زوال الإيمان، وأَنَّه لا ينفعُ التَّصديقُ مع انتفاءِ عملِ القلب، وهو مُحَبَّتُهُ وانقيادُه؛ كما لم ينفع إبليسَ وفرعونَ وقومه، واليهودَ والمشركين الذين كانوا يعتقدونَ صدقَ الرَّسول؛ بل ويُقِرُّونَ به سرًّا وجهرًا، ويقولون: ليس بكاذبٍ، ولكن لا نتَّبعه، ولا نؤمنُ به. وإذا كان الإيمانُ يزول بزوال عمل القلب؛ فغير مُستَنْكَر أَن يزول بزوال أَعظم أَعمال الجوارح، ولا سيما إذا كان ملزومًا لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزومٌ لعدم التَّصديق الجازم – كما تقدَّم تقريرُه – فإنَّه يلزمُ من عدمِ طاعةِ القلبِ عدمُ طاعةِ الجوارح، إذ لو أَطاعَ

القلبُ وانقادَ؛ أطاعتِ الجوارحُ وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدمُ التَّصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقةُ الإيمان.

فإنَّ الإيمانَ ليس مُجَرَّدَ التَّصديق - كما تقدَّم بيانه - وإنَّما هو التَّصديقُ المستلزمُ للطاعة والانقياد، وهكذا الهُدىٰ ليس هو مجردَ معرفة الحقِّ وتبيُّنه؛ بلْ هو معرفتُهُ المستلزمة لاتِّباعِهِ، والعملِ بموجَبِهِ، وإن سُمِّيَ الأَوَّلُ هدًىٰ؛ فليس هو الهُدَىٰ التَّامُ المستلزمَ للاهتداء؛ كما أَنَّ اعتقاد التَّصديق، وإن سُمِّيَ تصديقًا؛ فليس هو التَّصديقَ المستلزم للإيمان؛ فعليكَ بمراجعة هذا الأَصل ومراعاته)(١).

وقال العلاَّمة المحقِّق أَبو إِسحاقَ الشَّاطبيُّ، رحمَهُ اللهُ:

(ومن هنا جُعلت الأَعمالُ الظاهرةُ في الشَّرعِ دليلاً علىٰ ما في الباطن؛ فإِنْ كان الظاهرُ مُنْخرِمًا؛ حُكِمَ علىٰ الباطن بذلك، أَو مستقيمًا؛ حُكِمَ علىٰ الباطن بذلك أَيضًا، وهو أَصلٌ عامٌّ في الفقه وسائِرِ الأَحكام العاديات والتجريبيَّات؛ بل الالتفاتُ إِليها من هذا الوجه نافعٌ في جملة الشريعة جدًّا، والأَدلَّةُ علىٰ صحته كثيرةٌ

---

(١) «كتاب الصَّلاة وحكم تاركها»: ص٥٤ تحقيق تيسير زعيتر.

جدًّا، وكفىٰ بذلك عمدةً أنَّه الحاكم بإيمان المؤمنِ، وكُفر الكافر، وطاعة المطيع، وعصيانِ العاصي، وعدالةِ العدْل، وجرحةِ المجرُح، وبذلك تنعقد العقودُ وترتبط المواثيقُ، إلىٰ غير ذلك من الأُمور؛ بل هو كُليَّةُ التشريع، وعمدةُ التَّكليف بالنسبة إلىٰ إقامة حدود الشَّعائر الإسلاميَّة الخاصَّة والعامَّة)[١].

(١) «الموافقات» للشاطبي: ج١، ص ٣٦٧ تحقيق مشهور حسن السلمان.

أركان الإيمان

عند أهل السنة والجماعة

أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- الركنُ الأَوَّل: الإِيمان بالله تعالىٰ.
- الركنُ الثَّاني: الإِيمان بالملائكة.
- الركنُ الثَّالث: الإِيمان بالكتب.
- الركنُ الرابع: الإِيمان بالرسل.
- الركنُ الخامس: الإِيمان باليوم الآخر.
- الركنُ السَّادس: الإِيمان بالقدر.

أركـان الإيمـان

إنَّ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أُصولِ الإيمان؛ يتلخَّصُ في التَّصديق بأَركانه السِّتَّة، كما أَخبرَ بذلك النَّبيُّ ﷺ في حديث جبريلَ الطَّويل - عليه الصَّلاة والسَّلام - لَمَّا جاءَ يسأَلُه عن الإيمانِ؛ فقال ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّه»(١).

فالإيمانُ يقوم علىٰ هذه الأَركانِ السِّتَّة؛ إذا سقطَ منها ركنٌ، لم يكنِ الإنسانُ مؤمنًا البتَّة؛ لأَنَّه فَقَدَ رُكنًا من أَركانِ الإيمان؛ فالإيمانُ لا يقومُ إلاَّ علىٰ أَركانِه تامَّةً، كما لا يقومُ البنيانُ إلاَّ علىٰ أَركانِه مكتملة. لذا لا يتمُّ الإيمانُ؛ إلاَّ بأَركانه السِّتَّة جميعًا علىٰ الوجهِ الصَّحيحِ الذي دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّة، ومَن جحدَ شيئاً منها فليس بمؤمن وإن ادَّعىٰ الإيمانَ وقامَ ببعضِ أَركان الإسلام.

---

(١) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب «سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة». ومسلم (كتاب الإيمان) باب «بيان الإيمان والإسلام».

الركن الأول

الإيمان بالله تعالى

الإيمانُ بالله تعالىٰ: هو التَّصديقُ الجازمُ، والإقرارُ الكاملُ، والاعترافُ التَّامُّ؛ بوجود الله جلَّ في عُلاه.

والإيمانُ بربوبيتِهِ، وبألوهيَّتِهِ، - أيْ: استِحقاقُهُ وحدَهُ العبادَةَ - وبأسمائِهِ وصفاتِهِ - أي: اتّصافه بكلِّ صفاتِ الكمال ونعوت الجلال - واطمئنانُ القلبِ بذلك اطمئنانًا تُرىٰ آثارُه في سلوكِ العبْد، والتزامهِ بأوامرِ الله تعالىٰ واجتنابِ نواهيه.

والإيمانُ باللهِ تعالىٰ: هو أَساسُ العقيدةِ الإسلاميَّةِ ولُبُّها؛ فهو الأَصلُ، وكلُّ أَركانِ العقيدةِ مضافةٌ إليه، وتابعةٌ له.

فالإيمانُ بالله تعالىٰ: يَتضمَّنُ الإيمانَ بوحدانيَّته، واستحقاقه للعبادة وبأَسمائِهِ وصفاتِهِ؛ لأَنَّ وجودَهُ - جلَّ وعلا - من المُسَلَّمَاتِ لا شَكَّ فيها، وقد دلَّ علىٰ وجودِهِ سبحانه وتعالىٰ:

الفطرةُ، والعقلُ، والشَّرعُ، والحِسُّ.

ومن الإيمان بالله تعالىٰ: الإيمانُ بأَنواع التَّوحيد الثَّلاثة، واعتقادها، والعمل بها، وهذه الأَنواع هي: توحيدُ الرُّبوبيَّة. وتوحيدُ الأُلوهيَّة. وتوحيدُ الأَسماءِ والصِّفات.

١ـ توحيدُ الرُّبوبيَّة (*):

معناهُ الاعتقادُ الجازمُ والإقرارُ التَّامُّ؛ بأَنَّ اللهَ تعالىٰ وَحْدَهُ رَبُّ كلِّ شيءٍ ومليكُهُ، لا شريكَ له، هو الخالقُ، وهو مدبِّرُ العالمِ، والمتصرِّفُ فيه، والقادرُ عليه، وأَنَّه خالقُ العباد، ورازقُهُم، ومحييهم، ومميتهم، ولا معقِّبَ لحكمِه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكلُّ مَن في السَّموات والأَرض عبدٌ له وفي قبضته، وتحتَ قهره سبحانه وتعالىٰ، والإيمانُ بقضاء الله وقدره، وبوحدانيَّته في ذاته، وخلاصتهُ: «توحيدُ الله تعالىٰ بأَفعاله».

وقد قامت الأَدلَّةُ الشَّرعيَّةُ علىٰ وجوب الإيمان بربوبيَّة الله عزَّ

(*) «الربوبيَّة»: (نسبة لاسم الله جلَّ علا: «الرَّب» ولها عدة معانٍ في اللغة منها: المُرَبِّي، المالك، السَّيِّد، المُدبِّر، الوالي، المنعم، المتمم، القيِّم. ولا يُقال الرَّبُّ ـ بالألف واللام ـ لغير الله تعالىٰ إلاَّ بالإضافة، فيقال: رب كذا..) انظر «لسان العرب» و«تاج العروس».

وجلَّ؛ كقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ ﴾(١).

وقوله: ﴿ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالمينَ ﴾(٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتينُ ﴾(٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِ شَيْءٍ ﴾(٤).

وهذا النوعُ من التَّوحيدِ أَقرَّ به كفَّارُ قُرَيْشٍ، وأَكثرُ أَصحابِ الْمِلَلِ والدِّياناتِ، والمشركون القدامىٰ الذين بَعَثَ اللهُ إِليهِمُ الرُّسُلَ فكلُّهم يعتقدونَ: أَنَّ خالقَ العالَمِ ورازقَهَ هو اللهُ وحدَه، قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾(٥).

وذلكَ لأَنَّ قلوبَ العبادِ مفطورةٌ علىٰ الإقرارِ بربوبيته - جلَّ وعلا - لذا؛ فلا يُصْبِحُ مُعْتَقِدُه مُوَحِّدًا، ولا يدخلُ في حظيرةِ الإسلام؛ حتىٰ يلتزمَ بالنوعِ الثَّاني من أَنواعِ التَّوحيد، وهو:

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ١.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٨٨.
(٥) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

٢- توحيدُ الألُوهيَّة (*):

هو إفرادُ اللهِ تعالىٰ بأفعالِ العباد، ويُسَمَّىٰ «توحيدُ العبادة».

ومعناهُ الاعتقادُ الجازمُ؛ بأنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - هو الإلهُ الحقُّ ولا إلهَ غيرُه، وكلُّ معبودٍ سواهُ باطلٌ، وإفرادُه تعالىٰ بالعبادةِ والخضوعِ والطَّاعةِ المطلقة، وأَن لا يُشركَ بهِ أَحدٌ كائناً مَن كان، ولا يُصْرَفُ شيءٌ من العبادةِ لغيرهِ تعالىٰ؛ كالصَّلاةِ، والصِّيام، والزَّكاةِ، والحجِّ، والدُّعاءِ، والاستعانةِ، والنَّذْرِ، والذَّبْحِ، والتَّوكُّلِ، والخوْفِ والرَّجاءِ والحُبِّ، والإنابةِ، والخشيَةِ، والتَّذلُّلِ، وغيرها من أنواعِ العبادةِ الظَّاهرة والباطنة، وأَن يُعْبَدَ اللهُ بالحُبِّ والخوفِ والرَّجاءِ جميعًا، وعبادتُه ببعضها دونَ بعضٍ ضلال.

قالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ لاَ بُرْهانَ لَهُ بِهِ فَإنَّما حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّه لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾[2].

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥. (٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

(*) «الألُوهيَّة»: (مشتقة من كلمة «إله» بمعنىٰ المعبود المطاع، أي: المألوه، وهو شامل لكلِّ ما يُعبد: الإله الحق وهو الله تعالىٰ، والآلهة الباطلة التي تُعبد من دون الله، ولكن الإله الحق يجب أَن يكون خالقًا قادرًا رازقًا مُدبرًا محييًا مميتًا ومقتدرًا؛ فمَن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عُبِدَ ظُلمًا، وسُمّى إلهًا) انظر «لسان العرب».

ومن أجلِ توحيدُ العبادةِ خَلَقَ اللهُ الجنَّ والإنس، قال تعالىٰ:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[١].

وهو أَوَّلُ الدِّينِ وآخرهُ وباطنُهُ وظاهِرُهُ، وهو أَوَّلُ دعوةِ الرُّسُلِ وآخرُها، ولأَجله أُرسلت الرُّسل، وأُنزلت الكُتب، وسُلَّت سُيوفُ الجهادِ، وفُرِّقَ بين المؤمنينَ والكافرينَ، وبينَ أَهلِ الجنَّةِ وأَهلِ النَّار، وهو معنىٰ قولِ اللهِ تبارك وتعالىٰ: ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾.

وتوحيدُ الأُلوهيَّة هو ما دعا إليه جميعُ الرُّسُلِ، وإنكارُهُ هو الذي أَوردَ الأُمَمَ السابقةَ مَواردَ الهلاك، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[٢].

فتوحيدُ الربوبيَّة مستلزمٌ توحيدَ الأُلوهيَّة؛ لأَنَّ مَن أَقرَّ بربوبية اللهِ تعالىٰ لزِمَهُ أَن يعبُدَ اللهَ وحده ولا يُشرك به أَحدًا؛ لأَنَّ المشركينَ لم يَعْبُدُوا إلهًا واحدًا، وأَنكرُوا أَن يكون اللهُ تعالىٰ هو

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦. (٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(*) «الأُلوهيَّة»: (مشتقة من كلمة «إله» بمعنىٰ المعبود المطاع، أي: المألوه، وهو شامل لكلِّ ما يُعبد: الإله الحق وهو الله تعالىٰ، والآلهة الباطلة التي تُعبد من دون الله، ولكن الإله الحق يجب أن يكون خالقًا قادرًا رازقًا مُدبرًا محييًا مميتًا ومقتدرًا؛ فمَن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عُبِدَ ظُلمًا، وسُمِّي إلهًا) انظر «لسان العرب».

المستحقّ للعبادة وحدَهُ لا شريكَ له، وإنّما عَبَدُوا آلهةً مُتَعَدِّدَةً، وزعموا أنَّها تقرِّبهُم إلىٰ الله زُلفىٰ، وهم مع ذلك مُعترفونَ بأنَّها لا تَضُرُّ ولا تَنفعُ؛ لذلك لم يجعلهُمُ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - مؤمنينَ رغم اعترافهم بتوحيد الرُّبوبيَّة؛ بل جعلَهُم في عِدادِ الكافرينَ؛ بإشراكِهِم غيرَهُ في العبادة.

فمَن كانَ ربًّا خالقًا، رازقًا، مالكًا، مُتصرِّفًا، مُحييًا، مُميتًا، مَوصوفًا بكلِّ صفاتِ الكمال، ومُنزَّهًا من كلِّ نقصٍ، بيدِهِ كلُّ شيءٍ؛ وَجَبَ أَن يكونَ إلهًا واحدًا لا شريكَ له، ولا تُصْرَفُ العبادةُ إلاَّ لهُ سبحانه.

ومن هنا يَختلفُ مُعْتَقَدُ أَهل السُّنَّة والجماعة عن غيرهم في توحيد الأُلوهيةِ؛ فهم لا يعنونَ كما يعني البعضُ أَنَّ معنىٰ «لا إله إلاَّ الله»: لا خالقَ ولا رازقَ إلاَّ اللهُ فحسبُ؛ بل إنَّ توحيدَ الأُلوهية لا يتحقَّقُ - عندهم - إلاَّ بتحقيق معنىٰ شهادة «لا إله إلاَّ الله»: أي: لا معبود بحقٍّ إلاَّ الله، ومعنىٰ هذا أَنَّ توحيدَ الأُلوهيَّةِ؛ يقتضي إفرادَ الله تعالىٰ وحدَهُ بالعبادة.

والعبادةُ: تكونُ بقولِ القلبِ واللِّسان وبعملِ القلبِ والجوارح.

وتحقيقُ شهادة أن «لا إله إلاَّ الله» لها ركنان عظيمان:

أَوَّلاً: أَن تُصرفَ جميعُ أَنواعِ العبادةِ لله تعالىٰ وحدَه، لا شريكَ له.

ثانيًا: أَن لا يُصرفَ شيءٌ من هذه العبادات لغير الله تعالىٰ.

ومعنىٰ ذلك؛ أَن لا يُعْطَىٰ المخلوقُ شيئًا من حقوقِ الخالقِ وخصائِصِه، والتي لا يقدرُ عليها إلاَّ اللهُ تعالىٰ، أَي: أَن لا يُعبدُ إلاَّ اللهُ تعالىٰ، ولا يُصلَّىٰ لغير الله، ولا يُسْجَدُ لغير الله، ولا يُنْذَرُ ولا يُذبحُ لغير الله، ولا يُتَوكَّلُ علىٰ غيرِ الله، ولا يُستعانُ إلاَّ بالله، ولا يُدعىٰ غيرُه تعالىٰ، إلىٰ غير ذلك من الأُمور التي هي من خصائِصِ الله - تبارك وتعالىٰ - وحدَه.

والعبادةُ التي تُصرف لله تعالىٰ وحدَه لا تصحُّ إلاَّ بشرطين:

الأَوَّل: الإخلاص: أَن تكون العبادة خالصةً لوجه الله تعالىٰ.

الثاني: المتابعة للرَّسُولِ ﷺ، أَي: أَنْ يُعْبَدَ اللهُ بما شرعَ، وطاعته فيما أَمر، وتصديقه فيما أَخبر، وأَنْ تكونَ العبادةُ موافقةً - مكانًا وزمانًا - لِمَا أَمَرَ به رسُول الله ﷺ، واجتنابُ ما نَهَىٰ عنه وزَجَر.

▪ فتوحيدُ اللهِ – سبحانَهُ – بالعبادَةِ، والخُضُوعِ، والطَّاعَةِ، والمحبَّة: هو تحقيقُ شهادةِ أَن ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ﴾.

▪ ومتابعةُ رسُولِ اللهِ ﷺ والإذعانُ لِمَا أَمَرَ بِهِ، ونهىٰ عنهُ، والانقيادُ المطلقُ له؛ هو تحقيقُ شهادة أَنَّ ﴿ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﴾.

فمنهجُ أَهلِ السُّنَّة والجماعة:

أَنَّهم يَعبُدونَ اللهَ تعالىٰ ولا يُشركُونَ به شيئًا؛ فلا يَسأَلون إِلاَّ اللهَ، ولا يَستَعينونَ إِلاَّ باللهِ، ولا يَستغيثُونَ إِلاَّ بِهِ سبحانَهُ، ولا يتوكَّلون إِلاَّ عليه جلَّ وعلا، ولا يَخافُونَ إِلاَّ منْهُ، ويَتقرَّبون إِلىٰ اللهِ تعالىٰ بطاعتِهِ، وعبادتِهِ، وبصالحِ الأَعمال، قالَ تعالىٰ:

﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ ولاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾(١).

٣- توحيدُ الأَسماء والصِّفات:

معناهُ: الاعتقادُ الجازمُ بأَنَّ اللهَ – عزَّ وجلَّ – لَهُ الأَسماءُ الحُسْنىٰ والصِّفاتُ العُلىٰ، وهو متَّصفٌ بجميعِ صفاتِ الكمال، ومنزَّهٌ عن جميعِ صفاتِ النَّقْصِ متفرِّدٌ بذلك عن جميعِ الكائنات.

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

وأهلُ السُّنَّةِ والجماعة: يَعْرِفُونَ ربَّهم بصفاتِهِ الواردةِ في القرآنِ والسُّنَّة، ويَصِفُونَ ربَّهم بما وصفَ به نفسَه، وبما وصفَهُ به رسُولُهُ ﷺ ولا يُحرِّفُونَ الكَلِمَ عن مواضِعِه، ولا يُلحِدُونَ في أَسمائِهِ وآياته، ويُثبتُونَ لله ما أثبتَ لنفسه من غيرِ تمثيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تحريفٍ(*). وقاعدتُهُم في كلِّ ذلك قولُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

وقولُه: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢).

وأهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: لا يُحدِّدُونَ كيفيَّةَ صفاتِ اللهِ تعالىٰ؛ لأنَّه - جلَّ وعَلا - لم يُخبِرْ عنِ الكيفيةِ، ولأنَّه لا أحدَ أعلمُ من اللهِ - سبحانه - بنفسِه.

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ١١. (٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(*) «الإلحاد»: هو الميل عن الحق والانحراف عنه؛ ويدخل فيه «التعطيل، والتحريف، والتكييف، والتمثيل».

● التعطيل: عدم إثبات الصفات، أو إثبات بعضها ونفي الباقي.

● التحريف: تغيير النص لفظاً أو معنىً، وصرفه عن معناه الظاهر إلىٰ معنًى لا يدل عليه اللفظ إلاَّ باحتمال مَرجوحٍ؛ فكلُّ تحريف تعطيل، وليس كلُّ تعطيلٍ تحريفًا.

● التكييف: بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات.

● التمثيل: إثبات المثل للشيء؛ مشابهاً له من كلِّ الوجوه.

قالَ تعالىٰ: ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢).

ولا أحدَ أعلمُ باللهِ بعدَ اللهِ، من رسولِه ﷺ الذي قالَ اللهُ في حقِّهِ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(٣).

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يؤمنونَ بأنَّ الله تعالىٰ هو الأوَّلُ الذي ليس قبلَهُ شيءٌ، والآخِرُ الذي ليس بعدَهُ شيءٌ، والظَّاهرُ الذي ليس فوقَهُ شيءٌ، والباطنُ الذي ليس دونَهُ شيءٌ، كما قالَ سبحانَهُ:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٤).

وكما أنَّ ذاتَه - سبحانه وتعالىٰ - لا تُشْبِهُ الذَّواتِ، فكذلك صفاتُهُ لا تُشْبِهُ الصِّفاتِ؛ لأنَّه - سبحانه - لا سَمِيَّ لَهُ، ولا كُفْءَ لَهُ ولا نِدَّ لَه، ولا يُقاسُ بخلقِهِ؛ فيُثبِتُونَ للهِ ما أَثْبَتَهُ لنفسِهِ إثباتاً بلا تمثيلٍ وتنزيهاً بلا تعطيلٍ؛ فحين يُثبتون لله ما أثبته لنفسه لا يُمثِّلونَ، وإذا نزَّهُوهُ لا يُعَطِّلون الصفاتِ التي وَصَفَ نفسَه بها.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.
(٢) سورة النحل، الآية: ٧٤.
(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٣.

ويُؤمنونَ أنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - محيطٌ بكلِّ شيءٍ، وخالقُ كلِّ شيءٍ، ورازقُ كلِّ حيٍّ، قال تعالىٰ:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(٢).

ويؤمنونَ بأنَّ اللهَ تعالىٰ استوىٰ(*) علىٰ العرشِ فوقَ سبعِ سموات، كما يؤمنون بعُلُوِّهِ تعالىٰ علىٰ خلقِهِ، وأنَّه بائنٌ من خلقِهِ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، كما أخبرَ عن نفسه في كتابه العزيز، وفي سَبْعِ آياتٍ كريماتٍ؛ بلا تكييفٍ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾(٤)(**).

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.
(٣) سورة طه، الآية: ٥.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٤.

(*) الاستواء علىٰ العرش والعلو؛ صفتان نثبتهما لله تعالىٰ إثباتًا يليق بجلاله، وتفسيرُ كلمة «استوىٰ» عند السَّلف: (استقر، علا، ارتفع، صعد) والسَّلف يفسرونها بهذه الكلمات لا يتجاوزونها ولا يزيدون عليها، ولم يَرِدْ في تفسير السَّلف تفسيرُها بمعنىٰ: (استولىٰ، ولا ملك، ولا قهر). • الكيف مجهول لا يعلمه إلاَّ الله. • الإيمان به واجب لثبوت الأدلة. • والسؤال عنه بدعة؛ لأنَّ كيفية الاستواء لا يعلمها إلاَّ الله، ولأنَّ الصحابة - أيضًا - لم يسألوا الرسول ﷺ عن الكيفية.

(**) قال الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه - رحمه الله - في هذه الآية: (إجماع أهل العلم أنَّه فوق العرش استوىٰ، ويعلمُ كُلَّ شيءٍ في أسفلِ الأرضِ السابعة) رواه الإمام الذهبي - بسند صحيح - في «العلو للعليِّ الغفار».

وقال تعالىٰ: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[(٣)].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنا أَمِينُ مَنْ فِي السَّماءِ؟»[(٤)].

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يؤمنون بأَنَّ الكرسيَّ والعرشَ حقٌّ لا ريب فيه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[(٥)].

والعرشُ أَعلىٰ المخلوقات وأَكبرها لا يقدِّر قدره إِلاَّ اللهُ، والكرسيُّ في العرشِ كحلْقةٍ مُلقاةٍ في فلاةٍ وَسِعَ السَّمواتِ والأَرضَ، والله تعالىٰ مستغنٍ عن العرشِ والكرسيِّ وهو سبحانه منزَّهٌ عن أَن يحتاجَ إِلىٰ العرش، وما دونَهُ، فشأْنُ اللهِ تعالىٰ أَعظمُ

(١) سورة الملك، الآيتان: ١٦ - ١٧.
(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٣) سورة النحل، الآية: ٥٠.
(٤) رواه البخاري في (كتاب المغازي) باب: «بعثة علي بن أبي طالب إلى اليمن».
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

من ذلك بل العرشُ والكرسيُّ محمولانِ بقُدرتِهِ وسُلطانِه سبحانه.

وأنَّ الله تعالىٰ خلَقَ آدم - عليه الصَّلاةُ والسَّلام - بيدَيْه، وأنَّ كِلْتَا يَدَيْه يمينٌ، ويداه مبسوطتان يُنفقُ كيفَ يشاءُ، كما وصفَ نفسَهُ سبحانه؛ فقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾(٢).

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يثبتونَ لله تعالىٰ؛ علمًا، وقدرةً، وقوةً، وعزًا، وكلامًا، وحياةً، ومحبةً ورحمةً، وغضبًا ورضًا وسخطًا وكراهيةً، ومعيَّةً، وقدَمًا وساقًا، ويَدًا، وسَمْعًا، وبصرًا، ووجهًا، وعَيْنًا، وغيرَها من الصِّفات التي وَصَفَ الله - عزَّ وجلَّ - بها نفسَه في كتابِه العزيز، وعلىٰ لسانِ نبيِّه ﷺ بكيفيَّةٍ يعلمها الله ولا نعلمُها؛ لأنَّه لم يُخبِرْنَا عن الكيفيَّة، قال الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [التحريم: ٢].

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣].

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

وغيرُها من آياتِ الصِّفات.

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يؤمنونَ بأَنَّ المؤمنينَ يَرَونَ ربَّهم في الآخرةِ بأَبصارهم، ويَزُورُونَهُ ويُكلِّمهُم ويكلِّمونَهُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1].

وأنَّهم سَيَرَوْنَهُ - سبحانه - كما يرونَ القمرَ ليلةَ البدرِ لا يُضامُّون في رُؤْيَتِه كما أَخبرَ النَّبيُّ ﷺ بذلكَ فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُم كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيلةَ البَدرِ لا تُضامُّونَ في رُؤْيتِه»[2].

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.
(٢) «رواه البخاري» في (كتاب مواقيت الصلاة) باب: «فضل صلاة العصر وصلاة الفجر».

وأنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - ينزلُ إلىٰ السَّماء الدُّنيا في الثُّلث الأخير من اللَّيلِ نُزولاً يليقُ بجلاله وعظمته، قال النَّبيُّ ﷺ:

« ينزلُ ربُّنا كلَّ ليْلَةٍ إلىٰ السَّماء الدُّنيا، حِينَ يَبْقىٰ ثُلُثُ اللَّيلِ الآخر؛ فيقول: مَنْ يَدْعُوني فأستَجيبَ لهُ؟ مَنْ يَسأَلُني فأُعطيه، مَنْ يَسْتَغْفرُني فأغفرَ لهُ؟ »(١).

ويؤمنونَ بأنَّ اللهَ تعالىٰ يَجيءُ يومَ الميعادِ للفصلِ بين العباد، مجيئًا يليقُ بجلاله؛ جلَّ شأنُهُ، قال تعالىٰ: ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دكًّا دكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صفًّا صفًّا ﴾(٢).

وقول تعالىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرونَ إلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ والملائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمرُ ﴾(٣).

فمنهجُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في الإيمان بالله تعالىٰ يتلخص:

بالإيمانِ الجازمِ، والإقرارِ الكاملِ، والتسليمِ التَّامِّ؛ بما أَخبرَ به اللهُ تعالىٰ وأَخبر به رسُولُه ﷺ والعملِ بهما من جميعِ وجُوهِهِمَا، من دون تردُّدٍ أَو شكٍّ، أَو رَيْبٍ؛ كما قالَ الإمامُ الجليلُ - التَّابعيُّ الفقيهُ - محمَّدُ بن مسلمٍ الزُّهريُّ، رحمه الله تعالىٰ:

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب التهجد) باب: «الدعاء والصلاة في آخر الليل».
(٢) سورة الفجر، الآيتان: ٢١ - ٢٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(مِنَ اللهِ الرِّسَالةُ وعلىٰ الرَّسولِ البلاغُ وعلينا التَّسليمُ)(١).

وكما قال الإمامُ سُفيانُ بنُ عُيَيْنةَ، رحمهُ الله:

(كلُّ ما وصَفَ اللهُ تعالىٰ به نفسهُ في القرآن فقراءتُهُ؛ تفسيرُهُ لا كيفَ، ولا مِثْل)(٢).

وكما قالَ الإمامُ الشافعيُّ، رحمهُ الله تعالىٰ:

(آمنتُ باللهِ، وبما جاءَ عن اللهِ علىٰ مُرادِ اللهِ، وآمنتُ برسولِ اللهِ وبما جاءَ عن رسولِ اللهِ علىٰ مُرادِ رَسُولِ الله)(٣).

وقال الإمامُ الوليدُ بن مُسلم القُرشي: سألتُ الأوزاعيَّ، وسفيانَ بنَ عُيينَةَ، ومالكَ بن أنَسٍ عن هذه الأحاديثِ في الصِّفاتِ والرُّؤْيَةِ، فقالوا: (أمِرُّوها كَمَا جَاءَتْ بِلاَ كَيْفٍ)(٤).

وقال الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ، رحمهُ الله: (إيَّاكُم والبِدَعَ) قيل: وما البدعُ؟ قال: (أهلُ البِدَعِ هُم الذينَ يَتكلمونَ في أسماءِ اللهِ وصِفاتِهِ وكلامِه وعِلْمِهِ وقُدرتِه، ولا يَسكُتونَ عمَّا سَكَتَ عَنهُ الصَّحابةُ والتَّابعونَ لَهُمْ بإحسان)(٥).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» الإمام الذهبي: ج٥، ص٣٧٧.
(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» الإمام اللالكائي: ج٤، ص٤٧٨ (٧٣٦).
(٣) «لمعة الإعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد» الإمام ابن قدامة المقدسي: ص٧.
(٤) «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة» الإمام اللالكائي: ج٣، ص٥٨٢ (٩٣٠).
(٥) «شرح السُّنَّة» الإمام البغوي: ج١، ص٢١٧.

وسأَلَ رجلٌ؛ الإمامَ مالكًا - رحمه الله - عن قول الله تعالىٰ:

﴿الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ كيفَ استوىٰ؟ فقال:

(الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنهُ بدعةٌ، وما أَراكَ إلاَّ ضالاً)(١).

وقال الإمامُ أَبو حنيفةَ، رحمه الله: (لا يَنْبَغي لأَحدٍ أَن يَنْطِقَ في ذاتِ اللهِ بشيء؛ بل يَصِفهُ بما وَصَفَ به نَفْسَهُ، ولا يَقولُ فيه برأْيهِ شيْئًا؛ تبارك الله رَبُّ العالمين)(٢).

ولما سُئِلَ عن صفةِ النُّزولِ، فقال: (يَنْزِلُ بِلاَ كَيْفٍ)(٣).

وقال الإمامُ نعيمُ بنُ حمَّادٍ الخُزاعيُّ، رحمهُ الله: (مَنْ شبَّه اللهَ بخلقهِ فقد كَفَر، ومَن أَنكرَ ما وصفَ به نَفسَه فقد كَفر، وليس في ما وصفَ به نفسَه ولا رسُولُهُ تَشبيهًا)(٤).

وقال بعضُ أَئمَّةِ السَّلفِ رحمهُمُ اللهُ تعالىٰ:

(قَدَمُ الإسْلامِ لا تَثْبُتُ إلاَّ عَلَىٰ قَنْطَرَةِ التَّسْليم)(٥).

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة» الإمام اللالكائي: ج٣، ص٤٤٠ (١٨٣).
(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» الإمام ابن أَبي العز: ص٤٢٧ تحقيق الأَرنؤوط.
(٣) «عقيدة السلف أَصحاب الحديث» الإمام الصابوني: ص٤٢.
(٤) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة» الإمام اللالكائي: ج٤، ص٥٨٧ (٩٣٦).
(٥) «شرح السُّنَّة» الإمام البغوي: ج١، ص١٧١.

الركن الثاني

الإيمان بالملائكة

الإيمانُ بالملائكةِ: هو الإيمانُ بوجودِهِم إيمانًا جازمًا لا يتطرّقُ إليه شكٌّ، ولا رَيْبٌ، قال اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إليهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤمِنُونَ كُلٌّ آمنَ باللهِ وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلهِ﴾(١).

فمَن يُنكرْ وجودَ الملائكةِ؛ فقد كَفَر، لقوله تعالىٰ:

﴿وَمَنْ يَكفُرْ باللهِ وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾(٢).

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ: يؤمنون بهم إجمالاً وتفصيلاً؛ إجمالاً فيمن لم يُسَمّ، وأمَّا تفصيلاً؛ فَفِيْمَنْ صَحَّ به الدَّليلُ ممّن سمَّاهُ اللهُ ورسُولُهُ ﷺ كجبريلَ الموكَّلِ بالوحي، وميكائيلَ الموكَّلِ بالمطر،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

وإسرافيلَ الموكَّلِ بالنفخِ في الصُّور، ومَلَك الموتِ الموكَّلِ بقبض الأرواح، ومالك خازن النَّار.

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يؤمنونَ بوجودِهم، وأَنَّهم عبادٌ مخلوقونَ، خلقهُمُ اللهُ من نورٍ، وهم ذواتٌ حقيقيَّةٌ، وليسوا قُوًى خفيَّةً، وهم خَلْقٌ من خلقِ اللهِ تعالىٰ.

والملائكةُ؛ خِلْقتُهُمْ عظيمةٌ، منهم مَن له جناحان، ومنهم مَن له ثلاثة، ومنهم مَن لَهُ أَربعة، ومنهم مَن لهُ أَكثرُ من ذلكَ، وثبتَ أَنَّ جبريلَ - عليه السَّلام - له ستمائةُ جناحٍ. وهم جندٌ من جنودِ اللهِ، قادرون علىٰ التمثُّلِ بأَمثال الأَشياء، والتشكُّل بأَشكال جسمانيَّة؛ حسبما تقتضيها الحالات التي يأْذنُ بها اللهُ تعالىٰ، وهم مُقرَّبونُ من اللهِ ومكرمونَ. والملائكةُ؛ لا يأَكلونَ ولا يشربونَ، ولا يملُّونَ عبادةَ اللهِ تعالىٰ، ولا يفترونَ ولا يَتعبونَ ويتَّصفونَ بالحُسنِ والجمالِ والحياءِ والنِّظامِ.

والملائكةُ؛ يختلفونَ عن البشر؛ بأَنَّهم جُبِلُوا علىٰ الطَّاعةِ وعدم العصيان خلقهُمُ اللهُ لعبادته وتنفيذ أَوامره، قال تعالىٰ عنهم:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾(١).

والملائكةُ؛ يَخشونَ اللهَ تعالىٰ ويخافونَهُ، ويُسَبِّحونَهُ ليلاً ونهارًا، ويطوفونَ بالبيتِ المعمور الذي في السَّماء السَّابعة.

والملائكةُ أَصنافٌ كثيرة:

منهم؛ المُوكَّلُونَ بِحمْلِ العرش، ومنهم الموكَّلُونَ بالوحيِ، ومنهم؛ المُوكَّلُون بالجبال، ومنهم؛ خَزَنَةُ الجنَّةِ وخزنةُ النَّار.

ومنهم؛ الموكَّلُونَ بحفظِ أَعمال العباد، ومنهم؛ الموكَّلُونَ بقبضِ أَرواح المؤمنينَ، ومنهم؛ الموكَّلُونَ بقبضِ أَرواحِ الكافرين، ومنهم؛ المُوكَّلُونَ بسؤال العبد في القبر.

ومنهم؛ مَن يَستغفرونَ للمؤمنين ويصلُّون عليهم ويحيُّونَهُم، ومنهم؛ مَن يَشهدونَ مجالسَ العلم وحَلقات الذِّكر؛ فيَحُفُّونهم بأَجنحتهم، ومنهم؛ مَن هو قرينٌ للإنسانِ لا يُفارِقُهُ، ومنهم؛ مَن يدعو العبادَ إِلىٰ فعلِ الخير، ومنهم؛ مَن يَشهدونَ جنائزَ الصَّالحين، ويقاتلُونَ معَ المؤمنينَ، ويُثبِّتونهُم في جهادِهِم مع أَعداءِ الله.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦ - ٢٨.

ومنهم؛ الموكَّلُونَ بحمايةِ الصالحينَ، وتفريجِ كُرَبِهم، ومنهم؛ الموكَّلُونَ بالعذاب.

والملائكةُ؛ لا يَدْخُلُونَ بيتًا فيه تمثالٌ، ولا صورةٌ، ولا كلبٌ، ولا يُصاحبونَ رُفقةً فيها جرسٌ، وَيَتأذَّوْنَ ممَّا يتأذَّىٰ منه بنو آدم.

قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ المَلائِكَةَ لا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ»(١).

وقال: «لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ»(٢).

وقال: «لا تَصْحَبُ المَلائِكَةُ رُفْقَةً فِيها كَلْبٌ ولا جَرَسٌ»(٣).

والملائكةُ؛ كثيرونَ لا يَعلمُ عددَهُم إلاَّ اللهُ، قال تعالىٰ:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾(٤).

وقد حَجَبَهم اللهُ تعالىٰ عنَّا؛ فلا نراهُم في صُوَرِهِم التي خُلِقوا عليها، ولكن كَشَفَهم لبعضِ عبادِه؛ كما رأىٰ النبيُّ ﷺ جبريلَ علىٰ صورتِه التي خَلَقَهُ اللهُ عليها مرَّتين، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴾(٥).

---

(١)، (٢) «رواهما مسلم» في (كتاب اللباس والزينة) باب: «تحريم تصوير صورة الحيوان».
(٣) رواه مسلم في (كتاب اللباس والزينة) باب: «كراهية الكلب والجرس في السفر».
(٤) سورة المدثر، الآية: ٣١.   (٥) سورة النجم، الآيتان: ١٣ – ١٤.

الركن الثالث

الإيمان بالكتب

أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يؤمنُونَ ويعتقدُونَ اعتقادًا جازمًا أَنَّ اللهَ تعالىٰ أَنـزَلَ علىٰ رُسُلِهِ كُتُبًا فيـها أَمرُهُ ونَهْيُهُ، ووعدُهُ ووعيدُه، وما أَرادَهُ اللهُ من خلْقِهِ، وفيها هُدًىٰ ونورٌ، قال الله تعالىٰ:

﴿آمنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ إليـهِ مِنْ رَبِّه وَالْمُؤْمِنونَ كُلٌّ آمَنَ باللهِ وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ﴾[1].

وأنَّه أَنزلَ كُتُبَهُ علىٰ رُسُلِهِ لهدايةِ البشريَّةِ جَمْعَاءَ، قال تعالىٰ:

﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد﴾[2].

ومن هذه الكُتب التي ثَبَتَتْ في الكتابِ والسُّنَّة: القُرآنُ، والتَّوراةُ، والإنجيلُ، والزَّبورُ، وصُحفُ إبراهيمَ وموسىٰ، وأَعظمُهَا: التَّوراةُ، والإنجيلُ، والقُرآنُ، وأَعظمُ الثلاثةِ وناسِخُها وأَفضَلُها هو

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

القُرآنُ العظيم. ولم يتكفَّلِ اللهُ - سبحانه - بحفظِ شيءٍ من هذه الكُتب - عَدَا القرآنَ - بل استُحفظَ عليها الأَحبارُ والربَّانيُّون؛ لكنَّهم لم يُحافظوا عليها، وما رَعَوها حقَّ رعايتها؛ فحَصَلَ فيها تغييرٌ وتبديلٌ، فضاعَتْ أُصولُها وغُيِّرَت أَحكامُها.

والقُرآنُ العَظيم: هو كلامُ رَبِّ العالمينَ، وكتابُهُ المبينُ، وحبلُهُ المتينُ؛ أَنزلَهُ اللهُ علىٰ رسولِه الأَمينِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ ليكونَ منهجًا للأُمَّة، وَمُخْرِجًا للنَّاسِ من الظلماتِ إِلىٰ النُّور، وهاديًا لهم إِلىٰ الرشاد، وإِلىٰ الصِّراطِ المستقيم.

وقد بيَّنَ اللهُ تعالىٰ فيه أَخبارَ الأَوَّلين والآخرين، وسيرةَ الأَنبياءِ والصَّالحين، وَخَلْقَ السَّموات والأَراضين، وَفَصَّلَ فيه الحلالَ والحرام، وأُصولَ الآدابِ والأَخلاقِ وأَحكامَ العباداتِ والمعاملات، وجزاءَ المؤمنينَ والكافرينَ. ووَصفَ فيه الجنَّةَ دارَ المؤمنين، والنَّارَ دارَ الكافرينَ، وجَعَلَهُ شفاءً لما في الصُّدُور، وتبيانًا لكلِّ شيءٍ؛ وهدًىٰ ورحمةً للمؤمنينَ، قال تعالىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

ويجبُ علىٰ جميعِ الأُمَّةِ اتِّباعُهُ وتحكيمُه والرجوعُ إِلىٰ أَحكامِهِ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

مع ما صَحَّ من السُّنَّة عن النَّبيِّ ﷺ لأنَّ اللهَ تعالىٰ بَعَثَ رسولَهُ إلىٰ جميع الثَّقلينِ؛ ليبيِّنَ لهم ما أُنْزِلَ إليهمْ من ربِّهم، قالَ تعالىٰ:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يؤمنونَ بأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ تعالىٰ علىٰ الحقيقة - حُرُوفُهُ ومَعَانيه - منه بدأَ وإليه يعود، مُنَزَّلٌ غيْرُ مَخْلُوقٍ؛ تَكَلَّم اللهُ تعالىٰ به حقًّا بصوتٍ مسموعٍ علىٰ ما يليقُ بجلالِهِ، وتلقَّاهُ جبريلُ - عليه السَّلامُ - وسَمِعَهُ من الله فبلَّغه إلىٰ النَّبيِّ محمَّدٍ ﷺ، وتلقَّاهُ محمَّدٌ ﷺ وسمعَهُ منهُ وحفظَهُ في قلبِهِ، وبلَّغَهُ ﷺ إلىٰ أَصحابِهِ الكرام، ومن ثَمَّ إلىٰ أُمَّتِه، وأُنذر به الأُمَمَ؛ أَنزلَهُ الحكيمُ الخبيرُ بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، ونُقِلَ إلينا بالتَّواترِ الذي لا يرقىٰ إليه شكٌّ ولا ريبٌ، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[2].

والقُرآنُ الكريمُ: مكتوبٌ في اللَّوحِ المحفوظِ، وتحفظُهُ الصُّدُورُ، وتتلوُهُ الأَلسُنُ، ومكتوبٌ في الصُّحُفِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ - ١٩٥.

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[١].

وقال: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢].

والقُرآنُ الكريمُ: هو المعجزةُ الكبرىٰ الخالدةُ لنَبِيِّ الإسلامِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ، وهو آخرُ الكُتبِ السَّماويَّة؛ لا يُنْسَخُ ولا يُبدَّلُ، وقد تَكَفَّلَ اللهُ بحفظِهِ من أَيِّ تحريفٍ، أَو تبديلٍ، أَو زيادةٍ، أَو نقصٍ إِلىٰ يوم يَرفعُهُ اللهُ تعالىٰ، وذلك قبلَ يوم القيامة.

قالَ تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٣].

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يُكفِّرون مَنْ أَنكرَ حَرْفًا منه، أَو زَادَ أَو نَقَصَ، وعلىٰ هذا فنَحْنُ نؤمنُ إِيمانًا جازمًا بأَنَّ كلَّ آيةٍ من آياتِ القرآنِ مُنزَّلةٌ من عِنْدِ اللهِ، وقد نُقِلَتْ إِلينا بطريق التَّواتُرِ القطعيِّ.

والقُرآنُ الكريمُ: لم يُنَزَّلْ جُمْلةً واحدةً علىٰ رسولِ الله ﷺ بل نُزِّلَ مُنجَّمًا، أَي: مُفَرَّقًا حَسْبَ الوقائع، أَو جَوابًا عن أَسئلةٍ، أَو حَسْبَ مقتضياتِ الأَحوالِ في ثلاثٍ وعشرينَ سنة.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.
(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧ – ٨٠.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

والقُرآنُ الكريم: يحتوي علىٰ «١١٤» سورةً، «٨٦» منها نزلت في مكَّة، و «٢٨» منها نزلت في المدينة، وتُسمَّىٰ السُّوَرُ التي نزلت قبلَ الهجرة النَّبويَّة بالسُّورِ المكيَّة، والسُّوَرُ التي نزلت بعد الهجرة بالسُّوَرِ المدنيَّة، وفيه تسعٌ وعشرونَ سورةً افتتحت بالحروف المقطَّعة.

والقُرآنُ الكريم: كُتِبَ في عهد النَّبيِّ ﷺ وبمرأىٰ منه؛ حيثُ كان للوَحْي كَتَبَةٌ من خِيرةِ الصَّحابة؛ لا يُفارقونَ النَّبيَّ ﷺ ويكتُبونَ كلَّ ما نَزَلَ من القرآنِ، وكان النَّبيُّ ﷺ يدلُّهم علىٰ موضع كل آيةٍ من سورتها؛ ثم جُمِعَ في عهدِ أَبي بكر الصدِّيق بين دفَّتي المصحف، وفي عهدِ عثمانَ ذي النُّورين علىٰ حرفٍ واحدٍ؛ رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين.

وأَهلُ السُّنَّة والجماعة: يَهتَمُّون بتعليمِ القرآنِ وتَعَلُّمه وحفظه وتلاوتِهِ بحُسن الصَّوت، والانصات إليه إذا قُرِئَ، وتفسيرِهِ علىٰ نهج سلف الأُمَّة، والعملِ بأَحكامه، قال تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1].

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.

وَيَتَعَبَّدُونَ لله تعالىٰ بقراءته؛ لأَنَّ في قراءةِ كلٍّ حرفٍ منه حسنةٌ كما أَخبر النَّبيُّ ﷺ حيث قال: «مَنْ قَرأَ حَرفاً مِن كتابِ اللهِ فَلَهُ به حَسنةٌ، والْحَسَنَةُ بعَشْرِ أمثالِها، ولا أَقولُ: ألم حَرْف، ولكِنْ ألفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْف، وميمٌ حَرْف»(١).

وأَهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ: لا يجيزون تفسيرَ القرآنِ بالرأيِ المجرَّدِ؛ فإنَّه منَ القَولِ علىٰ اللهِ - عزَّ وجلَّ - بغيرِ علمٍ، ومن عملِ الشَّيطان، قال الله تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(١).

بل يُفَسَّرُ القُرآنُ بالقُرآنِ وبالسُّنَّة، ثمَّ بأَقوالِ الصَّحابة، ثمَّ بأَقوالِ التَّابعين، ثمَّ باللُّغةِ العربيةِ التي نَزَلَ بها القُرآن، ثمَّ يجتهدونَ علىٰ ضوءِ هذه المصادر؛ فهم يجمعونَ بين الأَثرِ والنظرِ.

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ) باب: «ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر» وصحَّحه الألباني.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨ - ١٦٩.

الركن الرابع

الإيمان بالرسل

أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة : يُؤمنونُ ويعتقدُونَ اعتقادًا جازمًا بأنَّ اللهَ تعالىٰ أرسَلَ إلىٰ عبادِهِ رُسُلاً مبشِّرين ومنذرين، ودعاةً إلىٰ دينِ الحق؛ لهدايةِ البشر، وإخراجهم من الظُّلمات إلىٰ النُّور.

فكانت دعوتُهُم إنقاذًا للأُممِ من الشِّركِ والوثنيَّة، وتطهيرًا للمجتمعاتِ من التحلُّلِ والفسادِ، وأنَّهم بلَّغوا الرِّسالةَ، وأدَّوا الأمانةَ، ونصحوا أُممهُم، وجاهَدُوا في اللهِ حقَّ جهادِهِ، وقد جاؤوا بدلائلَ باهراتٍ تدُلُّ علىٰ صدقِهم، ومَن كفرَ بواحدٍ منهم؛ فقد كفَرَ باللهِ وبجميعِ الرُّسُل - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - قال تعالىٰ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ

وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١).

وقد بيَّنَ اللهُ - جَلَّ وعَلا - في كتابه العزيز؛ الحكمةَ من بِعثةِ الرُّسُلِ الكِرامِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، فقال تعالىٰ:

﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا ﴾(٢).

ولقد أَرسَلَ اللهُ تعالىٰ رُسُلاً وأَنبياءَ كثيرينَ منهم مَن ذَكَرهم لنا في كتابِه، أَو علىٰ لسانِ نبيِّه ﷺ، ومنهم مَنْ لمْ يُخبرنا عنهم.

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِن قَبْلِكَ مِنْهُم مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَن لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(٤).

والذين وردَت أَسماؤهم في القُرآنِ خمسةٌ وعشرُونَ رَسولاً ونَبيًّا، وهم: آدمُ - أَبو البشر - إِدْرِيسُ، نُوحُ، هُودُ، صالحُ، إِبراهيمُ، لُوطُ، إِسماعيلُ، إِسحاقُ، يعقُوبُ، يُوسُفُ، شُعَيْبُ،

(١) سورة النساء، الآيات: ١٥٠ - ١٥٢ . (٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥ .
(٣) سورة غافر، الآية: ٧٨ .
(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦ .

أيّوبُ، ذُو الكِفْل، مُوسىٰ، هارونُ، داودُ، سُليمانُ، إلْياسُ، الْيَسَعُ، يُونسُ، زكريَّا، يَحْيىٰ، عيسىٰ، ومُحمَّدٌ خاتمُ الأَنبياء والرُّسُل؛ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم أجمعين.

وقد فَضَّلَ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - بعضَ الأنبياءِ والرُّسلِ علىٰ بعضٍ، وقد أَجمعتِ الأُمَّةُ علىٰ أَنَّ الرُّسُلَ أفضلُ من الأَنبياءِ، والرُّسُل بعدَ ذلك متفاضلُونَ فيما بينهم، وأَفضلُ الرُّسُلِ والأَنبياء أُولوُ العزمِ، وهم خمسة: محمَّدٌ، ونُوحٌ، وإبراهيمُ، وموسىٰ، وعيسىٰ، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم أَجمعين.

وأَفضلُ أُولِي العزمِ نَبِيُّ الإسلام، وخاتمُ الأَنبياء والمرسلينَ ورسُولُ رَبِّ العالمين؛ محمَّد بن عبد الله ﷺ.

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يؤمنونَ بهم جميعًا؛ مَن سمَّىٰ اللهُ منهم، ومَن لم يُسَمِّ، من أَوَّلهم آدمَ... إلىٰ آخرهم وخاتمِهِم وأَفضلِهِم نبيِّنا وإمامِنا وقُدوتِنا ومرشدِنا وقائدِنا محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ؛ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم أَجمعين.

والإيمانُ بالرُّسُل إيمانٌ مُجْمَلٌ، والإيمانُ بنبيِّنا ورسُولنا محمَّدٍ ﷺ إيمانٌ مُفَصَّلٌ؛ يقتضي ذلك من المسلمينَ اتِّباعَهُ ﷺ فيما جاءَ به من رَبِّه علىٰ وجه التَّفصيل.

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﴾

«صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم»

هو: أَبو القاسِمِ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنُ عبدِ المطَّلب بنُ هاشمِ بنُ عبدِ مَناف بنُ قُصَيٍّ بنُ كِلاب بنُ مُرَّة بنُ كَعْب بنُ لُؤيِّ بنُ غالِب بنُ فِهْر بنُ مالِك بنُ النَّضْر بنُ كِنانَة بنُ خُزَيْمَة بنُ مُدْرِكَة بنُ إلْياس بنُ مُضَر بنُ نِزَار ابنُ مَعَدّ بنُ عَدْنانَ، وعَدْنانُ من ولد نبيِّ الله إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ علىٰ نبيِّنا وعليهما الصَّلاة والسَّلام.

وهو خاتمُ الأَنبياءِ والمرسلينَ، ورسولُ الله إلىٰ النَّاسِ أَجمعينَ؛ عبدٌ لا يُعبدُ، وَرَسُولٌ لا يُكَذَّبُ، وهو خيرُ الخلائق، وأَفضلهُم وأَكرمهُم عندَ الله تعالىٰ، وأَعلاهُم درجةً، وأَقربهُم إليه وسيلة.

وهو المبعوثُ إلىٰ الثَّقلين؛ بالحقِّ والهدىٰ، بَعَثَهُ اللهُ رحمةً للعالمين، قال تعالىٰ: ﴿ وَما أَرْسَلناكَ إلاَّ رَحْمَةً للعَالمينَ ﴾[١].

أَنزل عليه كتابَهُ وائتمنه علىٰ دينِه، وكلَّفه بتبليغِ رسالته، وقد عصمَه من الزَّلل في تبليغ هذه الرِّسالة، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[٢].

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

ولا يصحُّ إيمانُ عبدٍ حتىٰ يؤمنَ برسالته، ويشهَدَ بنبوَّتِهِ، ومَن أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ، ومَن عصَاهُ دخلَ النَّار، قال الله تعالىٰ:

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحكِّمُوكَ فيمَا شَجَرَ بَينَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا في أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسليماً﴾(١).

وكان كلُّ نَبِيٍّ يُبعثُ إلىٰ قومِهِ خاصَّةً، ومحمَّدٌ ﷺ بُعِثَ إلىٰ النَّاسِ كافَّةً، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بشيرًا وَنذيرًا﴾(٢).

وأَهلُ السُّنَّة والجماعة: يؤمنون بأَنَّ اللهَ - تبارك وتعالىٰ - أَيَّدَ نبيَّهُ ﷺ بالمعجزاتِ (*) الظَّاهرةِ والآياتِ الباهرة:

● ومن تِلكَ المعجزات وأَعظمِها القرآنُ الذي تحدَّىٰ اللهُ تعالىٰ به أَفصحَ الأُمم وَأَبْلَغَهَا، وأَقْدَرَها علىٰ المَنْطِق.

● ومن أَكبر المعجزات - بعد القرآن - التي أَيَّدَ اللهُ بها نبيَّه ﷺ؛ معجزةُ الإسراءِ والمعراج.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.　　(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(*) «المعجزة»: هي أمر خارق للعادة لا يقدر عليه البشر، يظهره الله علىٰ يدِ النبيِّ وفق دعواه تصديقًا له، وإنَّ وقوع المعجزة أمر ممكن ذلك أنَّ الله الذي خلق الأسباب والمسببات قادر علىٰ أن يغيرَ نظامها؛ فلا تخضع لما كانت له من قبل! ولا عجب في ذلك ولا غرابة بالنسبة لقدرة الله التي لا تُحَدُّ بحدود؛ فهو يفعل ما يريد بأسرع من لمح البصر، قال تعالىٰ: ﴿إنَّمَا أَمرُهُ إذا أَرادَ شَيئاً أَن يَقولَ لَهُ كُن فيَكونُ﴾ [يس: ٨٢].

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعة: يؤمنون بأنَّ النَّبيَّ ﷺ عُرِجَ به في اليَقَظَةِ؛ برُوحِهِ وجسدِهِ إلىٰ السَّماء، وذلك في ليلة الإسراء، وقد أُسْرِيَ به ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلىٰ المسجد الأقصىٰ بنصِّ القرآن.

قال الله تعالىٰ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1].

ثمَّ عُرج به ﷺ إلىٰ السَّماء الدُّنيا، حيثُ صَعد حتىٰ السَّماءِ السَّابعة، ثمَّ فوق ذلك إلىٰ حيثُ شاءَ اللهُ تعالىٰ من العُلىٰ، إلىٰ سدرة المنتهىٰ عندها جنَّةُ المأوىٰ، والنَّعيمُ الدَّائمُ، ودارُ الخُلدِ.

وأكرمَهُ اللهُ بما شاءَ، وأوحىٰ إليه ما أوحىٰ وكلَّمَهُ، وشرعَ له خمسَ صلواتٍ في اليومِ والليلةِ، ودخلَ الجنَّةَ فاطَّلع عليها، واطَّلعَ علىٰ النَّار، ورأىٰ الملائكةَ، ورأىٰ جبريلَ علىٰ صورتِه الحقيقيَّة التي خلقه اللهُ عليها، وما كذبَ فؤادُ النَّبيِّ ﷺ ما رأىٰ؛ بل كانَ كلُّ ما رآه بعينَيْ رأسه حقًّا، تعظيمًا له وتشريفًا علىٰ سائرِ الأنبياء وإظهاراً لعُلُوِّ مقامِه ﷺ فوق الجميع، ثم نزل بيتَ المقدس وصلَّىٰ إمامًا بالأنبياء - عليهم الصَّلاة والسَّلام - ثم عاد إلىٰ مكةَ قبل الفجر.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

ومن معجزاته أيضًا؛ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

• انشقاقُ القمرِ: آيةٌ عظيمةٌ أعطاهَا اللهُ لنبيِّه ﷺ دليلاً علىٰ نبوَّته، وكان ذلك في مكَّةَ حينما طَلبَ المشركون منه آية.

• تَكْثِيرُ الطَّعامِ له، وقد وقعَ هذا منه ﷺ أكثرَ من مَّرة.

• تَكْثِيرُ الماءِ ونبعُهُ من بين أَصابعه الشَّريفة، وتسبيحُ الطَّعام له وهو يُؤْكَلُ، وقدَ وقعَ هذا الشيءُ كثيرًا من الرسول ﷺ.

• إبراءُ المرضَىٰ، وشفاءُ بعضِ أَصحابِهِ علىٰ يديه ﷺ دون دواءٍ حسِّيٍّ.

• أَدبُ الحيوان معهُ، وإذعانُ الأَشجارِ إليه، وتسليمُ الأَحجارِ عليه؛ صلواتُ الله وسلامُهُ عليه.

• انتقامُ الله تعالىٰ؛ العاجلُ من بعضِ مَن خَانَهُ ﷺ وعانَدَه.

• إخبارُه ببعضِ الأُمورِ الغيبيَّة، وإخبارُه عن الأُمورِ التي وقعتْ بعيدًا عنه فورَ وقوعِها، وإخبارُه عن أُمورٍ غيبيَّة قبل حُدُوثها؛ فحدثت بعد ذلك كما أَخبر بها ﷺ.

• عُقوبة مَن لم يُوَقِّرهُ ﷺ أَو يُوقِّرْ قوله.

• إجابةُ دعائِهِ ﷺ عامَّة.

• وحِفْظُ الله تعالىٰ له ﷺ وكفُّ الأَعداءِ عنهُ.

فعن أَبي هريرةَ – رضي الله عنه – قال: قال أَبو جَهْلٍ: هل يُعَفِّرُ محمَّدٌ وجهَهُ بين أَظهُرِكُمْ؟ قالَ: فقيل: نَعم! قالَ: واللاتِ والعُزَّىٰ لئن رأيتُهُ يفعل ذلك لأَطَأَنَّ علىٰ رقَبَتِهِ، أو لأُعَفِّرَنَّ وجهَهُ في التُّراب. قالَ: فأَتَىٰ رسُولَ الله ﷺ وهو يُصلِّي زَعَمَ لِيَطأَ علىٰ رقبتِهِ، قالَ: فما فجأَهُم منه إلاَّ وهو يَنْكُصُ علىٰ عَقبيهِ ويتَّقي بيدَيه، قالَ: فقيل لهُ: مَا لَكَ؟ فقال: إنَّ بيني وبينه لخندقًا من نارٍ وهَوْلاً وأَجنحةً؛ فقال رسولُ اللهِ ﷺ:

«لَوْ دَنا مِنِّي لاَخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَةُ؛ عُضْوًا عُضْواً»(١)(*).

---

(١) «رواه مسلم» في (كتاب صفات المنافقين) باب: «قوله: ﴿إن الإنسان ليطغىٰ﴾».

(*) تنبيه لحقيقة معنىٰ الإيمان برسول الله ﷺ! ومعناها: تصديقه، وطاعته، واتِّباع شريعته. وأنَّ لهذا الإيمان مقتضيات وشروط لا يتم إيمان العبد إلاَّ بها؛ فينبغي للمسلم أن يعرفها ويحيط ويلتزم بها؛ اعتقادًا وقولاً وعملاً، نذكر بعضها:

- أنه ﷺ: رسول الله إلىٰ العالمين جميعًا – إنسهم وجنّهم – وليس خاصًا بالعرب.
- أنه ﷺ: خاتم النبيين والمرسلين؛ فلا نبي بعده.
- أنه لا يصح إيمان ولا إسلام أحد بعد بعثته ﷺ إلاَّ بالإيمان به واتباعه؛ لأنَّ رسالته ناسخة لما قبله من الشرائع.
- أنه ﷺ: بلَّغ البلاغ المبين، وأدَّىٰ الأمانة، ونصح لأُمّته؛ حتىٰ تركهم علىٰ المحجّة البيضاء ليلُها كنهارِها، وليس هناك طريق إلىٰ الله تعالىٰ؛ إلاَّ عن طريقه ﷺ.
- أنه ﷺ: معصومٌ من الأخطاء في تبليغ رسالته.
- أنه ﷺ: عبدُ الله ورسولُهُ؛ فلا افراط فيه ولا تفريط.
- وجوبُ تقديم محبتِهِ ﷺ: علىٰ النفس، والولد، والوالد، والنَّاس أجمعين.
- طاعتُهُ ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وأن لا يعبد اللهُ تعالىٰ إلاَّ بما شرع؛ فكلّ عبادة لم تأتِ عن طريقه، ولم يشرعها؛ فهي بدعة ضلالة.

الركن الخامس

الإيمان باليوم الآخر

أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يعتقدونَ ويؤمنونَ باليومِ الآخرِ، ومعناه: الاعتقادُ الجازمُ والتَّصديقُ الكاملُ؛ بيومِ القيامة، والإيمانُ بكلِّ ما أَخبر به اللهُ تعالىٰ في كتابِهِ وأَخبرَ به رسولُهُ ﷺ ممَّا يكون بعدَ الموتِ، وحتىٰ يدخلَ أَهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأَهلُ النَّارِ النَّار .

لقد أَكَّدَ اللهُ تعالىٰ ذكرَ اليوم الآخر في كتابه العزيز في مواضعَ كثيرةٍ، وربطَ الإيمانَ به بالإيمانِ بالله، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾(١) .

وأَهلُ السُّنَّة والجماعة: يؤمنونَ بأَنَّ وقتَ قيامِ السَّاعةِ عِلمُهُ عندَ اللهِ تعالىٰ لا يعلَمُهُ أَحدٌ إِلاَّ هو سبحانه، قال تعالىٰ:

﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾(٢) .

وإِذا كان اللهُ قد أَخفىٰ وقتَ وقوعِ السَّاعةِ عن عبادِهِ؛ فإِنَّه

(١) سورة البقرة، الآية: ٤ .

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤ .

تعالىٰ قد جعلَ لها أَمارات وعلامات وأَشراطًا؛ تدلُّ علىٰ قُربِ وقوعها. ويؤمنون بكلِّ ما وقعَ وسيَقَعُ من أَشراط السَّاعةِ الصُغرىٰ والكُبرىٰ التي هي أَماراتٌ علىٰ قيامِ السَّاعة؛ لأَنَّها تدخُلُ في الإيمان باليوم الآخر.

علاماتُ السَّاعةِ الصُّغرىٰ:

وهيَ التي تتقدَّمُ قيام السَّاعة بأَزمان متفاوتة، وتكونُ من النوع المعتادِ وقد يظهرُ بعضُها مُصاحبًا للأَشراط الكُبرىٰ، وعلاماتُ أَشراط السَّاعة الصُّغرىٰ كثيرةٌ جدًا؛ نذكُرُ شيئًا مما صحَّ منها:

فمِنْ ذلك بعثةُ النَبِيِّ محمَّد ﷺ وختمُ النبوَّةِ والرِّسالة به، وموتُهُ ﷺ وفتحُ بيت المقدس، وظُهورُ الفتن، واتِّباعُ سَنَنِ الأمم الماضية من اليهود والنَّصارىٰ، وخروجُ الدجَّالين، وأَدعياءِ النبوَّة.

ووَضعُ الأَحاديث المكذوبةِ علىٰ رسولِ الله ﷺ ورفضُ سُنَّتِهِ، وكثرةُ الكذب، وعدمُ التثبُّت في نقلِ الأَخبار، ورفعُ العلم والتماسُ العلم عند الأَصاغر، وظهورُ الجهل والفساد، وذهابُ الصَّالحين، ونقضُ عُرىٰ الإسلام عُروةً عُروةً، وتداعي الأُمم علىٰ أُمَّة محمَّدٍ ﷺ ثم غُربةُ الإسلامِ وأَهله.

وكَثرةُ القَتْل، وتمنِّي الموتِ من شدَّةِ البلاء، وغِبْطةُ أَهلِ

القبور وتمنّي الرَّجل أن يكونَ مكانَ الميِّتِ من شدَّة البلاء، وكثرةُ موتِ الفَجْأة والموتِ في الزَّلازل والأمراض، وقلَّةُ عدد الرِّجال، وكثرةُ النِّساءِ، وظُهورهُنَّ كاسياتٍ عاريات، وتفشِّي الزِّنا في الطُّرقات، وظهورُ أعوان الظَّلمةِ الذينَ يجلِدونَ النَّاس.

وظُهورُ المعازف، والخمر، والزِّنا، والرِّبا، والحرير، واستحلالُها، وظهورُ الخَسْفِ، والمَسْخِ، والقَذْف.

وتضييعُ الأمانة، وإسنادُ الأمر إلىٰ غير أهله، وزعامةُ الأراذل من النَّاس، وارتفاعُ أسافلِهِم علىٰ خيارهم، وولادةُ الأمَةِ ربَّتها.

والتَّطاوُلُ في البنيان، وتباهي النَّاس في زخرفةِ المساجد، وتغيُّرُ الزَّمان؛ حتىٰ تُعْبَدَ الأوثانُ، ويظهرَ الشِّركُ في الأُمَّة.

والسَّلامُ علىٰ المعارف فقط، وكثرةُ التجارة، وتقارُبُ الأسواقِ ووجودُ المال الكثير في أيدي النَّاس مع عدم الشُّكر، وكثرةِ الشُّحِّ.

وكثرةُ شهادة الزُّور، وكتمانُ شهادة الحقِّ، وظهورُ الفحش، والتَّخاصُمُ والتَّباغُضُ والتَّشاحُنُ، وقطيعةُ الرَّحِمِ، وسُوءُ الجوار.

وتقارُبُ الزَّمان وقلةُ البركة في الأوقات، وانتفاخُ الأهلَّة، وحدوثُ الفتنِ كقطعِ اللَّيلِ المظلم، ووقوعُ التَّناكر بين النَّاس.

والتَّهاونُ بالُسنن التي رَغَّبَ فيها الإسلامُ، وتشبُّهُ الشيوخ بالشَّباب. وكلامُ السِّباعِ والجماداتِ للإنسِ، وحسرُ ماءِ الفُراتِ عن جبلٍ من ذهبٍ، وصِدْقُ رُؤْيا المؤمن.

وما يقعُ في مدينةِ رسول الله ﷺ حيثُ تنفي الخبثَ، فلا يبقىٰ فيها إلَّا الأَتقياءُ الصَّالحون. وعودةُ جزيرة العربِ مروجًا وأَنهارًا، وخروجُ رجلٍ من قحطانَ يدينُ له النَّاس.

وكَثْرةُ الرُّوم وقتالُهُم للمسلمينَ، وقتالُ المسلمينَ لليهود حتىٰ يقولَ الحجرُ والشَّجرُ: «يا مُسْلِمُ هَذا يَهُودِيٌّ؛ فَتَعالَ فَاقْتُلْهُ»[(١)].

وفتحُ رُومَا كما فُتِحَتْ القسطنطينيَّةُ.. إلىٰ غيرِ ذلكَ من علامات السَّاعةِ الصُّغرىٰ الثابتةَ في الأَحاديث النبويَّة الصَّحيحة.

علاماتُ السَّاعةِ الكُبرىٰ:

وهي الأُمورُ العظامُ والأَشراطُ الجسامُ التي تدُلُّ علىٰ قُربِ قيام السَّاعة؛ فإذا ظهرتْ كانت السَّاعةُ علىٰ إثرها، وأَهلُ السُّنَّة والجماعة يؤمنونَ بها كما جاءت عن النَّبِيِّ ﷺ ومنها:

ظُهُورُ المهدي: وهو محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ من أَهل بيت النَّبِيِّ

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الجهاد) باب: «قتال اليهود».

ﷺ ويخرجُ من قِبَل المشرق ويُبايَعُ له عندَ الكعبةِ؛ يملكُ سبعَ سنينَ، يملأُ الأَرضَ قِسطًا وعَدلاً بعدَما مُلئت ظُلمًا وجورًا؛ ويُعطي المالَ بغير حساب، تَنعمُ الأُمَّةُ في عهده نعمةً لم تَنْعَمْها قطُّ، تُخرِج الأَرضُ نباتها، وتُمطِرُ السَّماءُ قطرها.

وخروجُ المسيح الدَّجَّال(*) ونزولُ المسيح عيسىٰ بن مريم - عليه السَّلام - عندَ المنارةِ البيضاء شرقيَّ دمشقَ الشَّامِ، وينزلُ حاكمًا بشريعةِ محمَّدٍ ﷺ عاملاً بها، وأنَّه يَقتلُ الدَّجَّال، ويَحكُمُ في الأَرضِ بالإِسلام، ويكون نزولُه علىٰ الطَّائفة المنصورة التي تُقاتلُ علىٰ الحقِّ، وتكونُ مُجتمعةً لقتالِ الدَّجَّال؛ فينزلُ وقت إقامة الصَّلاة، ويُصلِّي خلفَ أَمير تلك الطَّائفة.

وخروجُ يأْجُوجَ ومأْجُوجَ، ووقُوعُ الخُسوفاتِ الثَّلاثةِ: خَسْفٌ بالمشرق وخَسْفٌ بالمغرب وخَسْفٌ بجزيرة العرب وخروجُ الدُّخان وطُلوعُ الشَّمسِ من مغرِبها، وخروجُ دابَّةِ الأَرضِ من موضعها وتكليمُها للنَّاس، وظهورُ النَّار التي تَسُوقُ النَّاس إلىٰ أَرض المحشر.

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يؤمنونَ بكلِّ ما يكونُ من أُمورِ

(*) وفتنة ظهور المسيح الدَّجَّال من أعظم الفتن؛ لأنَّ الدَّجَّال هو منبع الكفر والضلال والفتن، ومن أَجل ذلك فقد حذَّر منه الأنبياء أقوامهم، وكان النبيُّ ﷺ يستعيذ من فتنة الدَّجَّال دُبُر كل صلاة، وحذَّر منه أُمَّته.

الغيب بعدَ الممات، مما أخبرَ به اللهُ ورسولُهُ ﷺ من سَكَراتِ الموت، وحضورِ ملائكة الموت، وفرحِ المؤمن بلقاء ربِّه، وحضورِ الشيطانِ عندَ الموت، وعدمِ قبول إيمانِ الكافر عندَ الموت، وعالَم البَرْزَخ، ونعيمِ القبر وعذابِه وفتنتِه للرُّوحِ والجسد، وسُؤالِ الملكين، وأَنَّ الشُّهداءَ أَحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون، وأَنَّ أَرواحَ أَهل السَّعادة مُنَعَّمَةٌ، وأَرواحَ أَهل الشَّقاوة مُعَذَّبة.

ويؤمنونَ بيومِ القيامةِ الكبرىٰ الذي يُحيي اللهُ فيه الموتىٰ، ويَبعثُ العبادَ من قبورهم، ثمَّ يحاسبهم.

وأَهلُ السُّنَّة والجمَاعَة: يؤمنونَ بالنَّفخ في الصُّور، وهي نفختانِ علىٰ الصَّحيحِ وقيل: ثلاثُ نَفَخاتٍ: الأُولىٰ: نفخةُ الفزعِ.

والثانية: نفخةُ الصَّعْقِ التي يتغيَّر بها العالَمُ المُشاهَد، ويختلُّ نظامُه، وفيها الفناءُ والصَّعْقُ، وفيها هلاكُ مَن قضىٰ اللهُ إهلاكَهُ.

والثالثة: نفخةُ البعث، والنُّشُور، والقيام لِرَبِّ العالمين.

ويؤمنونَ بالبَعْثِ والنُشُور، وأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن في القبور؛ فيقومُ النَّاسُ لرَبِّ العالمينَ حُفاةً عُراةً غُرْلاً، تَدْنُو منهم الشَّمْسُ؛ فيعرقون علىٰ قَدْرِ أَعمالهم، منهم مَن يُلْجِمُهُ العَرقُ، وأَوَّلُ مَن يُبْعَثُ وتنشقُّ عنه الأَرضُ نبيُّنا محمدٌ ﷺ.

وفي ذلك اليومِ العظيم يَخرجُ النَّاسُ من الأَجداث كأنَّهم جرادٌ منتشرٌ، مُسْرِعينَ مُهطعينَ إلىٰ الدَّاعي، وقد خفتت كلُّ حركة، وخيَّمَ الصمتُ الرَّهيبُ، حيثُ تُنشر صحفُ الأَعمال؛ فيُكشفُ المخبوءُ، ويَظهرُ المستورُ، ويُفْتَضَحُ المكنونُ في الصُّدُورُ، ويكلِّمُ اللهُ عبادَهُ يومَ القيامَةِ ليسَ بينهُ وبينهم ترجُمانٌ، ويُدعىٰ النَّاسُ بأَسمائِهم وأَسماءِ آبائهم.

ويؤمنونَ بالميزانِ الذي له كفَّتانِ تُوزنُ به أَعمالُ العباد.

ويؤمنونَ بما يكونُ من نشرِ الدَّواوينِ، وهي صحائفُ الأَعمالِ؛ فآخذٌ كتابَه بيمينه، وآخذٌ كتابهُ بشمالِهِ، أَو من وراءِ ظَهره.

وأَنَّ الصِّراطَ أَحَدُّ من السيفِ وأَدقُّ من الشَّعرةِ؛ مَنْصُوبٌ علىٰ متنِ جهنَّمَ؛ يَتجاوَزُهُ الأَبرارُ، ويزلُّ عنه الفُجَّارُ (*).

وأَنَّ الجنَّةَ والنَّارَ مخلوقتان، وموجودتانِ الآن، لا تَفْنَيان أَبدًا، ولا تبيدان، والجنَّةُ دارُ المؤمنينَ الموحِّدينَ المتَّقين والصَّالحين الأَبرار،

(*) «الصِّراط»: هو الجسرُ الممدودُ علىٰ ظهرِ جهنَّمَ ليَعْبُرَ النَّاسُ عليه إلىٰ الجنَّة. ويَمُرُّ النَّاسُ علىٰ الصِّراطِ بقدرِ أَعمالِهِمْ؛ فمنهم مَن يمر كلمح البصر، ومنهم مَن يمر كالبرق، ومنهم مَن يمر كالريح المرسلة، ومنهم مَن يمر كالفَرَسِ الجوادِ، ومنهم مَن يمر كراكبَ الإبل، ومنهم مَن يَعْدُو عدْوًا، ومنهم مَن يمشي مَشْيًا، ومنهم مَن يزحف زحفًا، ومنهم مَن يخطف ويلقىٰ في جهنم؛ كل بحسبِ عملِهِ، حتىٰ يَتطهَّر من ذنوبه وآثامِه، ومن اجتازَ الصِّراطَ تهيَّأ لدخول الجنَّة؛ فإذا عبروا الصِّراط وقفوا علىٰ قنطرةٍ بين الجنَّةِ والنَّار؛ فيُقتصُّ لبعضهم من بعض فإذا هذِّبوا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنَّة.

والنَّارُ دار المذْنبينَ والكافرينَ من المشركينَ، واليهودِ والنصارىٰ، والمنافقينَ والملحدينَ والوثنيين، والعُصاةِ الأَشرار.

ويؤمنونَ بأَنَّ أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ أُولىٰ الأُمم محاسبةً يومَ القيامة، وأُولىٰ الأُممِ في دخولِ الجنَّة، وهُم ثلثا أَهلِ الجنَّة، ويدخُلُ الجنَّةَ منهم سبعُونَ أَلفًا بغيرِ حساب.

ويؤمنونَ بعدمِ خُلُودِ الموحِّدينَ في النَّار، وهمُ الَّذينَ دخَلُوا النَّارَ بمعاصٍ ارتكبُوها غيرَ الإشراكِ باللهِ تعالىٰ؛ لأَنَّ المشركينَ والكفَّار خالدونَ في النَّارِ لا يخرجونَ منها أَبدًا، والعياذُ بالله.

ويؤمنونَ بحوضِ نبيِّنا ﷺ في عرصاتِ القيامةِ ماؤُهُ أَشدُّ بياضًا من اللَّبن، وأَحلىٰ من العسل، وريُحهُ أَطيبُ من المسك، وآنيتُهُ عَدَدَ نجومِ السَّماء، طولُهُ مَسيرةُ شَهْرٍ وعرضُهُ مَسيرةُ شهر، مَن شَرِبَ منهُ لا يظمأُ أَبدًا، ويُذادُ عن الحوضِ أَقوامٌ غيَّروا وبدلوا.

قال النَّبيُّ ﷺ: «حَوضي مَسيرةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسكِ، وكيزانُهُ كنُجوم السَّماء، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظمأُ أَبدًا»(١).

وقالَ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُم عَلَىٰ الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الرقاق) باب: «في الحوض».

وَمَنَ شَرِبَ لَمْ يَظمأْ أبدًا. لَيَرِدَنَّ عَليَّ أَقْوَامٌ أَعرِفُهُم وَيَعرفونَني، ثمَّ يُحَالُ بَيني وَبينهُم». وفي رواية:

«فَأَقولُ: إِنَّهُمْ منِّي؛ فيُقالُ: إِنَّكَ لاَ تَدري مَا أَحْدَثُوا بَعدَكَ، فَأقولُ: سُحْقًا سُحْقا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي».

وأَهلُ السُّنَّة والجمَاعَة: يثبتونَ الشَّفاعة، والمقام المحمود لنبيِّنا الكريم محمَّدِ بن عبد الله ﷺ يومَ القيامة: وشفاعتُهُ ﷺ لأَهلِ الموقفِ لفصْلِ القضاءِ بينهُم هي المقامُ المحمود. وشفاعتُهُ ﷺ لأَهلِ الجنَّةِ أَن يدخُلُوا الجنَّة، ويكونُ الرَّسُولُ ﷺ أَوَّلَ داخلٍ فيها.

وشفاعتُهُ ﷺ لعمِّهِ أَبي طالب أَن يُخفَّفَ عنه منَ العذاب.

وهذهِ الشَّفاعاتُ الثَّلاثُ خاصَّة بالنَّبِيِّ ﷺ وليستْ لأَحدٍ غيره.

وشفاعتُهُ ﷺ لرفعِ درجاتِ بعضِ أُمَّته ممَّن يدخلونَ الجنَّةَ إلىٰ درجاتٍ عُلْيا، وشفاعتُهُ ﷺ لطائفةٍ من أُمَّته يدخلونَ الجنَّة بغير حساب. وشفاعتُهُ ﷺ في أَقوامٍ قد تساوتْ حسناتُهُم وسيِّئاتُهُم؛ فيشفعُ فيهم ليدخُلُوا الجنَّة، وفي أَقوامٍ آخرينَ قد أُمِرَ بهم إلىٰ النَّار أَن لا يدخُلُوها. وشفاعتُهُ ﷺ في إِخراجِ عُصاة الموحِّدينَ من النَّار؛ فيشفعُ لهم ﷺ فيدخلونَ الجنَّة.

وهذه الشَّفاعةُ تُشاركهُ فيها الملائكةُ، والنبيُّونُ، والشُّهداءُ، والصدِّيقُونَ، والصَّالحونَ، والمؤمنُون (*) . ثم يُخرِجُ اللهُ تعالىٰ من النَّار أقوامًا بغير شفاعةٍ؛ بل بفضلِهِ ورحمتِهِ وكرمِهِ.

والعملُ الصَّالحُ يشفعُ لصاحبِهِ يومَ القيامةِ - أيضًا - كما أخبرَ بذلك النَّبيُّ ﷺ.

فأمَّا الكفَّارُ والمشركُونَ؛ فلا شفاعةَ لهُم، لقوله تعالىٰ:

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (١).

والموتُ يُؤتىٰ به يومَ القيامَةِ؛ فيُذبَحُ؛ كما أخبر النَّبيُّ ﷺ:

«إذَا صَارَ أهلُ الجنَّةِ إلَىٰ الجنَّةِ، وَصَارَ أَهلُ النَّارِ إلَىٰ النَّار، أُتِيَ بالمَوْتِ حتَّىٰ يُجعَلَ بَيْنَ الجنَّةِ والنَّارِ؛ ثُمَّ يُذبَحُ، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: يَا أَهْلَ الجنَّة! لاَ مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ! لاَ مَوْتَ؛ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجنة فَرَحًا إلَىٰ فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إلَىٰ حُزْنِهِم» (٢).

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٤٨.

(٢) «رواه مسلم» في (كتاب الجنة) باب: «النَّار يدخلها الجبارون والجنَّة يدخلها الضعفاء».

(*) ويشترط لهذه الشفاعة شرطان: الأول: إذنُ الله تعالىٰ للشافع، لقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. الثاني: رضا الله تعالىٰ عن المشفوع له، لقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وقد جَمَعَ اللهُ - تبارك وتعالىٰ - شروط الشَّفاعة في قوله سبحانه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦].

الركن السادس

الإيمان بالقدر

أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يعتقدون اعتقادًا جازمًا أَنَّ كلَّ خيرٍ وشرٍّ يكونُ بقضاءِ اللهِ وقدَرِهِ، وأَنَّ الله فعَّالٌ لما يُريدُ؛ فكلُّ شيءٍ بإرادتِه، ولا يخرُجُ عن مشيئتِهِ وتدبيره، وعَلِمَ كلَّ ما كانَ وما يكونُ منَ الأَشياءِ قبل أَن تكونَ في الأَزَلِ، وقدَّرَ المقاديرَ للكائناتِ حَسْبَما سَبَقَ به علمُهُ واقتضَتْه حكمَتُهُ، وعَلِمَ أَحوالَ عبادِهِ، وعَلِمَ أَرزاقَهُم وآجالَهُم وأَعمالَهُم، وغيرَ ذلكَ من شؤونهم؛ فكلُّ مُحْدَثٍ صادرٌ عن عِلمِه وقُدرتهِ وإرادتِه.

وخلاصة القول: أَنَّ القدَر سبق به علم الله تعالىٰ، وجرىٰ به القلم، مما هو كائن، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2].

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢.
(٢) سورة القمر، الآية: ٤٩.

وقال تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِنْ قَبْلُ وكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾(١).

وقال النبيُّ ﷺ: «لاَ يُؤمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ، وَحَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَه»(٢).

وأَهلُ السُّنَّةِ يقولون: الإيمانُ بالقدَرِ لا يتمُّ إلاَّ بأَربعةِ أُمورٍ، وتُسمَّىٰ: مَراتِبَ القدر، أَو أَركانَهُ، وهذه الأُمورُ هي المدخلُ لفهم مسأَلةِ القدر، ولا يَتمُّ الإيمانُ بالقدَرِ إلاَّ بتحقيقِ جميع أَركانه؛ لأَنَّ بعضها مُرتَبِطٌ ببعض؛ فمن أَقرَّ بها جميعًا اكتملَ إيمانُهُ بالقدَر، ومن انتقصَ واحدًا منها، أَو أَنكرَه؛ فقد اختلَّ إيمانُه بالقدَر.

المرتبةُ الأُولىٰ: العلم: الإيمانُ: بأَنَّ اللهَ تعالىٰ عالمٌ بكلِّ ما كانَ، وما يكونُ، وما لم يكنْ، لو كانَ كيفَ يكونُ؛ جملةً وتفصيلاً، وأَنَّه عَلِمَ ما الخلقُ عاملونَ قبل خلقِهِم، وعَلِمَ أَرزاقهم وآجالَهم وأَعمالَهم وحركاتِهم وسكناتِهم، وعَلِمَ الشَّقيَّ منهم والسَّعيدَ، وذلك بعلمه القديمِ الذي هو موصوفٌ به أَزلاً.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

(٢) «رواه الترمذي» في (كتاب القدر) باب: «ما جاء أنَّ الإيمان بالقدر» وصحَّحه الألباني.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١).

المرتبةُ الثانية: الكتابة: وهي الإيمانُ: بأَنَّ اللهَ كتبَ ما سبقَ به عِلمُه من مقاديرِ المخلوقات في اللَّوحِ المحفوظ، وهو الكتابُ الذي لم يُفرِّطْ فيه من شيء؛ فكلُّ ما جرىٰ وما يجري وكلُّ كائنٍ إلىٰ يوم القيامة؛ فهو مكتوبٌ عند الله تعالىٰ في أُمِّ الكتاب، ويسمَّىٰ: الذِّكْرَ، والإمامَ، والكتابَ المبين، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾(٢).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: ما أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ القَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ الأَبَدِ»(٣).

المرتبةُ الثَّالثة: الإرادةُ والمشيئة: أَي: أَنَّ كلَّ ما يجري في هذا الكونِ فهو بإرادةِ اللهِ ومشيئتِهِ الدائرةِ بين الرحمةِ والحكمة، يهدي من يشاءُ برحمته، ويُضلُّ مَن يشاء بحكمته، لا يُسأَلُ عمَّا يفعلُ لكمالِ حكمتِهِ وسلطانه، وهم يُسأَلون، وما وقعَ من ذلك؛ فإنَّه مُطابقٌ لعِلمه السَّابق المكتُوبِ في اللَّوح المحفوظ، فمشيئةُ الله

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٥.
(٢) سورة يس، الآية: ١٢.
(٣) «رواه الترمذي» (كتاب القدر) باب: «ما جاء في الرضا بالقضاء»، وصحَّحه الألباني.

نافذةٌ، وقدرتُه شاملةٌ، ما شاءَ اللهُ كان، وما لم يشأْ لم يكنْ؛ فلا يَخرُجُ عن إرادته شيءٌ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾[1].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَـٰنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ؛ يُصرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»[2].

المرتبةُ الرابعةُ: الخلق: وهي الإيمانُ: بأَنَّ اللهَ خالقُ كلِّ شيءٍ، لا خالقَ غيرُهُ ولا رَبَّ سواه، وأَنَّ كلَّ ما سواهُ مخلوقٌ؛ فهو خالقُ كلِّ عاملٍ وعملِهِ، وكلِّ متحرِّكٍ وحركته، وبأَنَّ كلَّ مَن سوىٰ اللهِ تعالىٰ مخلوقٌ مُوْجَدٌ من العدمِ، كائنٌ بعد أَن لم يكنْ؛ فلا يقعُ في هذا الكون شيءٌ إلاَّ هو بخلقه سبحانَهُ وتعالىٰ.

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[3].

وأَنَّ اللهَ تعالىٰ هو الخالقُ المتفرِّدُ بالخلقِ والإيجاد؛ فهو خالقُ كلِّ شيءٍ بلا استثناءٍ، لا خالقَ غيرُهُ ولا رَبَّ سِوَاهُ، قال تعالىٰ:

﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[4].

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

(٢) «رواه مسلم» في (كتاب القدر) باب: «تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء».

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

وقال تعالىٰ: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(١).

فهو خالقُ العباد وأفعالِهِم، وأَنَّ كلَّ ما يجري من خيرٍ وشرٍّ، وكُفرٍ وإيمانٍ، وطاعةٍ ومعصيةٍ شاءَهُ الله، وقدَّرَه، وخلَقَهُ.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٤).

وأَهلُ السُّنَّةِ والجماعة: يؤمنونَ بأَنَّ اللهَ تعالىٰ يُحبُّ الطاعةَ ويكرهُ المعصيةَ، ويهدي من يشاءُ بفضله، ويُضِلُّ مَن يشاءُ بعدله.

قال تعالىٰ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٥).

وقال تعالىٰ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾(٦).

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٢.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٠.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٥١.
(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٦.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٧.
(٦) سورة الحجرات، الآية: ٧.

ولا حجَّةَ لِمَنْ أضلَّه الله - سبحانه - ولا عُذْرَ لَهُ؛ لأَنَّ الله تعالىٰ قد أرسَلَ الرُّسلَ لِقَطْعِ الحجَّةِ، وأضافَ عَمَلَ العبدِ إليه، وَجَعَلَهُ كَسْبًا له، ولم يكلِّفْهُ إلاَّ بما يستطيعُ، قال الله تعالىٰ:

﴿ اليَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ اليَوْمَ ﴾[١].

وقال: ﴿ إنَّا هَدَيناهُ السَّبيلَ إمَّا شَاكراً وإمَّا كَفُوراً ﴾[٢].

وقال: ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ للنَّاسِ عَلَىٰ الله حُجَّة بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[٣].

وقال: ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٤].

ولكنْ لا يُنسبُ الشرُّ إلىٰ الله - سبحانه وتعالىٰ - لكمالِ رحمتِه؛ لأنَّه أَمَرَ بالخيرِ ونهىٰ عن الشَّرِّ، وإنَّما يكونُ الشَّرُّ في مفعولاتِهِ وبحكمتِهِ. قال تعالىٰ: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾[٥].

والله - سبحانه وتعالىٰ - مُنزَّهٌ عن الظُّلمِ، ومُتَّصفٌ بالعدل؛ فلا يظلم أحدًا مثقالَ ذرةٍ، وكلُّ أفعالهِ عَدْلٌ ورحمة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ للعَبِيدِ ﴾[٦].

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٧.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٩.
(٥) سورة النساء، الآية: ٧٩.
(٦) سورة ق، الآية: ٢٩.

وقال: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(١).

وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾(٢).

والله تعالىٰ لا يُسأَلُ عمَّا يفعلُ، لقوله تعالىٰ:

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾(٣).

فاللهُ تعالىٰ خلقَ الإنسانَ وأفعالَهُ، وجعلَ لهُ إرادةً، وقدرةً، واختيارًا، ومشيئةً، وهبها اللهُ له لتكونَ أفعالُه منه حقيقةً لا مجازًا، ثمَّ جعلَ له عقلاً يُميِّز به بينَ الخيرِ والشرِّ، ولم يحاسبهُ إلاَّ علىٰ أعماله التي هي بإرادته واختياره؛ فالإنسانُ غيرُ مُجْبَرٍ بل له مشيئةٌ واختيارٌ؛ فهو يختارُ أفعالَهُ وعقائدَه؛ إلاَّ أنَّه تابعٌ في مشيئته لمشيئةِ الله، وكلُّ ما شاء اللهُ كانَ وما لم يشأْ لم يكن.

فاللهُ تعالىٰ هو الخالقُ لأفعال العباد، وهمُ الفاعلُونَ لها؛ فهي من الله خَلْقًا وإيجادًا وتقديرًا، ومن العبدِ فعلاً وكسبا، قال تعالىٰ:

﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(٤).

ولقد ردَّ اللهُ تعالىٰ علىٰ المشركينَ حينَ احتجُّوا بالقدرِ،

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٠.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.
(٤) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨ - ٢٩.

وقالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾[١]. فردَّ اللهُ عليهم كذبَهُم، بقوله تبارك وتعالىٰ:

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[٢].

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يعتقدونَ أَنَّ القَدَرَ سرُّ اللهِ في خلقه، لم يطَّلع عليه مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ، لا يعلمُه أَحدٌ من الخلق إلاَّ بعدَ وقوعِه، والتعمُّقُ والنظرُ في ذلك ضلالةٌ؛ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ طوىٰ عِلْمَ القدَر عن أنامه، ونهاهُم عن مَرَامِه، قال تعالىٰ:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٣].

وأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة: يُسَلِّمُونَ تسليمًا مُطلقًا لقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[٤]. ويُحاجُّونَ به مَن خالَفهم.

وهذا ما كانَ يؤمنُ به السَّلفُ الصَّالحُ من الصَّحابةِ والتَّابعين، ومَن تبعهم بإحسانٍ من أَهل السُّنَّة والجماعة؛ رضوانُ اللهُ تعالىٰ عليهم أَجمعين.

---

(١)، (٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨ .
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣ .
(٤) سورة النساء، الآية: ٧٨ .

نعمة الإيمان

نعمة الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- كتابةُ الإيمانِ في القُلوب.
- حلاوةُ الإيمانِ في القُلوب.
- طعمُ الإيمانِ في القُلوب.
- نورُ الإيمانِ في القُلوب.
- محبَّةُ الإيمانِ في القُلوب.
- زينةُ الإيمانِ في القُلوب.
- الإيمانُ شجرةٌ راسخةٌ في القُلوب.
- الإيمانُ يتبوَّأُ في القُلوب.
- نداءُ الإيمانِ في القُلوب.
- الإيمانُ ينفعُ صاحبَهُ في الدُّنيا والآخرة.
- للإيمانِ مجالسُ يزدادُ فيها ويتجدَّد.
- الإيمانُ يَعْلُو ولا يُعْلا عليه.
- الإيمانُ: شُعَبٌ، ومراتبٌ، ودرجات.

نعمة الإيمان

إنَّ الإيمانَ نعمةٌ عظيمةٌ جليلةٌ كريمةٌ عزيزةٌ في حياةِ المسلم؛ بل هو من أَجلِّ نِعَمِ هذه الحياة؛ تزكِّي العمرَ، وتُبارك الحياةَ، وتجعلُ لها طعمًا، وتَرْفَعُ صاحِبَها في الدُّنيا، وتضمنُ له الآخرةَ؛ لأنَّ فيها السَّعادةَ الدائمةَ، والعبوديةَ للهِ تعالىٰ، والسَّعادةَ الأَبديةَ الأُخرويَّة.

وهذه النعمةُ لا يعرفُها إلاَّ مَن ذاق طعْمَها، ولا يُحِسُّ بها إلاَّ مَن عاشَ حقائقها، واستجابَ لجميع معالمها، قال الله تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

والإيمانُ نورٌ هادٍ مضيءٌ، يُضيءُ حياةَ العبادِ؛ يَهبُهُ الله تعالىٰ لمن يشاءُ من عبادِهِ، ويَصرفُه عمَّن يشاءُ، قال تعالىٰ:

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[2].

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ ـ ٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٧.

فالإيمانُ مِنحةٌ ربانيةٌ يَمُنُّها اللهُ تعالىٰ علىٰ عبادِهِ المؤمنينَ الصَّادقينَ العاملينَ؛ برحمتِه وبفضلِه، فمَن وجدَهُ فقد وجدَ الخيرَ كلَّهُ ومَن فقدَهُ فقَدَ كلَّ شيءٍ ولم ينفعْهُ أيُّ شيءٍ بعدَه، قال تعالىٰ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(١).

والإيمانُ نعمةٌ يشعُرُ بها ويعيشُها ويحسُّها مَن صدقَ مع اللهِ تعالىٰ، وآمنَ به ربًّا، وبرسُوله ﷺ نبيًّا، وأَطاعَ اللَّهَ، وأَطاعَ رسولَه ﷺ وعَمِلَ فيما أُمر به، وانتهىٰ عمَّا نُهِيَ عنه وزُجِرَ، باطنًا وظاهرًا؛ فإذا فعلَ ذلك؛ كان من المؤمنينَ الصَّادقينَ وحُشر في زمرتهم ومع خيْرَتِهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾(٢).

وللإيمانِ المطلقِ الصَّادقِ؛ معَ المؤمنينَ المتَّقينَ الصَّادقينَ العاملينَ بأَوامرِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - بإخلاصٍ، والمتَّبعين لسُنَّةِ رسولِهِ الكريم ﷺ ظاهرًا وباطنًا حالاتٌ وصفاتٌ عجيبةٌ؛ يَهَبُها اللهُ - تبارك وتعالىٰ - لهُم بفضله، ورحمته، ومَنِّه، وكرمه.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

● كتابةُ الإيمان في القُلوب:

يكتُبُ اللهُ تعالىٰ الإيمانَ في قلوبِ عباده الصَّالحين كتابةً دائمةً ثابتةً؛ فلا يفارقُهم ما داموا معه - جلَّ وعلا - فإذا ثبتَ ورسخ واستقرَّ في القلوب؛ أصبحَ زادًا لها للمفاصلةِ علىٰ أَساسِ العقيدة، ولا يقوَىٰ أَحدٌ بعدها - كائنًا مَن كان - علىٰ مَحْوِهِ أَبدًا؛ لأَنَّه هبةُ الله تعالىٰ لعباده الصَّالحينَ العاملينَ المتَّقين، قال تعالىٰ:

﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(١)].

قال الإمامُ ابنُ كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:

(أَي: مَن اتَّصف بأَنَّه لا يُوادُّ مَن حادَّ الله ورسُولَهُ، ولو كان أَباه، أَو أَخاه؛ فهذا مِمَّن كتبَ اللهُ في قلبه الإيمان، أَي: كتبَ له السَّعادة، وقرَّرها في قلبه، وزيَّن الإيمانَ في بصيرته. قال السُّدِّيُّ: جعلَ الله في قلوبهم الإيمان).

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

• حلاوةُ الإيمان في القُلوب:

يجدُ العبدُ المؤمنُ الصَّادقُ؛ حلاوةَ الإيمانِ الطيِّبةَ اللّذيذةَ في قلبه، ويذوقُها، ويسعَدُ بها، وإذا ذاقها؛ سيبْقىٰ يطلُبها، ويشتاقُ إليها؛ لأنَّه إذا وجدَها سَلَتْهُ عن المحبوبَاتِ الدُّنيويَّة، وعن الأَغراض النفسيَّة، وإذا عاشَ معها المؤمنُ؛ تتحول حياتُهُ إلىٰ السَّعادة، والسُّرور، والاطمئنان، والاستقرار الدائم في الدُّنيا؛ ثمَّ إلىٰ الحياة الطيِّبة الكريمة العزيزة في الآخرة، قال النَّبِيُّ ﷺ:

«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَان: مَنْ كَانَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُمَا. وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ للّٰه عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ في الكُفْر بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللّٰهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ في النَّار»(١)(*).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: «مَن كره أن يعود في الكفر» ورواه مسلم.

(*) قال الإمامُ النَّوويُّ – رحمه الله – في شرح هذا الحديث: (هذا حديثٌ عظيمٌ؛ أَصلٌ من أُصولِ الإسلام، قال العلماءُ رحمهم الله: معنىٰ حلاوة الإيمان: استلذاذُ الطَّاعات، وتحمُّلُ المشقَّات في رضىٰ الله – عزَّ وجلَّ – ورسُوله ﷺ، وإيثارُ ذلك علىٰ عرض الدُّنيا، ومحبَّةُ العبد ربَّهُ تعالىٰ بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك محبَّةُ رسول الله ﷺ... وذلك أنَّه لا تَصِحُّ والمحبَّة لله ورسوله ﷺ حقيقةً، وحبُّ الآدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهيةُ الرجوع إلىٰ الكُفر؛ إلاَّ لمن قويَ بالإيمان يقينُهُ، واطمأنَّتْ به نفسُهُ، وانشرحَ له صدرُهُ، وخالط لحمه ودمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته).

• طعمُ الإيمان في القُلوب :

الإيمانُ رغمَ كونه أمرًا معنويًا؛ لكن له طعمٌ لذيذٌ حلوٌ طيِّبٌ؛ يُحِسُّ به، ويَجدُهُ، ويَذوقُهُ؛ المؤمنُ الصَّادقُ في قلبهِ وكيانِهِ، ويعيش معه، قال النَّبيُّ ﷺ :

«ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجدَ طَعْمَ الإيمانِ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ لله، ومَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِليهِ مِمَّا سِواهُمَا، وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلقَىٰ في النَّار أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ في الكُفْر بَعْدَ أَنْ أَنْقذَهُ اللهُ مِنْهُ»(١).

وقال ﷺ : «ذَاقَ طَعْمَ الإيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً»(٢)(*).

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «بيان خصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان».

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «الدليل علىٰ أنَّ مَن رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمَّد ﷺ رسولاً».

(*) قال الإمامُ النوويُّ – رحمه الله – في شرح هذا الحديث: (قوله ﷺ «ذَاقَ طَعْمَ الإيمَان...» قال صاحبُ التحرير رحمه الله: معنىٰ رضيتُ بالشيء؛ قنعتُ به واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره؛ فمعنىٰ الحديث: لم يطلب غير الله تعالىٰ، ولم يَسْعَ في غير طريق الإسلام، ولم يسلُك إلاَّ ما يوافقُ شريعة محمَّدٍ ﷺ ولا شكَّ في أنَّ مَن كانت هذه صفته؛ فقد خَلَصَتْ حلاوةُ الإيمان إلىٰ قلبه، وذاق طعمه).

● نورُ الإيمان في القُلوب:

الإيمانُ نورهُ مشرقٌ مُضيءٌ؛ يُشرقُ به قلبُ المؤمنِ الصَّادقِ؛ فيجعلُه حيًّا، ويهديه إلىٰ الصراط المستقيم؛ ثمَّ يخرجُهُ من ظلمات الكُفر وضلالات العصيان والفسق والفجور، إلىٰ نور الإسلام والإيمان، والهداية، والولاية، والقُرآن، والهُدىٰ، والعمل الصَّالح، والطُّمَأْنِينة؛ ثمَّ يُضيءُ جوارحَه وكيانَهُ وطريقَه، ثمَّ ينعكسُ علىٰ حياته في الدُّنيا، ويَجعلُه مباركًا، ومن أَسعدِ عباد الله علىٰ الإطلاق؛ ثمَّ يُنير طريقَه من بعد حياة الدُّنيا إلىٰ جنَّةِ الخُلدِ التي تجري من تحتها الأَنهارُ، والتي نعيمها دائمٌ لا يفنىٰ.

فالمؤمنُ يعيشُ في النُّور، ويتقلَّبُ في النُّور، ويتعبَّدُ في النُّور، ويسعىٰ ويتحرَّكُ في النُّور، ويواجهُ ويجاهدُ في النُّورِ، وحياتُهُ كلُّها نُور، وكلُّ أَمرهِ نورٌ علىٰ نورٍ، قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨ .

النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١).

ونورُ الإيمانِ: من نورِ الله - جلَّ وعلا - قال الله تعالىٰ:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢).

وكان النَّبِيُّ ﷺ حريصًا علىٰ سؤال رَبِّهِ - جلَّ وعلا - أن يهبَه النُّورَ، ويجعلَه في النُّور، ويمدَّه من النُور. وكان ﷺ كثيرًا ما يدعو في ذهابه الىٰ المسجد وفي صلاته وفي سجودِهِ، وخصوصًا في قيام الليل، بهذا الدُّعاء المبارك:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا. وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا...»(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.
(٣) جميع هذه الخصال: رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب: «الدعاء إذا انتبه بالليل» ومسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب: «الدُّعاء في صلاة الليل والقيام».

● محبَّةُ الإيمان في القُلوب:

محبَّةُ الإيمانِ فطرية؛ جُبِلَ الإنسانُ عليها، وهي حبيبٌ أنيسٌ لطيفٌ، ودليلٌ للخير والصَّلاح والفلاح والنجاح، وصحة القلب، والحياة السَّعيدة واستقامة الفطرة عندَ صاحبه وإذا استقرَّتْ محبةُ الإيمان في قلب المؤمن الصَّادق؛ عكست علىٰ ظاهرِه نورَه، ولا يبقىٰ لنقيضه مكانٌ فيه، ونقيضُه هو الكُفرُ والفسوقُ والعصيانُ.

ومحبَّةُ الإيمانِ نعمةٌ ومنَّةٌ وعطاءٌ منَ الله تعالىٰ لعبادِهِ المؤمنينَ الصَّادقينَ العاملينَ؛ المُستجيبينَ لنداءِ ربِّهم، والرَّاغبينَ والطَّالبينَ لرحمته وعفوه وكرمه وجنَّته، والله تعالىٰ هو الذي يحبِّبُ الإيمانَ لهم، ويُكرِّه إليهم نقيضه، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَـٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾(١).

ومحبَّةُ الإيمانِ لا تتحقَّقُ بالقول والادِّعاء فقط؛ بل يجبُ أن يتبعه العملُ الصَّالح حتىٰ يُثبتَ العبدُ صِدْقَ قوله مع ربِّه؛ لأنَّه لا يجتمعُ في القلب نقيضان فالإيمانُ يقضي علىٰ نقيضه في القلب فلا يتركُ مجالاً لمحبته ولو يسيرًا ويجعلُ قلبَ العبد يتجرَّد كلُّه للإيمان.

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧ .

● زينةُ الإيمان في القُلوب:

الإيمانُ زينةٌ جميلةٌ عزيزةٌ كريمةٌ؛ للمؤمن الصّادق في الدُّنيا والآخرة؛ ولن يبدو المؤمنُ جميلاً بديعًا لطيفًا بدونه؛ لأَنَّ زينةَ الإيمانِ إذا استقرَّت في القلب؛ انعكستْ ثمارُها خيرًا علىٰ أَخلاق المؤمن، وجوارحه وحياته. وهذه الزينةُ الحبيبةُ هبةٌ وعطاءٌ ومنَّةٌ من الله - جلَّ وعلا - يَهبها لِمَن يَشاءُ من عباده المؤمنين الصّادقين العاملين، ويضاعفها لهم، ويقذفها في قلوبهم، قال الله تعالىٰ:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١).

وكان من أَدعية النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه كانَ يسأَل الله - سبحانه وتعالىٰ - أَن يزيِّن قلبهُ بزينة الإيمان:

«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمانَ، وَزَيِّنْهُ في قُلُوبِنَا، وكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ»(٢).

---

(١) سورة الحجرات، الآيتان: ٧ - ٨.
(٢) أخرجه البخاري «الأدب المفرد» «دعوات النبي ﷺ» برقم: ٦٩٩» وصححه الألباني.

● الإيمانُ شجرةٌ راسخةٌ في القُلوب:

الإيمانُ: كشجرةٍ طيِّبة، مباركةٍ، كريمةٍ، خيِّرةٍ، نافعةٍ، مثمرةٍ، حيَّةٍ راسخةٍ قويَّةٍ، ثابتةٍ، ناميةٍ؛ أَصلُها ثابت، وفرعُها في السَّماء، وجذورُها ضاربةٌ في أَعماق الأَرض، وتؤتي أُكلَها كلَّ حين.

وهكذا حالُ الإيمانِ مع العبد المؤمن الصَّادق فقد غرسَ بذرتها في قلبه الخصب وتعاهَدَها بالرِّعاية وضربَتْ جذورُها في أَعماقِهِ واستمدَّت من هذا القلب غِذاءَها فنَمَتْ فيه وارتفعتْ ساقُها إلىٰ سماء قلبه وتفرَّعتْ فروعُها في أَرجائه؛ حتىٰ أَحاطت به من كلِّ جانب؛ ثمَّ أَثمرتْ الثَّمراتُ الطيِّبة؛ فانعكستْ علىٰ كيان العبد المؤمن وظلَّلَتْ له حياتَه في كلِّ مرحلةٍ من مراحلِ عمره وعند ذلك يذوقُ العبدُ الصَّالح حلاوةَ الإيمان، قال تعالىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[١].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.

● **الإيمانُ يتبوأُ في القُلوب:**

تَبَوُّءُ الإيمانِ في القُلوب في الأَصل أَمرٌ معنويٌّ وليس حسيًّا، وهو محبَّةُ الإيمانِ وأُلفتُهُ، أَو تمكينُهُ في القلب.

ولكن عندما يتبوَّأُ الإيمانُ في القلبِ المؤمنِ الصَّادق؛ يتحوَّلُ إلىٰ أَمرٍ محسوسٍ ملموسٍ؛ يدركُه المؤمنُ ويلمحُه، ويصبحُ له «بيتُ الإيمان» أَي: أَنَّ القلبَ يكون للإيمان دارًا، ومنزلاً، وقرارًا، يقيمُ فيه، ويحتمي داخلَهُ؛ يجد فيه طِيبَ الإقامةِ، والسَّعادةِ، والرَّاحةِ؛ ولا يتخلَّىٰ عنه لحظةً من لحظاتِ حياته.

وقال الله تعالىٰ عن الأَنصارِ في المدينة؛ حين تبوَّؤا الدارَ قبل المهاجرين فامتلكوها، وتبوَّؤا الإيمانَ فتمكَّنوا منه:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

● نداءُ الإيمان في القُلوب :

نداءُ الإيمانِ مُحبَّبٌ إلىٰ قلوبِ المؤمنين الصَّادقينَ العاملينَ المستجيبينَ لله تعالىٰ ولرسُوله ﷺ ؛ لأنَّه نداءُ الفطرة السليمة المستقيمة ؛ فهم يبادِرُونَ ويسارعونَ في الاستجابة لداعية الله جلَّ وعلا ، قال الله تعالىٰ :

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾(١) .

هذه الآيةُ الكريمةُ العظيمةُ ؛ تبيِّنُ فضيلةَ نداءِ الإيمان ، وفضلَ مَن ينادي به ، وفضلَ مَن يَسْتَجيبُ له ، وثمرةَ هذه الاستجابة ، وجزاءَ هذه الطَّاعة .

والمُنادي بنداء الإيمان ؛ يحملُ أعظمَ رسالةٍ خالدةٍ إلىٰ العالمين ، ويؤدِّي أَرفعَ العبادات ، وأَفضلَ وأَشرف وظيفةٍ في حياة البشريَّة ، والقائمين عليه هم أَفضلُ الخلقِ وخيرتُهُم علىٰ الإطلاق ، وهم رسُل الله - جلَّ وعلا - وأَنبياؤُه ، والدَّاعون من بعدهم بنداء الإيمان ؛ هم القائمون بوظيفة الرُّسُل - عليهم الصَّلاة والسَّلام - وهم أَصفياءٌ من عباد الله الصَّالحين .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٣ .

● **الإيمانُ ينفع صاحبَهُ في الدُّنيا والآخرة:**

الإيمانُ؛ ينفعُ صاحِبَهُ في الحياة الدُّنيا: يُزكِّي روحَه، وقلبَه، ونيَّتَه؛ ثمَّ يعكسُ ذلك علىٰ بدنه؛ فيُزكِّي أَخلاقَه، وسلوكَه، وعبادتَه، وتعاملَه، ثمَّ يسدِّدُه ويوفِّقُه لكلِّ خيرٍ.

وهذا الأَمرُ ملحوظٌ وثابتٌ في أَهلِ الإيمان: أَهلِ الطَّاعة، والتَّقوىٰ، والخشية، والقيم والأَخلاق الحميدة والحياء، والتواضع؛ من المؤمنينَ الصَّالحينَ المتقينَ العاملين.

والإيمانُ ينفعُ صاحبَه في الآخرة: يومَ الحساب، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونٌ إلاَّ مَن أَتىٰ الله بقلبٍ سليم، يومَ يخسَرُ الكافرون أَنفسَهُم وأَهليهم وأَموالَهُم، ومَن حولهُم؛ يومها يتبوَّأ المؤمنونَ الصَّادقونَ العاملونَ – ومَن تبعهُم من ذُرِّيتهم – مكانَهم في جنَّاتِ الخُلد خالدين فيها أَبدًا؛ بما كانوا يعملون، قال الله تعالىٰ:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾(١).

(١) سورة محمد ﷺ، الآية: ٢.

● **للإيمان مجالسُ يزدادُ فيه ويتجدَّد :**

مجالسُ الإيمانِ: هي الجلساتُ الإيمانيَّة الربانيَّة المباركَة؛ التي يجتمعُ فيها أَهلُ الذِّكر والإيمانِ والطَّاعةِ والتَّقوىٰ من المؤمنينَ الصَّادقينَ العاملين؛ كحضور صلاة الجماعة والجمعة، ودروس طلب العلم وحلقاته، ومُجالسة الصَّالحين؛ يذكُرون فيها الله تعالىٰ ويتدارسُونَ كتابه العزيز ويتدبَّرون آياتِهِ وأَحكامَه وعجائبه ويتدارسونَ سُنَّةَ نبيِّه الأَمين ﷺ وهَدْيَه العَطِرَ ويتفقَّهونَ في أَحكامه لكي يعملُوا بها ويطبقُوها، ويتدارسونَ الإيمانَ وأُصولَه وأَركانَه وواجباتِه وحالاتِه ويحاولونَ أَن يعيشوا في ظلاله وبنعمته.

فهذه المجالسُ؛ هي قُوتُ قلوبهم، ودواءُ أَرواحِهم، وسكينةُ نفوسِهم، وبها تُدْفَعُ الكُرباتُ، وتُرفعُ الدَّرجاتُ، ويرضىٰ الرَّحمنُ - جلَّ وعلا - ويُزال الهمُّ والغمُّ عن القلب، وبها يُطردُ الشَّيطان.

ويتواصونَ في هذه الأَجواء الإيمانيَّة: بالحقِّ والصَّبر والصَّلاة، والدُّعاء، والثَّبات واتِّباع السُّنَّة، وعدم الابتداع، والإقبال علىٰ الله تعالىٰ وطلب رضوانه ومغفرته ورحمته ويتواصون بالأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ويُحيون فيها إيمانَهم ويجدِّدونه؛ فينمو إيمانُهم ويزداد ويقوىٰ فيزدادون في هذه المجالس المباركة إيمانًا علىٰ إيمانهم

ونوراً علىٰ نُورهم وتصحبهمُ الملائكة والرَّحمةُ والبركةُ والسَّكينةُ، والطمأنينةُ، ويذكرهُم الله تعالىٰ فيمَن عنده، ويغفر لهم ذنوبهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ؛ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ: إمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ. وكِيرُ الحَدَّادِ: يُحرِقُ بَدنَكَ أَوْ ثوبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»(٢).

وقال ﷺ: «ومَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ...»(٣).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) رواه البخاري في (كتاب البيوع) باب: «في العطار وبيع المسك».

(٣) رواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء) باب: «فضل الإجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر».

● الإيمانُ يَعلُو ولا يُعْلاَ عليه:

الإيمانُ الصَّادقُ الرَّباني: هو أَساسُ كلِّ خير، ومنبعُ كُلِّ عزَّةٍ، ومصدرُ الكرامةِ والأَنفَةِ والشَّجاعةِ، والجرأَةِ، والإقدامِ، والشَّرفِ، والحريَّةِ والسِّيادَةِ والاستعلاءِ؛ يعيشُ صاحِبُه سعيدًا مطمئنًا، عزيزًا كريمًا قويًّا ثابتًا علىٰ طريقِ الحقِّ لا تؤثِّر فيه العواطفُ ولا العواصف.

وقد وعدَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - أَهلَ الإيمانِ والتَّوحيدِ والطاعةِ؛ بالنَّصر والتمكين في الحياة الدُّنيا قبل الآخرة، وأَن يُبَدِّلَ خَوفهم أَمنًا، وأَن يستخلِفَهُم في الأَرض، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٤).

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.
(٣) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

فوائد الإيمان الصادق وثمراته

الإيمانُ الصَّادقُ، واليقينُ الحق؛ له من الفوائدِ والثمراتِ المباركةِ العظيّمةِ الطيّبة النافعةِ العاجلةِ والآجلةِ في الدُّنيا والآخرة:

● في الحياةِ الدُّنيا: الإيمانُ يبعثُ الطَّمأنينةَ في القلبِ، والسَّكينةَ في النَّفسِ، والرضا بالأَقدار، ويَقي العبدَ من أَمراضِ القلوبِ، ووساوسِ الشَّيطانِ، وبالإيمانِ وحده؛ يُصْبَرُ على مصائبِ الدُّنيا وشدائدِها ومحنها وفتنها.

● في الدَّار الآخرة: الإيمانُ هو الأَمنُ والسَّلامةُ؛ من وحشة القبر، ومن أَهوال يوم القيامة، وبالإيمان وحده ينالُ العبدُ رضوان الله تعالىٰ وجنَّةَ الخُلد ومساكنَ طيِّبةً والسَّعادةَ الأَبديَّةَ السَّرمديَّة.

قال الله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

١ـ أنَّ أَهلَ الإيمانِ الصَّادق: يغتبطون بولاية الله تعالىٰ:

وهذه من أَعظمِ ثمراتِ الإيمانِ التي ينالُها المؤمنُ في الدُّنيا والآخرة؛ ألا وهي ولايةُ الله تِعالىٰ الخاصةُ له، وعنايتُه، وتأْييدُه، وتسديدُه له وإجابةُ دعوته ولا يحوزُ هذه المرتبةَ والعطاءَ الجزيلَ إلاَّ الذين عاشُوا حقائقَ الإيمان وأَتبعوها بصالح الأَعمال، قال تعالىٰ:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١).

٢ـ أَهلُ الإيمانِ الصَّادقَ: ينالونَ رضَا الله تباركَ وتعالىٰ:

لأَنَّه مَن رَضِيَ الله تعالىٰ عنه فقد فاز فوزًا عظيمًا، قال تعالىٰ:

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

٣ـ أهلُ الإيمانِ الصَّادق: رَضِيَ اللهُ عنهم في الدُّنيا والآخرة:

فقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ في كتابه العزيز: أنَّه رضيَ عن سَلَفِ هذه الأُمَّة المباركة وهم: أَصحابُ رسُول الله ﷺ ومَن تبعهمْ بإحسانٍ من المؤمنين العاملين المتَّقين الصَّادقين إلىٰ يوم الدِّين، قال تعالىٰ:

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[٣].

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠ .
(٢) سورة الفتح ، الآية: ١٨ .
(٣) سورة البينة، الآيتان: ٧ ـ ٨ .

٤ـ أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: يُدافعُ اللهُ تعالىٰ عنهم:

يُدافع عنهم: كلَّ مَكروهٍ، ويُنَجِّيهم من الشَّدائدِ والمِحَنِ، ويُدافعُ عنهم: كيدَ الأَعداء من شياطين الإنس وشياطين الجنِّ.

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾(٢).

٥ـ أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: في معيَّةِ اللهِ تبارك وتعالىٰ:

وهذه المعيَّةُ الخاصَّةُ بالمؤمنينَ الصَّادقين العاملينَ؛ بشرعه، وسُنَّة نبيِّه ﷺ، وهي: معيَّةُ التأييد، والتَّسديد، والنُّصرة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٥).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٩.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

٦- أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: يُنَجِّيهُم اللهُ في الدُّنيا والآخرة:

● في الحياة الدُّنيا: فقد نجَّىٰ الله تعالىٰ أَنبياءَهُ ورسُلَهُ ومَن تبعهم من المؤمنينَ من عذاب الدُّنيا ومن أَعداءِ اللهِ، قال تعالىٰ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

● في الدَّار الآخرة: فقد وعدَ الله - جلَّ وعلا - أَن يُنَجِّي أَنبياءَهُ ورسُلَهُ - عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ - ومَن تبعهمْ من المؤمنين من عذاب النَّار، قال تعالىٰ: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢).

٧- أَهلُ الإيمانِ: يَرفعُ اللهُ درجاتِهم في الدُّنيا والآخرة:

فأَهلُ الإيمانِ والعلم واليقين؛ يَرفعُ الله تعالىٰ درجاتهم في الدُّنيا؛ بالكرامة، والعزِّ، والنَّصر، والتَّمكين، وفي الآخرة: بالثَّواب الجزيل وبأَعلىٰ درجات الجنَّات، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨ .
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦١ .
(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١ .

٨- أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: هم أَهلُ العزِّ والكرامةِ:

لأَنَّ المؤمنينَ الصَّادقينَ المتَّقينَ الأَبرارَ؛ نفوسُهُم متصلةٌ باللهِ تعالىٰ؛ فتكونُ قويَّةً أَبيَّةً عزيزةً، لا تأْخُذُها في الله لومةُ لائمٍ، لا تعرفُ الصَّغارَ، ولا اللِّينَ لغيرِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - فهم عزيزو النَّفسِ، وقويُّوا العقيدة.

وأَمَّا مع إِخوانهمُ المؤمنينَ أَمثالِهم: فهمْ رفيعُو الخُلقِ، عفيفو الطَّبعِ؛ هيِّنونَ، ليِّنونَ، سمحُونَ، ودودونَ، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٣].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

٩ـ أهلُ الإيمانِ الصَّادق: يُحبُّهُمُ اللهُ ويحبُّهُمُ المؤمنون:

فأهلُ الإيمانِ؛ يُحبُّهُمُ اللهُ تعالىٰ بسبب صدق إيمانهم، وقوَّةِ يقينهم، وصالح أعمالهم، وطاعتهم لله تعالىٰ ولرسُوله ﷺ، واستجابتهم لهما، والتَّسليم التَّامِّ لحكمِهما، واتصافِهم بجميع صفات المؤمنينَ الصَّادقينَ؛ فإذا أحبَّهُم اللهُ تعالىٰ؛ كتبَ لهُمُ القبولَ في الأَرض، وجعلَ لهم المحبَّة والمودَّة في قلوب المؤمنينَ وعامَّة النَّاس، ويبقىٰ لهم ذِكْرٌ صالحٌ، وثناءٌ حَسَنٌ، ودعاءٌ لهم، والاقتداءُ بهم، وبهذا تحصُلُ لهُمُ السَّعادةُ والفلاحُ في الحياة الدُّنيا، وفي الآخرة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾(٤).

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

١٠- أهلُ الإيمانِ: لهُمُ البُشْرَىٰ في الحياةِ الدُّنيا والآخرةِ:

فأهلُ الإيمان: لهُمُ البُشرىٰ من الله تعالىٰ في الحياة الدُّنيا؛ من الأَمن والأَمان والسَّعادة والحياة الكريمة، والخير العاجل والآجل.

وفي الآخرة: لهمُ البُشرىٰ منذُ خروج أَرواحهمُ الطَّاهرة من أَجسامهم، والملائكةُ تُبشِّرهم؛ برحمة الله وكرمه وإحسانه، وفي قبورهم؛ التي هي روضةٌ من رياض الجنَّة، وفي عرصات القيامة وما فيها من الأَهوال والشَّدائد، إلىٰ أَن يدخلوا جنةَ النَّعيم، وهنالك لهم البُشرىٰ الأَخيرة، أَلا وهي الخلودُ فيها، ورؤية ربِّهم ذي الجلال والإكرام، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٦٢ - ٦٤.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

١١- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: هُمُ أَهلُ الأَمن والأَمان والاطمئنان في الحياةِ الدُّنيا والآخرة:

لأنَّهم أَهلُ الخضوعِ والطَّاعةِ والتَّسليمِ لشرعِ اللهِ تعالىٰ والرِّضا بأقدارِهِ؛ فهم أَهلُ الأَمن والأَمان والطمأْنينَةِ والاطمئنان والسَّعادة والراحة والسكون وهمْ أَبعدُ الخلقِ عن الخوف والفزع والحزن والهمِّ والغمِ، والوحشة، والاضطراب، والشقاء، والعذاب، أَمرهم كلُّه خيرٌ وبركةٌ؛ في الحياة الدُّنيا قبل الدار الآخرة، قال الله تعالىٰ:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٨١ – ٨٢ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦ .
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٣ .

١٢- أهلُ الإيمانِ: ينعمونَ بالحياةِ الطيِّبةِ في الدُّنيا والآخرة:

أهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: يعيشونَ الحياةَ الطيبةَ الكريمةَ العزيزةَ؛ فيها راحةُ القلبِ وطُمأْنينتُهُ، وراحةُ البالِ واستقرارُهُ، وانشراحُ الصَّدر وانفتاحُهُ، وزينةُ الحياةِ الدُّنيا من الطَّيِّباتِ، وفيها كنزُ القناعة، بما قسَمَ اللهُ تعالىٰ لهم؛ تلوحُ نضرةُ النَّعيم في وجوههم مشرقةً من السَّعادة وطيب الحياة ولذَّة العيش، وما نالوا هذه الحياة الطيِّبة؛ إلاَّ لأنَّهم يتمتَّعونَ بنعمة الإيمان والعمل الصَّالح.

وفي الدار الآخرة: فهم يعيشونَ في عيشة هي راضيةٌ من نفسِها؛ فكيفَ بالذين يعيشُونَ فيها حياةً أبديَّةً! نعيمٌ لا نظير له، ولا مثيلَ، ولا شبيهَ؛ لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ أحدٍ من البشر، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧ .
(٢) سورة يونس، الآية: ٦٤ .

١٣ـ أهلُ الإيمانِ: وعَدَهُم اللهُ تعالىٰ بالنَّصر والتَّمكين:

أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ؛ وعَدَهُمُ اللهُ تعالىٰ وبشَّرهم بالنَّصر والتَّمكين والغلبة والعلوِّ، في الحياة الدُّنيا قبلَ الآخرةِ، وأَن يُبَدِّلَ خوفهم أَمنًا، وأَن يستخلِفَهم في الأَرض، ويجعلَهم هم الوارثين.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

١٤ـ أَهلُ الإيمانِ يهديهُمُ الله بإيمانهم إلىٰ الصِّراطِ المستقيم:

أَهلُ الإيمانِ؛ يهديهُمُ الله تعالىٰ بإيمانهم وبيقينهم وبتوحيدهِمُ اللهَ وحدَهُ، وبإطاعتهم لأَوامره، واستمساكهم بالعُروةِ الوُثقىٰ، وبما يقومونَ به من الأَعمال الصَّالحة؛ فيهديهم إلىٰ الصِّراطِ المستقيم، صراط الذين أَنعمَ الله عليهم من النبيِّينَ والمرسلينَ؛ يهديهم في كلِّ أَمرٍ من أُمور الدُّنيا والدِّين، إلىٰ طريق الحقِّ، في العلم والعمل، وفي الشُّكر، والصَّبر، والرِّضا، والقناعة، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(٢).

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨ .
(٢) سورة يونس، الآية: ٩ .

١٥- أهلُ الإيمانِ: تَستغفرُ لهُم ملائكةُ عرشِ الرَّحمنِ:

أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: هم أَسعدُ عبادِ اللهِ تعالىٰ إطلاقًا تَستغفرُ لهم ملائكةٌ من حملة عرشِ الرَّحمنِ - جلَّ جلاله - ومَن حولَه، الذين هم أَفضلُ أَجناس الملائكة وأَشرفها، ويدعونَ اللهَ تعالىٰ لأَهل الإيمان؛ أَن يقيَهُم من عذاب الجحيم وأَهوالها وأَن يدخلَهُم الجنَّةَ ونعيمَها، ويُدْخِلِ مَن صلُحَ من آبائهم وأَزواجهم وذرِّيَّاتهم، وأَن يقيهُم ويُجنِّبهمُ السَّيِّئات ووبالها.

وما أَعظمَ هذا الجزاءَ وما أَجَلَّهُ! وما أَسعدَ مَن نالَه وما أَكرمَه! وأَهلُ الإيمان والطَّاعة؛ ما نالوا هذه المرتبةَ إلاَّ بإِيمانهِم الكامل، وبيقينهِم الصَّادقِ، وبصالح أَعمالهم، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٧ - ٨.

١٦- أَهلُ الإِيمانِ: نورُ إيمانهم دليلٌ لهم للخير:

أَهلُ الإيمان الصَّادق؛ بنورِ إِيمانِهم يُضيؤُونَ طريقَهم في الحياةِ الدُّنيا، ويمشونَ بِهْ، وفي الآخرة عندما تُطْفَأُ جميعُ الأَنوارِ أَمامَ العبادِ؛ فأَهلُ الإِيمانِ يمشونَ بنورِ إِيمانِهم ظاهرًا على الصِّراطِ؛ حتىٰ يجوزوا به إلىٰ دارِ القرارِ والنَّعيمِ الدَّائمِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

١٧- أَهلُ الإِيمانِ أَعظم تسليتهم عند المصائب هو الإِيمان:

أَهلُ الإِيمانِ الصَّادقِ أَعظمُ تسليتِهم عِنْدَ وقوعِ المصائبِ والمحن والشَّدائد والخوف والحزن هو قوةُ إِيمانهم، وصدقُ يقينهم باللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١١.

١٨- أهلُ الإيمانِ: يلجؤون إلىٰ إيمانهم في اليُسر والعسر:

أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: يلجؤُونَ إلىٰ إيمانهم وتوحيدِهم وعقيدتِهم وإخلاصِهم لله تعالىٰ، ويثِّقوْنَ بها في كلِّ ما يَلمُّ بهم من خيرٍ وشرٍّ وطاعةٍ ومعصيةٍ ويُسرٍ وعُسرٍ، وفي الرَّخاء والشَّدائِدِ.

فعندَ اليُسرِ؛ يحمدُونَ اللهَ تعالىٰ ويشكرونَهُ، ويثنونَ عليه بما هو أَهلٌ لَهُ علىٰ ما مَنَّ عليهم من نِعَمِهِ.

وعندَ العُسرِ يلجؤونَ إلىٰ إيمانِهم، ويعتصمونَ به، ويَعملونَ بمقتضىٰ إيمانهم، وصدقِ يقينِهم باللهِ تعالىٰ أَنَّ مع العُسر يُسرًا، ومع الصَّبر فرجٌ وأَجرٌ، ومع التَّوبة كرمٌ وعفوٌ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.

١٩- أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: ينتفعونَ بالمواعظِ والتذكير:

أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: ينتفعونَ بالمواعظِ والتذكيرِ من الآيات القرآنيَّة، والأَحاديث النبويَّة؛ لأَنَّ نورَ الإيمان وفُرقانَه وعلمَه؛ قد أَشرقَ علىٰ قلوبهم فجعلَها سليمةً عامرةً حيَّةً، وعلىٰ إيمانهم فجعلَه صادقًا خالصًا لله تعالىٰ، وعلىٰ عواطفهم فجعلَها سليمةً علىٰ الفطرة، وعلىٰ إراداتهم فجعلَها خيِّرة؛ فكلُّ هذه الأُمور يجعلُ لهم مَلَكَةً وحساسيَّةً يعرفونَ بها الحقَّ فيميلونَ إليه ويسكنونَ إليه، ويميِّزونَ بها بين الخيرِ والشَّرِّ، والهدىٰ والضَّلال، ويتذوَّقونَ بها الأَعمالَ الصَّالحةَ؛ ثمَّ يحملُهم إيمانُهم علىٰ التزامِ قولِ الحقِّ واتِّباعِهِ علمًا وعملاً، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[(٣)].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.

٢٠- أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: يَحفظُهُم إيمانُهُم من الوقوع في الموبقات المهلكات:

أَهلُ الإيمانِ: يَحفظُهم إِيمانُهم القويُّ، وتوحيدُهم الراسخُ، ويقينُهم الصَّادقُ وإِخلاصُهم لله وخوفُهُم من الله تعالىٰ؛ يحفظُهُم ويحولُ بينَهم وبينَ الوقوعِ فيما يُسخطُ اللهَ - عزَّ وجلَّ - ويوجبُ دخول النَّار من الموبقات المهلكات ومنَ الكبائر والمعاصي والفواحش وحبِّ الشَّهوات؛ لأَنَّ إِيمانهُم الحقَّ قد طهَّرَ قُلوبَهم من هذه الأَمراض الخبيثة فجعلها سليمةً نقيةً عامرةً بمحبَّة الله وخشيته.

قال تعالىٰ: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾(٢).

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥ .
(٢) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ - ٤١ .

٢١- أَهلُ الإيمانِ: هم الطَّائفةُ المنصورةُ والفرقة النَّاجية:

أَهلُ الإيمان الصَّادقِ: من ثمراتِ إِيمانهم الكاملِ؛ أنَّهم ينالونَ وصفَ الطائفةِ المنصورةِ والفرقةِ الناجيةِ؛ فهم أَهلُ السُّنَّة والجماعة، والأثر والحديث، وأَهلُ الشريعة، والاتِّباع، وهم أَهلُ القرآن وخاصتُهُ، وأَهلُ العلم والعبادة وأَهلُ السَّلامة والنَّجاة.

وهم أَهلُ الموالاة في اللهِ والمعاداةِ فيه، وأَهلُ الجهادِ والإنفاقِ في سبيل الله، وأَهلُ الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأَهلُ الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وأَهلُ الإخلاص، والصِّدق، والطَّاعة، والعبادة والبراءة من الطاغوت والشِّرك وأَهله، والبدع، والمعاصي.

وهم أَهلُ الشُّكر، والخوف والرَّجاء والحبِّ، وأَهلُ النَّصيحة، والرَّحمة، واللِّين، والعدل، والصبر، وحُسن الخلق والأَدب، وسعة الأُفق، وعلوِّ الهمَّة، والأَمانة، والوسطيَّة.

وهم أَولياءُ الله وخاصَّتُهُ الَّذين تولاَّهُم بعنايته ونصرته في الحياة الدُّنيا، وكرامته ونعيمه في الدار الآخرة، قال الله تعالىٰ:

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[1].

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٦٢ - ٦٣.

٢٢- أَهلُ الإيمانِ الصَّادق: هم أَهلُ التَّقوىٰ:

أَهلُ الإيمان: من ثمراتِ إيمانهِمُ الكامل، ويقينهِمُ الصَّادق؛ أَنَّهم ينالونَ وصفَ أَهلِ التَّقوىٰ، والصَّلاح، والفلاح، والصِّدق، والنجاة في الدَّارين؛ لأَنَّ التَّقوىٰ هي أَعلىٰ مراتب الإيمان ودرجاته.

وتقوىٰ الله تعالىٰ هي وصيتُهُ - جلَّ وعلا - للأَوَّلينَ والآخرينَ من عباده الصَّالحينَ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾(١).

والتَّقوىٰ؛ هي ميزانُ التَّفاضل عندَ اللهِ تعالىٰ، وهي السببُ الرئيسُ لقبول الأَعمال الصَّالحة؛ التي بها سعادةُ العباد في الدَّارين، وسبب النَّجاة من عذاب الدُّنيا، ومن عذاب القبر، وتكفير السيئات؛ وهي سببُ النَّجاة من النَّار، وعظم الأَجر؛ وهي سببُ الأَمن والأَمان يومَ القيامة، والفوز بالجنَّة ونعيمها، وبمقعد الصِّدق عند مليكٍ مقتدرٍ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(٢).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣١.

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٤ - ٥٥.

٢٣- أَهلُ الإيمانِ الصَّادقِ: وعدهُمُ اللهُ تعالىٰ نعيمَ الجنَّة:

أَهلُ الإيمانِ وعدهُمُ اللهُ تعالىٰ جنَّةَ الخُلد التي عرضُها عرضُ السَّموات والأَرضِ، وما فيها من النِّعَمِ الدائمة؛ التي فيها ما لا عينٌ رأَتْ ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قلب بشرٍ، ومساكنُ طيبةٌ، ورضوانٌ وسلامٌ وتحيةٌ من اللهِ تعالىٰ، وأَكبرُ ذلك هو الفوزُ العظيمُ، وهو رؤيةُ ربِّ العالمين وكلامُهُ لأَهل الجنَّةِ، ومَن أَوفىٰ بوعدِهِ من اللهِ - جلَّ وعلا - وقد أَعدَّها لهم ربُّهم جزاءً لإخلاصهم في العبادة، وما كانوا يعملونَ في الحياةِ الدُّنيا من الأعمال الصَّالحة، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾(٢).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٢ .

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٢ .

● وغيرُها من ثمراتِ شجرةِ الإيمانِ المباركة؛ التي لا يكادُ يمضي علىٰ المؤمن زمنٌ قليلٌ حتىٰ يَجنيَ ثمرةً من ثمراتها، وتبلُغُ الثَّمرةُ كمالَها ونُضجَها، إذا كان اللهُ تعالىٰ ورسولُه ﷺ أَحبَّ إليه ممَّا سواهما، ويصبحُ العبدُ يُحبُّ ويُبغضُ لله، ويَكرهُ أَن يعودَ إلىٰ الكُفر، كما يكرهُ أَن يُقذفَ في النَّار، والعياذُ بالله.

فالإيمانُ سبيلُ السَّعادة الأَبديَّة والنعيم الدائم؛ وهو غذاءُ الرُّوح والنَّفس، ولا ريبَ أَنَّ قيمةَ العبد بروحه ونفسه لا بجسده.

نسأَلُ الله - جلَّتْ قدْرتُه - أَن يرزُقَنا حلاوةَ الإيمانِ وحقيقتَهُ وكمالَهُ، ويعشَ في ضلاله، وأَن يحشُرنا في زمرةِ المؤمنينَ مع النبيِّينَ والصِّدِّيقين والشُّهداءِ والصَّالحينَ، وحَسُنَ أُولئك رفيقًا؛ إنَّه جوادٌ كريمٌ، غفورٌ رحيمٌ.. اللَّهُمَّ آمين يارب العالمين.

من صفـات أهـل الإيــمان

أَهلُ الإيمانِ والطَّاعةِ، والتَّسليمِ التَّامِّ لله تعالىٰ ولرسولِهِ الأَمينِ محمَّدٍ ﷺ من المؤمنينَ الصَّادقينَ، والمتَّقينَ المخلصينَ، والموحِّدينَ العاملينَ بعلمهم؛ هم عبادُ الرَّحمن حقًّا وصدقًا؛ جاءت صفاتُهم كثيرةً في القرآنِ والسُّنَّةِ؛ فهذه الصِّفاتُ قد عَرضَها ووصفَها لنا الوَحْيان الشَّريفان؛ بأَنَّها صفاتٌ كريمةٌ، فاضلةٌ، مباركةٌ، خيِّرةٌ، حميدةٌ، عاليةٌ، ساميةٌ، عزيزةٌ؛ فهم صَفوةُ خلقِ الله تعالىٰ وخيرتُهُم؛ بصفاتهم المميَّزة المتكاملة، وأَخلاقهِم الحميدةِ الفاضلة، ومعاملاتهمُ الفريدة، ونفوسهمُ السَّامية، وقيمهمُ الكريمة العاليَّة.

وهمُ الذينَ يَستحقُّونَ أَن يُضافوا إِلىٰ اسم الله – جلَّ وعلا – الرَّحمن ويكونوا عبادَهُ المخلصينَ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ كيف لا وقد تكفَّل الله بتهذيبهم وتربيتهم، قال تعالىٰ:

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ

عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾(١).

وقد دعا اللهُ تعالىٰ، ورسولُه ﷺ جميعَ المؤمنينَ والمسلمينَ إلىٰ أن يتَّصفوا ويتحلَّوا بصفات عباد الرَّحمن ويَتخلَّقوا بأَخلاقهم حتىٰ يعيشوا حياةً إيمانيةً كريمةً، مباركةً سعيدةً؛ ثمَّ ينالوا بذلك ثوابَ الله تعالىٰ ورضوانَه وجنَّته ونعيمَه الأَبديَّ. والمؤمنُ الصَّادقُ مع ربِّه - جلَّ وعلا - حريصٌ علىٰ هذه الصِّفات الكريمة، والأَخلاق الحميدة، لكي يبقىٰ قلبُه وحياتُه في الإيمان ومع الإيمان وبالإيمان، وأَن يتَّصفَ بصفات أَهلها، ويحاولَ جاداًّ أَن يعيَها ثمَّ يعيشُها؛ حتىٰ ينالَ بها رضوانَ اللهِ تعالىٰ والجنَّة.

فهذه بعضُ صفات أَهلِ الإيمان الصَّادقِ؛ كما جاءت في كتاب ربِّهم وخالقهم وهاديهم، وفي سُنَّةِ نبيِّهم ومربِّيهم ومُرشدهم ﷺ؛ لعلَّنا نحذو حَذوَهم، ونَتمسَّكَ بمنهجهم، ونتَّصف بصفاتهم؛ حتىٰ نحقِّقَ الإيمانَ ونبلُغَ كمالَهُ، ونكونَ مع المحسنين السَّابقين إلىٰ جنَّاتِ الخُلد، والنَّعيم الدائم؛ التي فيها ما لا عينٌ رأَت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خَطرَ علىٰ قلبِ بشر.

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢٣ - ١٢٤ .

١- أَهلُ الإيمان: من صفاتهم أنَّهم ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ :

فمَن كانَ من عبادِ الرَّحمنِ حقًّا وصدقًا؛ تدفَّقُ عليه من ربِّه فيضُ العطاءِ، لا يستطيعُ العادُّون حصرَه، ولا بيانَ حقيقته، ولقد وسِعَ اللهُ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا؛ فبرحمته - سبحانه - يهدي المؤمنينَ إلىٰ الصراط المستقيم ويُدخلُهُم جنة النَّعيمَ ويغفرُ لِمُسيئِهِم.

وبما أنَّ أهلَ الإيمان: هم أَهلُ الطَّاعة والعبادة والتَّقوىٰ، ونالوا شرفَه وتحلَّوا بصفات عباد الرَّحمن التي جاءت في الوحيين الشَّريفين.

إذن: فأهلُ الإيمانِ هم عبادُ الرَّحمن حقًا وصدقًا؛ الذين يَستحقُّون أن يُضافوا ويُنسبوا إلىٰ اسمِ ربِّهم - جلَّ وعلا - الرَّحمن، ويكونوا عبادَه المخلصينَ العابدينَ العاملين؛ فوصفَهُم اللهُ تعالىٰ: بأنَّ صفاتهم أكملُ الصفات، ونعوتَهُم أفضلُ النعوت، وما وصَلُوا إلىٰ هذه الدَّرجة إلاَّ برحمة الله تعالىٰ لهم ومَنِّه وكرمه وفضله، قال اللهُ تعالىٰ عن صفاتهم:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا

(*) ﴿الرَّحمن﴾: اسمٌ من أسماء الله الحسنىٰ؛ مشتقٌ منَ الرَّحمة، دالٌّ علىٰ أنَّ الرَّحمةَ من صفاته سبحانه وتعالىٰ. فـ﴿الرَّحمنُ﴾ يجمَعُ كلَّ معاني الرَّحمة؛ فهو ذو الرَّحمةِ الذي لا نظيرَ لَهُ فيها، وهو ذو الرَّحمةِ الواسعةِ والشاملة لجميع الخلق في الدُّنيا؛ مؤمنهم وكافرهم؛ من أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم، وفي الآخرة للمؤمنين خاصَّة.

خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ
سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ
إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا
﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾
يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن
تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ
حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا
مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ
يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَئِكَ
يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴿٧٥﴾
خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾[1].

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣ - ٧٧ .

٢ـ أَهلُ الإيمانِ: من صفاتهم أَنَّهم يؤمنونَ بالغيب (*):

كما وصفهم ربُّهم جلَّ وعلا، وأَصلُ الإيمان بالغيب هو الإيمانُ بالله تعالىٰ الذي لم يرهُ أَحدٌ ولكن المؤمنينَ يؤمنونَ بربِّهم؛ لأَنَّهم شاهدوا من الآيات والبراهين؛ ما تدلُّ علىٰ أَنَّ لهذا الكون خالقًا له مدبِّرًا لأَمره منفِّذًا فيه مشيئتَه؛ فما شاءَ كانَ وما لم يشأْ لم يكنْ.

فأَهلُ الإيمانِ يوحدُّونَ اللهَ تعالىٰ بربوبيته أَي: بأَفعاله العظيمة الحكيمة الجليلة، وبأُلوهيَّته أَي: استحقاقه وحدَهُ للعبادة والإخلاص وبأَسمائه وصفاته، أَي: الإيمان بها كما جاءت من غير تعطيلٍ، أَو تأْويلٍ، أَو تشبيهٍ، أَو تكييفٍ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًىٰ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًىٰ مِن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١ ـ ٥.

(*) الغيبُ، كلُّ ما غابَ عن الإنسان مما لا يعلمُه إلاَّ الله تعالىٰ. وعالمُ الغيب: هو العالم الذي غابَ عن حواسِّ الإنسان مما لا تهتدي إليه العقولُ؛ بل نتوصَّلُ إلىٰ معرفته بالخبر الصَّادق عن طريق الأنبياء والرُّسُل عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ فحقيقةُ الإيمان بالغيب: هو التَّصديقُ الجازمُ التَّامُّ بكلِّ ما أخبرَ به الله تعالىٰ من الأُمور الغيبية، وبما أخبرَ به رسولُه ﷺ المتضمنُ لانقياد الجوارح والأركان؛ كالإيمان بالله تعالىٰ وبصفاته، وبملائكته، ورسُله، وكتبه، وأخبار الأُمم السابقة، والإيمان بالجنِّ، والشياطين، وعذاب القبر، وغيرها.

٣ـ أَهلُ الإيمان: من صفاتهم أَنَّهم يقيمون الصَّلاة:

فإنَّ الصَّلاةَ لها شأنٌ عظيمٌ في الإسلام، وهي عمودُ الدِّينِ الذي لا يقومُ الدِّينُ إلاَّ بهِ، وهي أَولُ ما أَوجبَه اللهُ تعالىٰ من العبادات، وهي آخرُ وصيَّةٍ وصَّىٰ بها النَّبيُّ ﷺ عندَ فراقِ الدُّنيا، وهو يلفظُ أَنفاسهُ الأَخيرةَ في مَرَض موتِهِ؛ فكانَ يقولُ ﷺ:

«الصَّلاَةَ، وَمَا مَلَكَتْ أيمانكُم»(١).

وأَهلُ الإيمانِ: يدركونَ كلَّ هذه المعاني عن الصَّلاة؛ فهم من أَحرص النَّاس علىٰ إقامتها، والخشوع فيها، والمحافظة عليها.

وقد وصفَ اللهُ تعالىٰ أَهلَ الإيمانِ في كتابه بهذه الصِّفات:

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٢).

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾(٣).

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾(٤).

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾(٥).

---

(١) رواه ابن ماجة (كتاب الوصايا) باب: «وهل أوىٰ رسول الله ﷺ». وصححه الألباني.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣ .

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٢ .

(٤) سورة المعارج، الآية: ٢٣ .

(٥) سورة المعارج، الآية: ٢٤ .

٤- أَهلُ الإيمانِ: هم أَهلُ الطَّاعة والعبادة والأَعمال الصَّالحة التي تُدخلُهم الجنَّةَ وتجعلُهم فيها من الخالدينَ:

من صفاتهم التي هي سببُ فلاحهم، ونجاحهم، ونجاتهم وسعادتهم، وفوزهم بجنَّةِ الفردوس، والخُلود فيها، ما وصفهُمُ اللهُ تعالىٰ به في صدر سورة «المؤمنون» من الخشوع في الصَّلاة، والإعراضِ عن اللَّغْوِ، ومن أَداء زكاة أَموالهم، وعدم وقوعهم في الزِّنا وما شابهها، ومراعاتهم لأَماناتهمُ التي هي حقُّ الله تعالىٰ، ثمَّ إقامتهم لصلواتهمُ التي هي المداومةُ عليها في أَوقاتها ومراعاة حُدُودِهَا وشُروطها وأَركانها، قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١].

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ - ١١ .

٥- أَهلُ الإيمان: من صفاتهم الخوفُ من الله عزَّ وجلَّ:

وذلك لقوَّةِ إيمانهم، ومراقبتِهم لربِّهم، وكأنَّهم واقفونَ بين يَدَيْهِ جلَّ وعلا؛ لأنَّ الخوفَ من عظمة الله لا يفارقُ قلوبَهم، وإذا ذكرُوا الله وحدَهُ؛ فَزِعَتْ قلوبُهم، واضطربتْ نفوسُهُم، واقشعرَّتْ جلودُهُم، وخشعتْ أَصواتُهم؛ استعظامًا لأَمره، وتهيبًا لجلاله، وعزةً لسلطانه، وحذرًا من أَليم عقابه، قالَ الله تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ – ٤ .
(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ – ٦٠ .
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٤٦ .

٦- أَهلُ الإيمانِ: من صفاتهم عدمُ الشَّكِ في إيمانهم:

عَدَمُ الشكِّ فيما آمنوا به، ومِمَّا أَوجبَ عليهم دينهُمُ، وذلك لكمال إيمانهم القائم على العلم، وبإخلاصهم لله، وبأَعمالهم الصَّالحة الموافقة لهدْيِ النَّبِيِّ ﷺ ولصلاح قلوبهم بذكر الله تعالىٰ، وسلامته من الشَرِّ، وعمرانِهِ بالخيرِ؛ الذي يجعلُه حِصْنًا حَصِينًا من الشَّكِّ والضَّلالةِ، والأَفكار الخبيثة الفاسدة المفسدة؛ لأَنَّ الإِيمانَ النافعَ الصَّادقَ هو الجزمُ اليقينيُّ؛ بما أَمرَ اللهُ تعالىٰ بالإيمان به، والذي لا يعتريهِ شكٌّ بوجهٍ من الوجُوه، قال الله تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥ .

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٢ .

٧- أهلُ الإيمانِ: من صفاتهم طاعةُ الله وطاعةُ رسوله ﷺ:

وأنَّهم يُقدِّمونَ طاعتَهما ورضاهُما على كلِّ شيءٍ ويَردُّون الأَمرَ إليهما عندَ النِّزاعِ والخلافِ، ولا يتقدمونَ على أمرِهما، ويعتصمُون بكتاب الله تعالىٰ، وبسُنَّةِ نبيِّهِ الأَمينِ ﷺ؛ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ قد أَرشدَ عبادَهُ إلىٰ طاعته وطاعة رسوله ﷺ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩ .
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥ .
(٣) سورة النساء، الآية: ٨٠ .
(٤) سورة المائدة، الآية: ٩٢ .

٨ـ أهلُ الإيمان: من صفاتهم الإخلاصُ لله تعالىٰ:

أنَّهم يُخلصونَ دينهُم للهِ، ويعبُدُونَ اللهَ ولا يُشركُونَ به أَحدًا ويُخلصُونَ نيَّاتهم لله تعالىٰ وحدَهُ خالصةً من الشِّرك والرِّياء والسُّمعة واتباع الهوىٰ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ وحدَهُ مستحقٌّ للعبادة والطَّاعة، وإخلاصُ الدِّين لله تعالىٰ تقومُ علىٰ أَمرين عظيمين؛ لا بُدَّ أن يتوفَّرا في كلِّ عمل، وإلاَّ لا يُقْبَلُ عند الله جلَّ وعلا:

- أن يكونَ العملُ خالصًا لوجهه تباركَ وتعالىٰ.
- أن يكونَ موافقًا لما شَرَعَهُ الله تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[3].

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٦.
(٢) سورة البينة، الآية: ٥.
(٣) سورة غافر، الآية: ١٤.

٩- أهلُ الإيمان: من صفاتهم الصَّبرُ في الله تعالىٰ:

التحلِّي بالصَّبرِ الجميل في سبيل الله علىٰ نعمه التي أَسبَغَها عليهم ظاهرًا وباطنًا، وعلىٰ المصائب والبلايا التي تحيقُ بهم في الحياة الدُّنيا، وكذلك الصَّبْر عن شهوات النَّفسِ من متاع الدُّنيا وزينتها وفتنها، والصَّبرُ علىٰ طاعة الله، والصَّبْر علىٰ مشاقِّ الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، والجهاد في سبيله. واللهُ تعالىٰ أَمَرَ عبادَهُ المؤمنينَ الصَّادقينَ الموحِّدينَ بالصَّبْرِ، ونهاهُم عنْ عدمِ الصَّبْرِ، وأَمَرَهم بالاستعانة به، قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٣).

قال تعالىٰ: ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.
(٢) سورة الاحقاف، الآية: ٣٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

١٠- أهلُ الإيمانِ: من صفاتهمُ الولاءُ والبراءُ في اللهِ:

أي: الحبُّ في اللهِ، والبُغضُ في اللهِ؛ فعقيدتُهُم مبنيةٌ على هاتينِ القاعدتينِ العظيمتينِ: فالحُبُّ: حبُّ اللهِ تعالىٰ، وحبُّ رسولِهِ الأمينِ ﷺ وكتابه، ودينه، وعباده المؤمنينَ، وموالاتُهُم.

والبُغضُ: بغضُ أعداءِ الله تعالىٰ وكُرهُهُم، وهجرُهم، والبراءةُ منهم ومن جميع أعمالهم؛ لأنَّ عقيدةَ الولاء والبراء أصلٌ من أُصولِ الدِّين، ولا يتحقَّقُ الولاءُ للمسلمينَ إلاَّ بالبراء من الكافرينَ.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[2].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الإيمانِ: المُوالاةُ في اللهِ والمُعاداةُ في اللهِ، والحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ»[3].

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١ . (٢) سورة الممتحنة، الآية: ١ .
(٣) انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني: ج٢ رقم: (٩٩٨).

١١ـ أهلُ الإيمان: من صفاتهم الأَمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر: وأنَّهم يؤمنونَ بأَنَّ خيريَّةَ هذه الأُمَّةِ باقيةٌ بهذه الشَّعيرةِ، وأنَّها من أعظم شعائر الإسلام، وسببُ حفظ جماعته، وأنَّها من أَوجب الواجبات علىٰ الأُمَّة كلٌّ علىٰ حسبِ طاقتِهِ والمصلحةُ مُعتبرةٌ في ذلك، ويرونَ أَنَّ تركَ هذه الشعيرة سببٌ لنزول عذاب الله تعالىٰ وعقوبته، قال الله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانه؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمان»[2].

وأَهلُ الإيمانِ: حينَ يقُومونَ بالأَمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ؛ يلتزمونَ في الوقتِ نفسهِ أَصلاً آخرَ هو الحفاظُ علىٰ الجماعةِ، وتأْليفُ القلوبِ، واجتماعُ الكلمةِ، ونبذُ الفرقةِ والاختلافِ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجبان».

١٢ـ أَهلُ الإيمانِ: يتحلَّونَ بمكارمِ الأَخلاق:

ومحاسنِ الأَعمالِ والأَقوالِ والأَفعالِ، وأَنَّهم صفوةُ خلقِ اللهِ تعالىٰ وخيرتُه، وأَنَّهم قدوةُ الصَّالحينَ؛ الذينَ يهدون إلىٰ الحقِّ، ويرشدونَ إلىٰ الصِّراط المستقيم؛ بثباتهم علىٰ الحقِّ، وعدم تَقَلُّبِهِمْ واتِّفاقهم علىٰ أُمور العقيدة، وجمعهم بين العلم والعبادة، وبين التوكُّل علىٰ الله تعالىٰ، والأَخذ بالأَسباب، وبين التَّوسُّع في الدُّنيا والورع فيها، وبينَ الخوفِ والرجاء، والحبِّ والبغض، وبينَ الرَّحمةِ واللِّين للمسلمين والشدَّةِ والغلظة علىٰ أَعداء الدِّين من الكافرين.

قال النَّبيُّ ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤْمِنينَ إِيمانًا؛ أَحْسَنُهمْ خُلُقًا»(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ من أَحَبِّكُمْ إِليَّ وأَقربَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيامَةِ؛ أَحْسَنكُمْ أَخْلاَقًا»(٢).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ في الميزان أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُق، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ به؛ دَرجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلاة»(٣).

---

(١) رواه الترمذي في (كتاب الرَّضاع) باب: «ما جاء في حق المرأة علىٰ زوجها» وصححه الألباني.

(٢ ـ ٣) رواه الترمذي في (كتاب البر وصلة) باب: «ما جاء في معاني الأَخلاق» وصححه الأَلباني.

من أَقوالِ أئمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في أَهلِ الإِيمان

١ ـ قالَ الصَّحابيُّ الجليلُ عبدُ الله بن مسعودٍ، رضيَ اللهُ عنه:

(المؤمنُ يُطْبع علىٰ الخِلاَلِ كُلِّها إلاَّ الخيانةَ والكذب)[١].

٢ ـ قالَ الصَّحابيُّ الجليلُ أُبيُّ بنُ كعبٍ، رضيَ اللهُ عنه:

(المؤمنُ بينَ أَربعٍ: إن ابتُلِيَ صبرَ، وإن أُعطِيَ شكرَ، وإن قالَ صدقَ، وإن حَكَمَ عدلَ؛ فهو يتقلَّب في خمسة من النور، وهو الذي يقول الله ﴿ نورٌ علىٰ نور ﴾ كلامُهُ نورٌ، وعلمُهُ نورٌ، ومدخلُهُ نورٌ ومخرجُهُ نورٌ ومصيرُهُ إلىٰ النورِ يومَ القيامةِ. والكافرُ يتقلبُ في خمسةٍ من الظلمِ؛ فكلامُهُ ظلمةٌ وعملُهُ ظلمةٌ، ومدخلُهُ ظلمةٌ ومخرجُهُ ظلمةٌ ومصيره إلىٰ الظُّلماتِ يومَ القيامة)[٢].

٣ ـ قال الصَّحابيُّ الجليلُ عمَّارُ بن ياسرٍ، رضيَ اللهُ عنه:

(ثلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فقدْ جَمَعَ الإيمانَ: الإنصافُ من

---

(١) « كتاب الإيمان » ابن أبي شيبة: (٨٠) ص٣٥ .

(٢) « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصفهاني: ج١، ص٢٥٥ .

نفسك، والإنفاقُ من الإقتارِ، وبذلُ السَّلام للعالم)[١] .

٤- قال عبدُ الله بنُ عمروِ بنُ العاصِ رضيَ اللهُ عنهما :

(يأتي علىٰ النَّاس زمانٌ ؛ يجتمعون ويُصَلُّون في المسجدِ، وليسَ فيهم مؤمنٌ)[٢] .

٥- قال التَّابعيُّ الجليلُ الحسنُ البصريُّ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

(المؤمنُ مَن يعلَمُ أنَّ ما قالَ الله - عزَّ وجلَّ - كما قالَ، والمؤمنُ أَحسنُ النَّاسِ عملاً، وأَشدُّ النَّاسِ خوفًا ؛ لو أَنفق جبلاً من مالٍ، ما أَمِنَ دونَ أن يعاين، لا يزدادُ صلاحًا وبرًّا وعبادةً إلاَّ ازداد فرقًا يقولُ لا أنجو. والمنافقُ يقولُ سوادُ النَّاسِ كثيرٌ وسَيُغْفَرْ لي ولا بأسَ عليَّ فَينْسَىٰ العملَ ويتمنَّىٰ علىٰ الله تعالىٰ)[٣] .

٦- قال الإمامُ الفضيلُ بنُ عياضٍ، رحمه الله :

(المؤمنُ ؛ قليلُ الكلامِ كثيرُ العملِ، والمنافقُ ؛ كثيرُ الكلامِ قليلُ العملِ ؛ كلامُ المؤمنِ حِكَمٌ، وصَمْتُهُ تفكُّرٌ، ونظرُهُ عِبَرٌ، وعملُه برٌّ، وإذا كُنتَ كذا، لم تزلْ في عِبادةٍ)[٤] .

---

(١) « كتاب الإيمان » ابن أبي شيبة : (١٣١) ص٤٨ .
(٢) « كتاب الإيمان » ابن أبي شيبة : (١٠١) ص٤٠ .
(٣) « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصفهاني : ج٢، ص١٥٣ .
(٤) « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصفهاني : ج٨، ص٩٨ .

٧- قال الإمامُ الزاهد مالكُ بنُ دينارٍ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ:

(مثلُ المؤمنِ؛ مثلَ اللُّؤْلُؤَةِ أينما كانتْ حُسْنُها معَها)[١].

٨- قال التَّابعيُّ وهبُ بن مُنَبِّه، رحمه الله:

(المؤمنُ يُخالِطُ ليعلَم، ويَسكتُ ليسلمَ، ويتكلَّمُ ليفهمَ، ويخلو لِيَنْعَمَ)[٢].

٩- قال الإمامُ القدوةُ سَلَمَةُ بنُ دينارٍ، رحمه الله:

(أَفضلُ خصلةٍ تُرْجىٰ للمؤمن؛ أَنْ يكونَ أَشَدَّ النَّاسِ خوفًا علىٰ نفسه، وأَرجاهُ لكلِّ مُسلمٍ)[٣].

١٠- قال الزاهدُ شقيقُ بنُ إبراهيمَ البَلْخيُّ، رحمه الله:

(المؤمنُ؛ مشغُولٌ بخصلتينِ، والمنافقُ؛ مشغولٌ بخصلتين؛ المؤمنُ؛ بالعِبَرِ والتَّفكُّرِ، والمنافقُ؛ بالحرصِ والأَمل)[٤].

١١- قال التَّابعيُّ مروقُ بنُ مشموخِ العجليُّ، رحمه الله:

(ما وجدتُ للمؤمنِ في الدُّنيا مثلاً إلاَّ كمثلِ رجلٍ علىٰ خشبةٍ

---

(١) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٢، ص٣٧٧.
(٢) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٤، ص٦٨.
(٣) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٣، ص٣٣.
(٤) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٨، ص٧١.

في البحر وهو يقول: يارب! يارب! لعلَّ الله أن يُنجيَهُ)(١).

١٢- قال القدوةُ الرّبانيُّ حاتِمُ بنُ عنوانَ الأَصمُّ، رحمه الله:

(لا يغلبُ المؤمنُ عن خمسةِ أَشياءَ: عن اللهِ عزَّ وجلَّ، وعن القضاءِ، وعن الرِّزقِ، وعن الموتِ، وعن الشَّيطانِ)(٢).

١٣- قال الإمامُ مُطرِّفٌ بنُ عبدِ اللهِ بنُ الشِّخِّيرِ، رحمه الله:

(لو وزنَ رجاءُ المؤمنِ خوفَهُ ما رجحَ أَحدُهما صاحبَهُ)(٣).

١٤- قال الإمامُ الفقيهُ محمَّد بن عَجْلان القرشيُّ رحمه الله:

(المؤمنُ يحبُّ المؤمنَ؛ حيثُ كانَ)(٤).

١٥- قال التَّابعي الإمامُ محمَّدُ بنُ سُوقَةَ الغنويُّ، رحمه الله:

(إنَّ المؤمنَ الذي يخافُ اللهَ؛ لا يسمنُ، ولا يزدادُ لونُهُ إلاَّ تغيرًا)(٥).

١٦- قالَ الإمامُ الزَّاهدُ محمَّدُ بنُ المُنْكَدِرِ، رحمَهُ اللهُ:

(١) «كتاب المصنف» ابن أبي شيبة (كتاب الزهد) ج١٣، ص٤٨٤: (١٦٩٩٦).
(٢) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٨، ص٧٩.
(٣) «كتاب المصنف» ابن أبي شيبة؛ (كتاب الزهد) ج١٣، ص٤٧٨ برقم (١٦٩٧٢).
(٤) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٨، ص٢٣.
(٥) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٣، ص٥.

(إنَّ اللهَ تعالىٰ يحفظُ العبدَ المؤمنَ في وَلَدِهِ وولدِ ولده، ويحفظُ في دويرته، وفي دُوَيرات حولَهُ؛ فما يزالونَ في حفظٍ وعافيةٍ ما كانَ بينَ ظهرانيهم)[١].

فهذا قُلٌّ من كُثْرٍ من صفاتِ عبادِ الرَّحمنِ؛ أهل الإيمانِ الصَّادقِ والطَّاعةِ: فإذا أردنا - نحنُ المسلمينَ اليومَ - الفلاحَ، والنَّجاحَ، والنَّجاةَ، والتَّوفيقَ، والسَّدادَ، والعِزَّةَ، والسِّيادةَ، وعدمَ العبوديَّةِ للأقوياءِ من بني البشرِ؛ بل إذا أردنا خَيْرَيِ الدُّنيا والآخرة؛ فعلينا التمسُّكُ بما كانَ عليه هؤلاء الكِرام العِظام؛ الذينَ سطَّرَ لنا التَّاريخُ سيرتَهم بماءٍ من ذهبٍ، وعلينا أن نتأسَّىٰ بهم وبأقوالهم وأفعالهم؛ فهم اقتدوا برسول الله ﷺ وتخلَّقوا بأخلاقِهِ، وامتثلوا أوامرَهُ، وكانوا كما وصفَهُم اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[٢].

---

(١) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٣، ص١٤٨ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠ .

خوارم الإيمان*

المعاصي وأثرها على الإيمان
عند أهل السنة والجماعة

(*) الخوارمُ: جمعُ خارم؛ من خَرَمَ الشَّيْءَ إذا شقَّه وقطعه. يُقال: انْخَرَمَ الكتاب، أي: نقص وذهب بعضه. والخارمُ هو التَّارك المفسد. ويقالُ: خوارمُ المروءة، وخوارمُ العدالة، أي: ما ينقض العدالة والمروءة، ويسقط الشَّهادة. ويرادفُ الخوارم: القوادحُ والقواصمُ. وبذلك يكون المعنىٰ المقصود من كلمةِ الخوارم: تلك النقائص التي تفقد الشَّيْءَ تمامه.

خوارم الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- المعاصي وأَثرها علىٰ الإيمان .
- مكفِّرت الذُّنوب .
- خطر المعاصي والذُّنوب عامة .
- خطورة الإصرار علىٰ المعاصي والتهاون في فعل الصغائر .
- صغائر المعاصي قد تتحوَّل إلىٰ الكبائر .
- حكم الاصرار على المعاصي .
- آثار المعاصي الوخيمة علىٰ العبد في دينه ودنياه وآخرته .
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ القلب .
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ الدِّين .
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ البدن .
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ الرزق .
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ العامة وعلىٰ الفرد .
- آثار المعاصي والذُّنوب علىٰ المجتمع .
- من أَقوال أَئمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة في المعاصي .
- الوقاية والعلاج من المعاصي والذُّنوب .
- حكم مرتكب الكبيرة دون الشِّرك .
- أَقوال أَئمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة في حكم أَهل الكبائر .
- من أَسباب سقوط العقوبة عن العصاة الموحدين .
- طبقات عصاة الموحِّدين يوم الدِّين .

المعاصي وأثرها على الإيمان

المعاصي والذُّنوبُ الَّتي هي دونَ الكُفرِ أَو الشِّركِ - عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة - تنقسمُ قسمين: كبائرَ، وصغائر.

* الكبيرة: هي كلُّ معصيةٍ يترتَّبُ عليها حدٌّ في الدُّنيا، أَو وعيدٌ في الآخرةِ، أَو لعنةٌ، أَو غضبٌ.

* الصغيرة: هي كلُّ معصيةٍ لا يترتَّب عليها حدٌّ في الدُّنيا، ولا وعيدٌ في الآخرة.

واستدلُّوا علىٰ ذلك بأَدلَّة من الكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ(*).

قال الله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾(1)(**).

---

(1) سورة النساء، الآية: 31.

(*) قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله: (والذنوب تنقسم إلىٰ صغائر وكبائر؛ بنص القرآن والسُّنَّة وإجماع السَّلف وبالاعتبار) «مدارج السالكين» ج1، ص342.

(**) قال القرطبي رحمه الله: (لمَّا نهىٰ تعالىٰ في هذه السورة عن آثام هي كبائر، وعَدَ علىٰ اجتنابها التخفيف من الصغائر، ودلَّ هذا علىٰ أنَّ في الذنوب كبائرَ وصغائرَ، وعلىٰ هذا جماعة أَهل التأويل وجماعة الفقهاء). «الجامع لأَحكام القرآن» ج5، ص104.

وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٢)(*).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتْ الكَبَائِرُ» (٣).

وعن أَبي هُريرةَ - رضيَ اللهُ عنه - قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قالوا: يا رسُولَ اللهِ، وما هُنَّ؟ قالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الغَافِلاتِ» (٤).

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢ . (٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩ .

(٣) «رواه مسلم» في كتاب (الطهارة) باب: «الصلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة..».

(٤) «رواه البخاري» في كتاب (الوصايا) باب: «قول الله تعالىٰ: وَآتُوا اليتامىٰ أموالهم».

(*) قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (أي: لا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا عملاً وإن صغر ﴿ إِلاَّ أَحْصَاهَا ﴾ أي: ضبطها وحفظها).

(**) قال الإمام النووي رحمه الله: (فسمَّىٰ الشرع ما تكفره الصَّلاة ونحوها صغائر، وما لاتكفرهُ كبائر) «شرح النووي علىٰ صحيح مسلم» ج٢، ص٨٥.

● مُكَفِّراتُ الذُّنوب :

اتَّفَقَ أَهلُ السُّنَّة والجماعة : علىٰ أنَّه لا يَسْلَم أَحَدٌ من الذُّنوب ، واتَّفقوا : أنَّ اجتناب الكبائر مع فعل الفرائض يُكَفِّر اللهُ تعالىٰ به الصغائرَ ، وكذلكَ الاستكثارُ من الحسناتِ والطَّاعات والأَعمالِ الصَّالحةِ مطلقًا ؛ تُكفِّرُ كثيرًا من السَّيئاتِ والذُّنوب ، وتكون الحسناتُ بالقلب ، وباللِّسان ، وبالجوارح ، قال الله تعالىٰ :

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾[١] .

واتَّفقوا أَيضًا : علىٰ أَنَّ التَّوبةَ الصَّادقةَ النصوحَ الخالصةَ من المعاصي والذُّنوبِ - أيًّا كان الذَّنبُ كُفرًا أَمْ كبيرةً أَم صغيرةً - مقبولةٌ عند الله تعالىٰ ؛ إذا اجتمعتْ فيها شُروطُها ، وهي :

الإقلاعُ عن الذَّنبِ ، والندمُ علىٰ ذلك ، والعزمُ علىٰ عدمِ العودةِ إليها في المستقبلِ ، وردُّ المظالمِ إلىٰ أَهلِها إن وُجِدَتْ ، والاعتصامُ بالصِّراطِ المستقيمِ ، وأَن يكونَ ذلكَ طلبًا لثوابِ اللهِ ورحمتِهِ ، وَهَرَبًا من عذابِهِ وعقوبتِهِ ، وأَن تكونَ قبلَ الموتِ .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٢] .

---

(١) سورة هود ، الآية : ١١٤ .
(٢) سورة الشورىٰ ، الآية : ٢٥ .

واتَّفقوا: علىٰ أنَّ الاستغفارَ والإنابةَ إلىٰ الله تعالىٰ بصدقٍ؛ يُكَفِّرُ الذُّنوبَ، ويمنعُ من وقوع العذاب، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[١].

● خطرُ المعاصِي والذُّنوبِ عامةً:

المعاصي والذُّنوبُ بأَنواعِها الكبيرةِ والصغيرةِ؛ شأْنُها عظيمٌ، وخطرُها كبيرٌ عندَ اللهِ تعالىٰ وهي تدورُ ما بينَ الإثمِ، والذنب، والخطيئةِ والسَّيِّئَةِ، والفساد، والعُتُوِّ، والظلم، والفاحشة، والفسق، والعصيان، والضَّلال، والكفر، والشِّرك.

ولذلك يجب علىٰ كلِّ مسلم الخوفُ منها، والحذرُ من أَن تكونَ سببًا للوقوع في الفتنةِ، أَو الوقوع في عذابٍ أَليم، أَو من سوء العاقبة في الدُّنيا والآخرة، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾[٢].

---

(١) سورة هود، الآية: ٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

● خُطورةُ الإصرارِ على المعاصي والتهاونِ في فعلِ الصَّغائر:

إنَّ الاستصغارَ بفعل المعاصي والذُّنوب والاستهانةَ بها - لو كانت صغيرةً - وعدمَ المُبالاةِ بالوقوع فيها، والإصرارَ عليها؛ لأَنَّ الاستمرارَ بها يُميتَ قلبُ صاحبها ويهلكَهُ! فهذا مخالفٌ لأُصولِ الإسلام، ولِهَدْي نبيِّه ﷺ وأَصحابه، واستخفافٌ بأَحكام الشريعة؛ لأَنَّ كلَّ ما نَهَتْ عنه الشَّريعةُ الغرَّاءُ؛ فهي كبيرةٌ وعظيمةٌ ومعصيةٌ عندَ اللهِ تعالىٰ يجبُ الحذرُ منها، والتَّوبةُ عند الوقوعِ فيها.

قال تعالىٰ: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَىٰ الرَّجُلِ حَتَّىٰ يُهْلِكْنَهُ»(٢).

وقال أَنسُ بن مالكٍ، رضي الله عنه: (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ؛ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ)(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨ - ٧٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» ج١، ص٤٠٢ وصححه أحمد شاكر.

(٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق) باب: «ما يُتَّقَىٰ من محقرات الذنوب».

وقال حِبْرُ الأُمَّةِ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ، رضي الله عنهما:

(لاَ كَبِيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ، ولاَ صَغِيرَةَ مَعَ الإِصْرَارِ)(١).

وقال الصَّحابيُّ الفقيهُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، رضي الله عنه:

(إنَّ المُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وإنَّ الفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ)(٢).

واعلمْ أخي المسلمُ الكريمُ: علَّمنا اللهُ وإيَّاكَ طريقَ الهُدىٰ:

أنَّه حريٌّ بكلِّ مسلمٍ؛ أن لا يأمنَ مكرَ اللهِ تعالىٰ، وشديدَ عقابِهِ، وأن لا يُحقِّرَ المعاصي مهما صَغُرَتْ، وأن يبادرَ بالتَّوبة والاستغفار إذا وقعَ منه ذنبٌ، قال الله تعالىٰ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(٣).

وقال التَّابعيُّ الرَّبانيُّ بلالُ بن سَعْدٍ السَّكونيُّ رحمه الله:

(لاَ تَنْظُرْ إلىٰ صِغَرِ الخَطِيئَةِ، وَلَكِنِ انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ)(٤).

---

(١) «جامع البيان» الإمام الطبرى: ج٨، ص٢٤٥.
(٢) رواه البخاري في (كتاب الدعوات) باب: «التوبة».
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.
(٤) انظر: «الجواب الكافي» لابن القيم؛ ص١٤٩. دار ابن خزيمة.

● صغائرُ المعاصي قد تتحوَّلُ إلىٰ كبائرَ:

والصغائرُ من المعاصي والذُّنوب؛ قد تعظُمُ وتتحوَّلُ إلىٰ كبائر لأَسبابٍ عدةٍ، نذكرُ منها [١]:

١- الإصرارُ والمداومةُ عليها.

٢- استصغارُ المعصيةِ واحتقارُها.

٣- الفرحُ بفعلِ المعصيةِ الصغيرةِ والافتخارُ بها.

٤- فعلُ المعصيةِ ثمَّ المجاهرةُ بها؛ لأَنَّ المجاهرَ غيرُ مُعافىٰ.

٥- أَن يكونَ فاعلُ المعصيةِ الصغيرةِ عالمًا يُقتدىٰ به؛ لأَنَّه إِذا ظهرَ أَمام النَّاسِ بمعصيتِهِ، كَبُرَ ذنبُهُ عندَ اللهِ تعالىٰ.

● أثرُ المعاصي والذُّنوب عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة:

المعاصي والذُّنوب تؤثِّرُ في الإيمانِ من حيثُ نقصُهُ؛ بحسب قِلَّتِها وكثرتِها، لا من حيثُ بقاؤُهُ وذهابُهُ؛ فاقترافُ المعاصي بمفردِها، والإصرارُ عليها، لا يُخرِجُ من الدِّينِ إِنْ لم يقترنْ بها سبَبٌ من أَسبابِ الكُفرِ؛ كاستحلالِ المعصيةِ؛ سواءً كانَ ذلكَ بالقلبِ، أَو اللِّسانِ، أَو الجوارحِ.

---

(١) انظر: «مختصر منهاج القاصدين» للإمام ابن قدامة المقدسي؛ ص ٢٧٨. دار البيان.

● حكمُ الإصرارِ علىٰ المعاصي:

أمَّا الإصرارُ علىٰ المعاصي والاستغراقُ والتَّوَغُّلُ فيها والاستمرارُ عليها، وعدمُ الإقلاع عنها، وعدمُ الاستغفارِ والتَّوبةِ منها، وعزمُ القلبِ عليها والسكونُ إليها أَو الفرحُ بفعلِها أَو مجاهَرتُها:

فحكمُها عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة؛ كحُكمِ مرتكبِ الكبائر، ويُخشىٰ علىٰ صاحبها من سوءِ العاقبة؛ لأَنَّ المعصيةَ - عندَهم - بريدُ الكُفرِ، والإكثار منها يُنبت النفاقَ في القلب، وقد يؤدِّي إلىٰ الوقوع في الكُفر والرِّدَّة؛ لأَنَّ المعاصي - مع الإصرارِ والاستغراقِ فيها - تُحيطُ بصاحِبها، وتستولي علىٰ قلبِهِ وتَطْمِسُه، ويسدُّ منه كلَّ منافذِ الخيرِ، دونَ أَن يشعر! حتىٰ لا يبقىٰ فيه من الإيمان شيءٌ، وهذه هي معصيةُ الكُفر، قال الله تعالىٰ:

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١).

وقالَ حَبْرُ الأُمَّةِ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما:

(لاَ كَبِيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ، ولاَ صَغِيرَةَ مَعَ الإِصْرَارِ)(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨١.

(٢) «جامع البيان» الإمام الطبري: ج٨، ص٢٤٥.

آثارُ المعاصي الوخيمةُ على العبدِ في دينه ودنياهُ وآخرتِهِ

المعاصي والذُّنوبُ والآثامِ لها من الآثار السيِّئة، والعواقب الوخيمة، القبيحة المذمومة المُضِرَّة بالقلب والبَدَنِ في الدُّنيا والآخرة، ما لا يعلمُه إلاَّ اللهُ تعالىٰ؛ فمنها:

● آثارُ المعاصي والذُّنوبِ علىٰ القلب:

١- ضررُ المعاصي والذُّنوبِ علىٰ قلب العبد؛ كضَرَرِ السُّمُومِ علىٰ الأبدان، علىٰ اختلافِ درجاتها في الضَّرَرِ، وهل في الدُّنيا والآخرة شرٌّ وداءٌ؛ إلاَّ وسببُهُ الذُّنوبُ والمعاصي؟

٢- حرمانُ العلم: فإنَّ العلمَ نورٌ يقذِفُه اللهُ تعالىٰ في قلبِ المؤمنِ المُتَّقي، والمعصيةُ تطفئُ ذلكَ النورَ، وتُعْمِي بصيرةَ القلبِ، وتسدُّ طُرُقَ العلمِ، وتحجُبُ مواردَ الهداية.

٣- وَحْشَةٌ يجدُها العاصي في قلبه، بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ، لا توازنُها ولا تقارنُها لَذَّةٌ أَصلاً، ولو اجتمعتْ له لذَّات الدُّنيا بأسْرِهَا لم تفِ بتلك الوحشةِ، ووحْشَةٌ تَحْصلُ بينَهُ وبينَ النَّاس، ولا سيَّما مع أَهلِ الخير والصلاح من عباد الله المؤمنينَ.

٤- ظُلمةٌ يجِدُها في قلبه حقيقةً، يُحِسُّ بها كما يُحِسُّ بظلمة الليل البهيم؛ فتُوهِنُ قلبَهُ وبَدَنَهُ، وتحرِمُهُ الطَّاعةَ والعبادةَ.

٥- المعاصي تُضْعِفُ في قلب العبد تعظيمَ اللهِ - جلَّ جلالُهُ - شاءَ العبُد أَم أَبىٰ، ولو تَمَكَّنَ وقارُ الله وعظمتُه في قلبه لما تجرَّأَ علىٰ فعل المعاصي؛ فإنَّ عظمةَ اللهِ في قلبِ العبدِ تقتضي تعظيمَ حُرُماتِهِ.

٦- المعاصي تُضْعِفُ القلبَ عن إرادته؛ فتقوىٰ إرادةُ المعصية فيه، وتضعُفُ إرادةُ التَّوبةِ شيئًا فشيئًا؛ فيأتي من الاستغفارِ وتوبةُ الكذَّابين باللِّسانِ شيئًا كثيرًا، وقلبُهُ معقودٌ بالمعصية مُصِرٌّ عليها، والمعاصي تصدُّ عن التوبة وصاحبُهُ أَسيرُ شيطانه، وسَجَينُ شهواته، ونفسه الأَمَّارةِ بالسُّوء.

٧- تكرارُ المعاصي؛ يُورثُ القلبَ إلفَها ومحبَّتَها؛ حتىٰ يفتخرَ صاحبُها بالمعصية فلا يُعافىٰ؛ لأَنَّ المعصيةَ تُهَوِّنُ أُختَها وتصغِّرُها؛ فكثرتُها تُضْعِفُ في القلب تعظيمَ الذُّنوب؛ فيرىٰ الكبائرَ العظامَ الجِسَامَ من الصَّغائر.

٨- المعاصي إذا تكاثَرَتْ؛ تطبعُ علىٰ القلب، وتخلِّط عليه الخيرَ والشرَ، والحقَّ والباطلَ، والمعروفَ والمنكرَ؛ فيكونُ صاحبُهُ من الغافلينَ؛ لأَنَّ القلبَ يصدأ مِنَ المعاصي.

٩- المعاصي تُضعِفُ سَيْرَ القلبِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ وتُعَوِّقُهُ وتوقِفُه؛ فإذا مرضَ ضَعُفَت تلك القوةُ التي تُسَيِّرُهُ، فإذا زالتْ بالكليَّةِ انقطعَ عن الله تعالىٰ؛ ثمَّ يُلقي اللهُ الرُّعْبَ في قلب صاحبه.

١٠- المعاصي تُميتُ غيرةَ القلوب، وتَذْهَبُ بحيائهِ وتُمرضُهُ، وصاحَبُه كلما اشتدَّت ملابستُهُ للذنوب أَخرجتْ من قلبه الغيرةَ علىٰ نفسه وأَهله وعموم النَّاس حتَّىٰ لا يستقبِحَ بعدَ ذلكَ القبيحَ، وإذا وصلَ إلىٰ هذا الحدِّ؛ فقد دخلَ في باب الهلاك.

١١- المعاصي تُلْقِي الخوفَ والرُّعْبَ واليأْس والكآبة في قلوب أَصحابها؛ فإنَّ الطَّاعةَ حِصْنُ اللهِ الأَعظمُ، ومَن خَرَجَ منه أَحاطتْ به المخاوفُ من كلِّ جانبٍ، ومَن خافَ الله تعالىٰ أَمَّنَهُ اللهُ من كلِّ شيءٍ ومَن لم يَخَفِ اللهَ تعالىٰ أَخافَهُ اللهُ من كلِّ شيءٍ.

١٢- المعاصي تُمرضُ القلبَ، وتصرفُه عن صحَّته واستقامته إلىٰ مرضه وانحرافه، وتأثيرُها في القلوب كتأثير الأَمراض الفتَّاكة في الأَبدان؛ بل أَشَدُّ من ذلك؛ لأَنَّه لا دواءَ لها إلاَّ تركُها!

١٣- المعاصي تحقِّر النُّفوسَ وتصغِّرها، وتَقْمَعُها، وتُدَسِّيها، وتُذِلها، وتحطُّ من قدرِها؛ حتَّىٰ تكونَ أَصغرَ شيءٍ وأَحقرَهُ.

١٤- المعاصي تورِثُ الذُّلَّ والمهانةَ، وتحقِّر النُّفوسَ وتصغِّرها؛ فإنَّ العزَّ في طاعة الله - جلَّ وعلا - والذُّلَّ في معصيةِ الله.

١٥- المعاصي تُفْسِدُ العقلَ وتذهبُ بنورِه؛ فإذا طفأ نورُه ضعُفَ ونقَصَ وما عصىٰ اللهَ أحدٌ حتَّىٰ يغيب عن قلبه واعظُ القرآن ينهاه وواعظُ الإيمان ينهاُه وواعظُ الموتِ ينهاُه وواعظُ النَّارِ ينهاه.

١٦- المعاصي تُضَيِّقُ الصَّدرَ وتوحشُهُ؛ فمن أَعظم أَسباب ضِيقِ الصَّدر؛ الإعراضُ عن طاعة الله تعالىٰ، وتعلقُ القلب بغيره، والغفلةُ عن ذكره، ومحبَّةُ ما سواه.

● آثارُ المعاصي والذُّنوبِ علىٰ الدِّين:

١٧- المعاصي تَجُرُّ أُختَها كما أَنَّ الطَّاعاتِ تجرُّ الطَّاعاتِ؛ فيصبحُ صاحبُها أَسير المعاصي؛ مدمنًا عليها لا يستطيع مفارقَتَها.

١٨- المعاصي من أَهمِّ أَسبابِ حرمانِ الطَّاعةِ: فلو لم يكن للذَّنبِ عقوبةٌ؛ إِلاَّ أَن يصدَّ عن الطَّاعة؛ لكانت كافيًا في ضرره؛ فالمعاصي تحرِّمُ من الطَّاعات، وتقطعُ طُرقَ الأَعمال الصَّالحة.

١٩- المعاصي تُورِثُ صاحبَها الهوانَ عند ربِّه تعالىٰ وسقوطَ منزلته وكرامته، وإذا هانَ العبدُ علىٰ الله؛ لم يكرِمهُ أحدٌ، فيرفعُ الله مهابتَه من قلوب الخلق فيهونُ عليهم، ويستخفُّون به.

٢٠- المعاصي تورثُ العبدَ لعنةَ اللهِ تعالىٰ ولعنةَ رسولِهِ ﷺ وملائكته؛ فقد لَعَنَ رسولُ الله ﷺ شاربَ الخمر وساقيها وعاصِرَها ومُعْتَصِرَها وبائِعَها ومشتريها وآكلَ ثمنِها وحامِلَها والمحمولةَ إليه، ولَعَنَ ﷺ الراشي والمرتشي والرائشَ، ولعنَ المحلِّلَ والمحلَّلَ له، ولعنَ آكل الرِّبا ومُوكله وكاتِبهَ وشاهِدَيه، ولعنَ مَن لعنَ والدَيْه، ولعنَ من غيرَّ منار الأَرض، ولعَن من آوىٰ مُحْدِثًا، ولعنَ الواشمةَ والمستوشِمَةَ، والواصلة والمستوصِلَة، ولعنَ السَّارقَ، ولعنَ الرَّجلَ يَلْبسُ لِبْسَةَ المرأَة، والمرأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجل، ولعَن مَن ذَبَحَ لغير الله تعالىٰ، ولعنَ المصوِّرين، ولعنَ مَن عَمِلَ عَمَلَ قوم لوطٍ، ولعنَ مَن ضارَّ مُسلمًا أَو مَكَرَ به، ولعَن مَن سبَّ الصَّحابَةَ، ولعنَ مَن كَتَمَ ما أَنزلَ اللهُ تعالىٰ من البيِّنات والهدىٰ، ولعن مَن جعلَ سبيل الكافرينَ أَهدىٰ من سبيل المؤمنينَ، ولعنَ أَشياء أُخرىٰ غير هذه.

٢١- المعاصي تورثُ حرمانَ دعوة رسول الله ﷺ والملائكة الكرام فإنَّ اللهَ تعالىٰ أمر نبيَّه ﷺ وملائكتَه أن يستغفروا للمؤمنين.

٢٢- المعاصي توجِبُ القطيعةَ بين العبد وربِّه - جلَّ وعلا - وإذا وقعتِ القطيعةُ انقطعتْ أَسبابُ الخيرِ كلُّها، واتَّصلَتْ به أَسبابُ الشرِّ، وتستدعي ذلكَ نسيانَ اللهِ تعالىٰ لعبده العاصي،

ويُوكِلُهُ إلىٰ نفسه الأمَّارة بالسُّوء، وشيطانه الذي يتربَّصُ به الدوائرَ؛ وهذا يعني: الهلاكَ الذي لا يُرجىٰ معه نجاةٌ،

٢٣- المعاصي تُوجبُ كراهيةَ اللهِ تعالىٰ للعُصاةِ من عباده.

٢٤- المعاصي والذُّنوبُ؛ تُخرِجُ صاحِبَها من دائرة الإحسان؛ وتمنعُهُ ثوابَ المحسنينَ والمؤمنينَ؛ لأنَّ المُحْسِنَ يعبدُ اللهَ تعالىٰ كأنَّه يراهُ، وذلكَ يحولُ بينه وبين إرادةِ المعصيةِ فضلاً عن الوقوع فيها.

٢٥- المعاصي تَسْلُبُ صاحِبَها أَسماءَ المدح والشَّرف والثناءِ؛ مثلَ اسمِ: المؤمن، والبِّر، والمحسن، والمتقي، والوَرِع، والصَّالح، والعابد، والأَوَّاب، وتَكْسُوه أَسماءَ الذَّمِّ والصغار مثل: الفاجرِ، والعاصي والمخالف والمفسد والخبيثِ، وأَمثالها من الأَسماء القبيحة.

● آثارُ المعاصي والذُّنوبُ علىٰ البدن:

٢٦- المعاصي والذُّنوبُ والآثامُ والسَّيئاتُ؛ توهِنُ البَدَنَ:

فإنَّ المؤمنَ قوته من إيمانه، وعقيدته، وكلما قَوِيَ إيمانهُ بربِّه تعالىٰ قَوِيَ قلبُهُ؛ ثمَّ قَوِيَ بدنُه.

وأَمَّا العاصي والفاجرُ؛ فإنَّه وإن كانَ قَوِيَّ البدن؛ فهو أَضعفُ شيءٍ عندَ الحاجةِ؛ فتخُونُهُ قوتُهُ عندَ أَحوجِ ما يكونُ إلىٰ نفسه.

٢٧ ـ المعاصي تُوجب عقوباتٍ شرعيَّةً على العاصي لارتكابه الجرائمَ، وهذه العقوباتُ هي: الحدودُ، والكفَّاراتُ، والتَّعزيراتُ.

٢٨ ـ المعاصي تُوجبُ عقوباتٍ قدريَّةً من الله تعالىٰ على العاصي لارتكابه الجرائمَ ومخالفته لأَوامر الله تعالىٰ، وهي نوعان: عقوباتٌ قدريَّةٌ علىٰ القلوب، وعقوباتٌ قدريَّةٌ علىٰ الأَبدان.

● آثارُ المعاصي والذُّنوبِ علىٰ الرزق:

٢٩ـ المعاصي والذُّنوبُ من الأَسباب الرئيسة للحرمان من الرزق: كما أَنَّ التَّقوىٰ مجلبةٌ للرزقِ؛ فترك التَّقوىٰ مَجْلَبَةٌ للفقر، وما استجلِبَ رزقٌ بمثلِ تركِ المعاصي.

٣٠ـ المعاصي تمحَقُ النِّعمَ الحاصلةَ، وتقطَع النِّعمَ الواصلةَ؛ فما زالتْ عن العبد نعمةٌ إلاَّ بذنبٍ، ولا حلَّت به نقمةٌ إلاَّ بذنبٍ؛ فلا يغيِّرُ اللهُ تعالىٰ نعمتَه التي أَنعمَ بها علىٰ أَحدٍ من عبادِهِ؛ حتَّىٰ يكونَ هو الذي يغيِّر ما بنفسه؛ فيُغيِّر طاعتَه بمعصيته وشكرَه بكفرِهِ وأَسبابَ رضاه بأَسبابِ سخطِهِ؛ فإِذا غيَّرَ غُيِّرَ عليه جزاءً وفاقًا.

٣١ـ المعاصي من الأَسبابِ التي تُزيلُ البركةَ من المالِ وقد تُتلِفُه، ومن ذلكَ أَنَّ مَن كَذَبَ في بيعه وشرائه، وكتَمَ العيوبَ في السِّلعة؛ عُوقِبَ بمحق البركة.

● آثارُ المعاصي والذُّنوب علىٰ العامَّة وعلىٰ الفرد:

٣٢- المعاصي والذُّنوبُ من الأَسبابِ التي تُعَسِّرُ أُمورَ العاصي وهذا من أَعظم ما يصيبُ العاصي: فلا يتوجَّهُ لأَمرٍ إلاَّ يجدهُ مُغلَقًا دونَهُ، أَو متعسِّرًا عليه، والعبدُ الذي يتَّقي اللهَ تعالىٰ؛ يجعلُ له من أَمره يُسرًا؛ فمَن لم يتَّقِ اللهَ؛ جعَلَ له من أَمره عُسرًا.

٣٣- المعاصي تمحَقُ البركاتِ: بركةَ العمر فتقصِّرُهُ، وبركةَ الرِّزقِ فتُعْدِمُه، وبركةَ العلمِ فتُصْعِبُه، وبركةَ العملِ فتجعله رياءً، وبركةَ الطَّاعةِ فيُعْدِمُ إِخلاصه، وبالجملة تمحقُ بركةَ الدِّينِ والدُّنيا.

٣٤- المعاصي مَدَدٌ من الإنسانِ لعدوِّه الأَكبرِ؛ لأَن النَّفسَ أَوَّلُ مَدْخَلِ الشَّيطان؛ فإذا تمكَّن الشَّيطانُ من دخولِهِ؛ فإنَّه يُفْسِدُ عليه ثغرَ العينِ، وثغرَ الأُذنِ، وثغرَ اللِّسانِ، والفَمِ، واليدِ، والرِّجْلِ.

٣٥- المعاصي من عقوباتها علىٰ صاحبها المعيشةُ الضَّنْكُ في الحياة الدُّنيا وفي عالم البرزخ وفي دار الآخرة ويا لها من العذاب!

● آثارُ المعاصي والذُّنوب علىٰ المجتمع:

٣٦- المعاصي والذُّنوبُ شؤمُهما؛ يعمُّ الإنسانَ، والحيوانَ،

والنباتَ؛ لأنَّه إذا نزل البلاءُ على الأَرض فإنَّه يعمُّ الجميعَ؛ فالعاصي لا يكفيه عقابُ ذنبه؛ حتَّىٰ يبوءَ بلعنة من لا ذنبَ له.

٣٧- المعاصي والذُّنوبُ؛ من الأَسباب المهمَّة في ظهور الفساد في البرِّ، والبحر، والجوِّ، من الخسفِ، والمسخ، والزلازل، والبراكين، وفساد البلاد، والعباد.

٣٨- المعاصي كانت سببًا لإهلاك الأُمم السَّابقة: لا شك أَنَّ جميع الأَضرار في الدُّنيا والآخرة تحصُلُ بسبب المعاصي والذُّنوب.

٣٩- المعاصي والذُّنوبُ مواريثُ الأُمم الهالكة: أَنَّ كلَّ معصيةٍ من المعاصي؛ هي ميراثٌ عن أُمَّةٍ من الأُمم التي أَهلكَها اللهُ تعالىٰ بذنوبهم؛ اللواطُ: ميراثٌ عن قومِ لوطٍ، وأَخذُ الحقِّ بالزائد ودفعهُ بالناقص: ميراثٌ عن قوم شعيبٍ، والعلوُّ في الأَرض بالفساد: ميراثٌ عن قوم فرعونَ، والتكبُّر والتجبُّر: ميراثٌ عن قوم هودٍ؛ فالمعاصي ثياب بعض هذه الأُمم، وهم أَعداءُ الله جلَّ وعلا.

٤٠- المعاصي والذُّنوبُ، والإعراضُ عن الدِّين من الأَسباب الرئيسَة في حلول الهزائم للأُمم.

● الوقاية والعلاجُ من المعاصي والذُّنوب:

إنَّ من رحمة الله لعباده أَن بَيَّنَ لهم منجياتٍ تحميهم من عقوبة المعاصي وهي العلاجُ والوقايةُ منها قبل نزول العقوباتِ عليهم ومنها:

١- التَّوبةُ النَّصوحُ والاستغفارُ: التَّوبةُ الصَّادقةُ والاستغفارُ المستمرُ من جميعِ الذُّنوبِ والخطايا؛ كبيرها وصغيرها.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[١].

٢- التَّقوىٰ: تقوى الله في السِّرِّ والعَلن، وهي أَن يعملَ العبْد بطاعةِ اللهِ علىٰ نورٍ من الله؛ يرجو ثوابَهُ، ويترك معصيتَهُ، ويخافُ غضبَهُ وعقابَهُ، ويجعلُ بينَهُ وبين سَخَطِ اللهِ وقايةً تَقيه من ذلك.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

٣- الدُّعاءُ: الدُّعاءُ والالتجاءُ إلىٰ الله تعالىٰ هوَ سلاحُ المؤمنِ الصَّادقِ ومن أَقوىٰ الأَسبابِ في دفع المكروهِ، وحصولِ المطلوبِ، ومن أَنفع الأَدوية لدفع البلاء، قالَ اللهُ تعالىٰ:

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.
(٢) سورة الحشر، الآية: ١٨.

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١).

٤- اتِّباع رَسُولِ اللهِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ:

والاقتداءُ بهديه وسُنَّتِهِ ﷺ في جميع الاعتقادات، والأقوال، والأفعال، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢).

٥- الأمرُ بالمعروفُ والنهيُ عن المنكر: قال الله تعالىٰ:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

حكمُ مرتكِبِ الكبيرةِ دونَ الشِّركِ

أَهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ: أَجمعوا علىٰ أَنَّهم لا يُكفِّرونَ مرتكبَ الكبيرة من أَهل التَّوحيد، ولا يُخرجونه من الدِّين، ولا يَحْكُمُونَ عليه بالخلود في النَّار إن دخلهَا؛ مالَمْ يستحِلَّ ذنبَهُ، ولا يَسلبونَ اسم الإيمانِ منه؛ إذا عَمِلَ معصيةً أَو ذنبًا لا يُكَفِّر فاعِلَه، أَو تركَ ما لا يُكفِّرُ تارِكُه من الواجبات، ولا يُخرجُونه من الإيمانِ؛ إلاَّ بفعلِ ناقضٍ من نواقضه؛ الاعتقادية، أَو القولية، أَو الفعلية، أَو شركٍ يفعلُهُ.

ومرتكبُ الكبيرةِ من أَهل القبلة؛ لا يُنفَىٰ عنهُ مُطلقُ الإيمانِ ولا يُخرجُ منه بكبيرته وفسوقه وبارتكابه المعاصي، ولا يُوصف بالإيمان التَّامِّ أَيضًا، وإنَّما ينقُصُ إيمانُه بهذه الذُّنوب؛ فلا يذهبُ عنه الإيمانُ بالكليَّة؛ بل يبقىٰ معه مُطلقُ الإيمان – أَصلُ الإيمانِ أَو الإيمانُ المجملُ – لأَنَّ ارتكابَ الكبيرةِ ليس سببًا للخلود في النَّار، والخلودُ لا يكونُ إلاَّ بالشِّركَ بالله تعالىٰ؛ فهو في الدُّنيا مؤمنٌ ناقصُ الإيمان؛ مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته؛ فلا يُعطَىٰ الاسمَ المطلقَ

ولا يُسلبُ مطلقَ الاسم، وإذا ماتَ مصرًّا عليها ولم يتُب منها فإنَّ أمرَهُ في الآخرةِ إلىٰ الله تعالىٰ، وهو تحت مشيئته تعالىٰ ورحمته؛ إن شاء غفرَ لَهُ، وإن شاءَ عذَّبَهُ. أي إنَّ مُرتكِبَ الكبيرةِ له حُكمانِ؛ حُكمٌ في الدُّنيا، وحُكمٌ في الآخرة:

● حُكمُهُ في الدُّنيا: أنَّه مؤمنٌ ناقصُ الإيمان، مؤمنٌ بإيمانه، عاصٍ لله تعالىٰ، فاسقٌ بكبيرته وظلمه لنفسه، ولا يصحُّ أن يُعطىٰ لهُ اسمُ الإيمان المطلق بل يكونُ معه مطلقُ الإيمان، واسمُ الإسلام ويستحِقُّ من المعاملة باسم الإسلام ما يستحقُّه سائرُ المسلمين.

فإن كانَ الذَّنبُ الذي ارتكبَهُ، لا حَدَّ فيه أَو فيه حَدٌّ، وتاب منه، قَبِلَ اللهُ تعالىٰ توبتَهُ بفضلِه ومَنِّه - سبحانه - أَو فيه حدٌّ، وأُقيمَ عليه الحدُّ؛ فهو كفَّارةٌ له، ويصبحُ حكمُه حكمَ عامَّةِ المسلمين، ولله الحمد والمنَّة.

● حُكمه في الآخرة: أنَّه يكونُ تحتَ مشيئةِ اللهِ تعالىٰ إن لم يَتُبْ من كبيرته، وفسقه، وظلمه، ومعاصيه، ولم يُقَمْ عليه الحَدُّ؛ فأمره في الآخرة إلىٰ الله - جلَّ وعلا - إن شاءَ عفا عنه وغفرَ له ذنبَهُ وأَدخله الجنَّةَ من أوَّلِ وَهْلةٍ، وذلك برحمته وفضله ومنِّه وكرمه.

وإن شاءَ عذَّبهُ بقدر ذنبه، وذلك بعدله تعالىٰ؛ لأنَّه مستحقٌّ

للعقاب، ولكنه لا يستحقُّ الخلودَ في النَّار بل يَخرُجُ من النَّار بما معه من الإيمان وإن كانَ مثقالَ ذرَّة؛ فلا بُدَّ له من دخول الجنَّة؛ لأنَّه لا يخلُدُ في النَّار موحِّدٌ؛ لأنَّ الإيمانَ - عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعة - يقبلُ التبعيضَ والتَّجزئةَ، وبقليله يُخرجُ اللهُ مِنْ النَّار مَنْ دَخَلَها؛ بفضله ورحمته ومنِّه وكرمه.

وبهذا يتبيَّنُ أنَّ المعاصي والذُّنوبَ - ولو كانت من الكبائر - لا تؤثِّر علىٰ أصل الإيمان من حيثُ بقائِهِ أو ذهابهِ، وإنَّما تؤثِّر فيه من حيثُ زيادتُهُ ونقصانُهُ ولهذا فإنَّ المؤمنين يتفاضَلُون في إيمانهم فمنهم المُقْتَصِدُ، ومنهُمُ الظَّالمُ لنفسه، ومنهم السابقُ بالخيرات ولكلٍّ درجةٌ عندَ اللهِ تعالىٰ، ولذلك فإنَّ أَهلَ السُّنَّةِ والجماعة؛ لا يُكفِّرونَ أحدًا من أهلِ القبلةِ إلاَّ بذنبٍ يزولُ به أصلُ الإيمان.

* وفي مقابل ذلك: أجمعوا علىٰ كُفرِ من ارتكب محرَّمًا معلومًا تحريمُه من الدِّين بالضرورة، مستحلاًّ له؛ لأنَّ فيه مُكابرَةً وتكذيبًا صريحًا لله تعالىٰ، ولرسُوله ﷺ ولا شكَّ أنَّ هذا النوعَ من الكفرِ البواح.

أَدلَّة أَهل السُّنَّة والجماعة في حكم أَهل الكبائر من الكتاب والسُّنَّة وأَقوال الأَئمَّة

● قالَ اللهُ – تباركَ وتعالىٰ – في كتابِهِ العزيزِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1][*].

أي: إِنَّ العبدَ إِذا ماتَ علىٰ الشِّركِ بدون توبة؛ فإِنَّ الله تعالىٰ لا يغفرُ له أبدًا، والمشركُ مخلَّدٌ في نار جهنَّمَ إِلىٰ أبدِ الآبدينَ، وإِذا ماتَ العبُد الموحِّدُ مرتكبًا ما دونَ الشِّركِ من الذُّنوبِ والمعاصي ولو كانتْ من الكبائرِ، ولو لم يتُب منها، ولو جاءَ بِقِرَابِ الأَرضِ خطايا؛ فإِنَّه يدخلُ تحت مشيئة الله سبحانه؛ إِن شاءَ غفرَ له، وإِن شاءَ عذَّبه بذنبه، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨، ١١٦.   (٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(*) للبسط في تفسير هذه الآية الكريمة؛ انظر: «تفسير الطبري» و«تفسير ابن كثير» و«فتح الباري» لابن حجر العسقلاني: ج١، ص٨٤، و«تعظيم قدر الصلاة» للإمام المروزي، و«الإيمان الأوسط» لشيخ الإسلام ابن تيمية: ص٣٦.

وقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَىٰ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١).

في هذه الآية الكريمة: أثبتَ اللهُ تعالىٰ الإيمانَ للقاتلِ والمقتولِ من المؤمنينَ، وأثبتَ لهم أُخوّةَ الإيمانِ؛ فسمَّىٰ اللهُ المقتولَ أخًا للقاتل: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٢)(*).

أي: أنَّ القتلَ كبيرةٌ من الكبائرِ ومعَ ذلكَ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ لم يَسلُبْ عن هؤلاء المقاتلينَ اسمَ الإيمانِ وسمَّاهم المؤمنينَ وإخوةً في الدِّين، وأَمرَ بالإصلاح بينهما رغمَ الاقتتالِ وبغْيِ بعضِهم علىٰ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.
(٢) سورة الحجرات، الآيتان: ٩ - ١٠.
(*) للبسط في تفسير هذه الآية؛ انظر: «تفسير القرطبي» و«تفسير ابن كثير» و«فتح الباري» لابن حجر العسقلاني: ج١، ص٢١٠ و«تفسير البغوي» و«تفسير ابن سعدي».

بعضٍ، ولم يَنْفِ عنهم الأُخوَّةَ؛ لا فيما بين المقتتلين ولا فيما بينهما وبين بقيةِ المؤمنين بل أُثبتت أُخوَّةَ الإيمان لهم مطلقًا؛ فالإيمانُ والأُخوَّةُ الإيمانيَّة لا يزولان مع القتال كغيره من الكبائر التي هي دونَ الشِّركِ، وقالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾(١)(*).

● قال النَّبيُّ ﷺ: «لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ، وَلاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ»(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»(٣).

وعن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ – رضي الله عنه – وكانَ شَهِدَ بدرًا، وهو أَحدُ النُّقباءِ ليلةَ العقبةِ: أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ، وحولهُ

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.
(٢) «رواه مسلم» في (كتاب الإيمان) باب: «تحريم الكبر وبيانه».
(٣) «رواه مسلم» في (كتاب الإيمان) باب: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنّة، ومن مات مشركا دخل النّار».
(*) قال الحافظ ابن عبد البر، رحمه الله: (ومعلوم أنّ هذا بعد الموت لمن لم يتب؛ لأنّ الشرك ممن تاب منه – قبل الموت – وانتهىٰ عنه غفر له، كما تغفر الذنوب كلها بالتوبة جميعًا، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قل للذينَ كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف﴾) «التمهيد» ج١٧، ص ١٦.

عصابةٌ من أصحابه: «بَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، ولاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُم وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ؛ فَمَنْ وَفَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَىٰ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايعْنَاهُ علىٰ ذلك (١)(*).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؛ لاَ يَلْقَىٰ اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ»(٢).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ... وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»(٣).

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «علامة الإيمان حبُّ الأنصار».

(٢) «رواه مسلم» (كتاب الإيمان) «الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنّة قطعًا».

(٣) «رواه مسلم» في (كتاب الذكر والدعاء...) باب: «افضل الذكر والدعاء...».

(*) ووجه الدلالة: أنَّ الذُّنوب المذكورة في الحديث؛ إن أُقيم علىٰ صاحبها الحد؛ فهو كفارة له، وإن مات مصرًا علىٰ الكبائر؛ فهو تحت المشيئة، وهذا لا يكون إلاَّ فيما دون الشِّرك، وهو دليلٌ علىٰ بقاء الإيمان؛ فلو كان إصابة هذه الذُّنوب كفرًا لكان حكمه القتل والردّة، ولا يكون كفارة، وعلىٰ هذا القول أجمع أهل السُّنَّة والجماعة. انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي؛ ج٢، ص٤١، و«فتح الباري» لابن حجر؛ ج١، ص٦٥، و«تعظيم قدر الصلاة» للإمام المروزي؛ ج٢، ص ٦١٦، ٦١٧. وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (لم أسمع في الحدود حديثًا أبْيَن من هذا) «كتاب الأم» ج٦، ص١٣٨.

أَقوالُ أَئمَّة أَهل السُّنَّة
في حكم أَهل الكبائر دون الشِّرك

قالَ خليفةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبو بكرٍ الصدِّيقُ، رضيَ اللهُ عنه :

(إِيَّاكُمْ والكَذِبَ ؛ فإِنَّ الكَذِبَ مُجانِبُ الإِيمانِ)(١) .

وقال أَبو هريرةَ، رضي الله عنه : (الإِيمانُ نَزِهٌ ؛ فَمَنْ زَنَا فَارَقَهُ الإِيمانُ، فإِنْ لامَ نَفْسَهُ وَراجَعَ ؛ راجعَه الإِيمان)(٢) .

وقال أَبو الدرداءِ، رضي الله عنه :

(مَا الإِيمانُ ؛ إِلاَّ كَقَمِيصِ أَحَدِكُمْ يَخْلَعُهُ مَرَّةً وَيَلْبَسُهُ أُخرىٰ، وَاللهِ مَا أَمِنَ عَبْدٌ عَلَىٰ إِيمانِهِ إِلاَّ سُلِبَهُ فَوَجَدَ فَقْدَه)(٣) .

وقد ثَبَتَ عن حَبْرِ الأُمَّة ابنِ عباسٍ - رضي الله عنهما - أَنَّه كان يدعو غلمانَه ؛ غلامًا غلامًا، فيقولُ : (أَلا أُزَوِّجُكَ ؟ مَا مِنْ عَبْدٍ يزني إِلاَّ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ نُورَ الإِيمانِ)(٤) .

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة» اللالكائي : ج٦، ص١٠٩٠ (١٨٧٣) .
(٢) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة» اللالكائي : ج٦، ص١٠٩٠ (١٨٧٠) .
(٣) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة» اللالكائي : ج٦، ص١٠٩١ (١٨٧١) .
(٤) «فتح البارى» ج١٢، ص٥٩، و«شرح أُصول الاعتقاد» اللالكائي : (١٨٦٦) .

وسألَهُ عكرمة كيفَ يُنزَعُ الإيمانُ منه؟ قالَ: (هَكَذَا - وشَبَّكَ بينَ أَصابِعِهِ ثمَّ أَخرجَها - فإنْ تَابَ عَادَ إليه هكَذا، وشَبَّكَ بينَ أَصابِعِه)[١].

وقال الإمامُ أَبو حنيفةَ، رحمه الله: (ولا نُكفِّر مُسلِمًا بذَنْبٍ منَ الذُّنوبِ، وإنْ كانَتْ كبيرةً، إذا لم يَستَحِلَّها)[٢].

وقال الإمامُ مالكٌ، رحمه الله: (لو أَنَّ رَجُلاً رَكِبَ الكَبائِرَ كُلَّها بعدَ أَن لا يُشرِك باللهِ؛ ثـمَّ تخلَّىٰ من هذهِ الأَهواءِ والبدَعِ دَخَلَ الجَنَّةَ)[٣].

وقال الإمامُ الشَّافعيُّ، رحمه الله: (مَنْ تَوَلَّىٰ يومَ الزَّحفِ، لا مُتحرِّفًا لقتالٍ، ولا مُتحيِّزًا إلىٰ فئةٍ؛ خفتُ علَيه - إلاَّ أَن يعفوَ اللهُ - أَن يكونَ قد باءَ بسخطٍ منَ اللهِ)[٤].

وقال الإمامُ أَحمدُ بنُ حنبلُ، رحمه الله: (يَخرجُ الرَّجلُ من الإيمانِ إلىٰ الإسلام، ولا يُخرِجُه من الإسلامِ شيءٌ إلاَّ الشِّرك باللهِ العظيم، أَو رَدُّ فريضةٍ من فرائض اللهِ - عزَّ وجلَّ - جاحدًا

---

(١) «رواه البخاري»: (كتاب الحدود) باب: «إثم الزُّناة».
(٢) «متن الفقه الأكبر» الإمام أبو حنيفة.
(٣) «حلية الأولياء» أبو نعيم الأصفهاني: ج٦، ص٣٢٥.
(٤) «كتاب الأم» ج٤، ص ١٦٩.

بها؛ فإن تركَها كسلاً، أو تهاونًا كان في مشيئة الله، إن شاءَ عذَّبه، وإن شاءَ عفا عنه)(١).

وقال الإمامُ أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلاَّمٍ، رحمه الله:

(إنَّ المعاصيَ والذُّنوبَ لا تُزيلُ إيمانًا، ولا تُوجبُ كُفرًا، ولكنَّها إنَّما تَنْفي منَ الإيمانِ حقيقتَهُ وإخلاصَهُ، الذي نَعتَ اللهُ به أهلَهُ واشترطَه عليهم في مواضعَ من كتابه)(٢).

وعقدَ الإمامُ البخاريُّ - رحمه الله - بابًا في «صحيحه» قطعَ فيه بأنَّ المعاصي لا يُكفَّر مرتكبُها، قال: (باب: المعاصي من أَمر الجاهليَّة ولا يُكفَّرُ صاحِبُها بارْتكابِها إلاَّ بالشِّرك لقول النَّبيِّ ﷺ: «إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، وقول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾)(٣).

وقال الإمامُ أبو جعفر الطحاويُّ - رحمه الله - في «العقيدة الطحاوية»: (ولاَ نُكَفِّر أحَدًا من أهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَالمْ يَسْتَحِلَّهُ). وقال أيضًا: (وأَهلُ الكبائر من أُمَّة محمَّدٍ ﷺ في

(١) «طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي: ج١، ص٣٤٣ ضمن رسالة مسدد بن مسرهد.
(٢) «كتاب الإيمان»: ص٤٠ تحقيق الألباني.
(٣) انظر: «صحيح البخاري»: (كتاب الإيمان) باب: «المعاصي من أمر الجاهلية...».

النَّار لا يُخلَّدونَ إذا ماتوا وهم موحِّدونَ وإن لم يكونوا تائبينَ).

وقال الإمامُ أبو الحسنِ الأَشعريُّ رحمه الله: (ونَدينُ بأن لا نُكفِّرَ أحدًا من أهلِ القِبْلَةِ بذَنبٍ يَرتكبُهُ؛ كالزِّنا والسَّرقةِ وشُربِ الخمرِ كما دانت بذلكَ الخوارجُ وزَعَمَت أنَّهم كافرون. ونقولُ: إنَّ مَن عَمِلَ كبيرةً من هذه الكبائر؛ مثلَ الزِّنا والسَّرقة وما أشبهها، مستحلاً لها غيرَ معْتقدٍ لتحريمِها؛ كان كافرًا)(١).

ونقلَ الإمامُ أبو بكرٍ الإسماعيليُّ - رحمه الله - اعتقادَ أهلِ الحديث وأهلِ السُّنَّة والجماعة، وقال: (ويقولون: إنَّ أحدًا من أهلِ التَّوحيدِ، ومَنْ يُصلِّي إلىٰ قبلة المسلمين؛ لو ارتكب ذنبًا، أو ذنوبًا كثيرة؛ صغائرَ أو كبائرَ مع الإقامة علىٰ توحيد الله، والإقرارِ بما التزمه وقبلهُ عن الله؛ فإنَّه لا يُكَفَّرُ به، ويَرْجُوْنَ له المغفرةَ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾)(٢).

وقال الإمامُ ابن بطة العُكْبريُّ: (وقد أجمعتِ العلماءُ - لا خلافَ بينهم - أنَّه لا يُكفَّرُ أحدٌ من أهلِ القبلة بذنبٍ ولا نُخرجُهُ من الإسلامِ بمعصيةٍ نَرجو للمُحسنِ ونَخافُ علىٰ المسيئ)(٣).

---

(١) «الإبانة عن أصول الديانة» الإمام الأشعري: باب: «في إبانة قول أهل الحق والسُّنَّة».
(٢) «اعتقاد أهل الحديث» الإمام الإسماعيلي: ص٤٣. تحقيق د. محمد الخميس.
(٣) «الشرح والإبانة علىٰ أصول السُّنَّة والدِّيانة» المسمَّىٰ بـ «الإبانة الصغرىٰ».

ونقلَ الإمامُ أَبو إسماعيلَ الصَّابونيُّ - رحمه اللهُ- اعتقادَ أئمَّة السَّلف، أَصحاب الحديث، أَهل السُّنَّة والجماعة، وقال:

(ويَعتقدُ أَهلُ السُّنَّة: أَنَّ المؤمنَ، وإن أَذنبَ ذنوبًا كثيرةً؛ صغائرَ كانت، أَو كبائر؛ فإنَّه لا يُكَفَّرُ بها، وإن خَرَجَ من الدُّنيا غير تائبٍ منها، ومات على التوحيد والإخلاص. فإنَّ أَمرَه إلى الله - عزَّ وجلَّ - إن شاءَ عفا عنه، وأَدخَلَهُ الجنَّةَ يومَ القيامة سَالِمًا غانمًا، غيرَ مبتلى بالنَّار، ولا مُعَاقَبٍ على ما ارتكبهُ من الذنوب، واكتسبه ثمَّ استصحبه - إلى يوم القيامة - من الآثام والأَوزار. وإن شاءَ عاقبهُ، وعَذَّبه مُدَّةً بعذاب النَّار، وإذا عَذَّبه لم يُخلِدْه فيها؛ بل أَعتقَهُ، وأَخرجه منها إلى نعيمِ دارِ القرار)(١).

وقال الإمامُ البغويُّ، رحمه الله تعالى:

(اتَّفقَ أَهلُ السُّنَّة: على أَنَّ المؤمنَ لا يَخرجُ عن الإيمانِ بارتكابِ شيءٍ من الكبائر، إذا لم يَعتقد إباحَتها، وإذا عَمِلَ شيئًا منها؛ فماتَ قَبلَ التَّوبَةِ، لا يُخَلَّدُ في النَّار؛ كما جاءَ به الحديثُ؛ بل هوَ إلى اللهِ، إن شاءَ عفا عنه، وإن شاءَ عاقبه بقَدرِ ذنوبِه، ثمَّ أَدخَلَهُ الجنَّةَ برحمتِه)(٢).

---

(١) «عقيدة السلف وأَصحاب الحديث»: ص٢٧٦ تحقيق د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع.

(٢) «شرح السُّنَّة» الإمام البغوي: ج١، ص١٠٣ .

من أسباب سقوط العقوبة عن عصاة الموحدين

أَهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ متَّفقونَ: علىٰ أَنَّ اللهَ تعالىٰ قد جعلَ لعباده المؤمنينَ المذنبينَ الذين يقعون في الذُّنوب والمعاصي؛ أَسبابًا لنجاتهم من عقوبةِ ذنوبهم ومعاصيهم التي توعَّدَ اللهُ تعالىٰ عليها في الدُّنيا والآخرة؛ ففتح لهم أَبوابَ رحمتِه بهذه الأَسباب؛ منًّا منه - جلَّ ثناؤه - وتفضُّلاً وكرمًا، وقد دلَّ عليها: الكتابُ، والسُّنَّةُ، وأَقوالُ أَئمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة، ومنها:

١- التوبةُ الصَّادقةُ، والاستغفارُ الدائم: إِذا كانت التوبةُ نصوحًا صادقةً وخالصةً من القلب، ولم تكن مقتصرةً علىٰ نطق اللِّسان ويصحبها النَّدمُ علىٰ ما فاتَ من ارتكاب المعاصي والذُّنوب والاستغفارُ منها وعزمُ القلب علىٰ عدمِ العودةِ إِليها أَبدًا، وإِذا كان في ذلك الذنبِ؛ حقٌّ لآدميٍّ لَزِمَ استحلالُهُ منه إِن أَمكنَ، فإِذا اجتمعَتْ في التَّوبةِ هذه الشروطُ؛ كانت صادقةً؛ يقبلها اللهُ تعالىٰ مهما عَظُمَ ذلك الذنبُ؛ بمنِّه وفضله ورحمته، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا

الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٢].

٢ـ الأَعمالُ الصَّالحةُ: إذا كان العملُ صالحًا خالصًا لوجه الله تعالىٰ وحدَهُ موافقًا لشرعه، وسُنَّة رسولِهِ ﷺ ويأْتي في مكانه وزمانه الذي حدَّده الشرعُ؛ فإنَّه باتِّفاق أَهل السُّنَّة والجماعة؛ يُكَفِّرُ الذنوبَ والمعاصي؛ فإنَّ الحسنةَ بعشر أَمثالها، والسيئةَ بمثلها، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾[٣].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[٤].

٣ـ المصائبُ التي تُصيبُ العبدَ في الدُّنيا: إذا صبرَ العبدُ عليها، وذكرَ اللهَ وحَمِدَهُ واستغفَرَهُ؛ فازَ بالثواب، وكُفِّرت خطاياه، وإن سَخِطَ اكتسبَ إثمًا، وبقيتْ خطاياه.

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٥٩ – ٦٠.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.
(٣) سورة هود، الآية: ١١٤.
(٤) رواه الترمذي: (كتاب البر والصلة) باب: «ما جاء في مُعاشرة النّاس» وحسّنه الألباني.

قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَنٍ وَلاَ أَذًىٰ وَلاَ غَمٍّ - حَتَّىٰ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا - إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(١).

٤- ما يُعْمَلُ للميِّت من أعمالِ البرِّ: إِنَّ ثوابَ أَعمالِ المؤمنينَ يصلُ للعبدِ في حياته وبعدَ مماته؛ كالصدقة عنه، والدُّعاء والاستغفار له، والترحُّم عليه، والصلاةِ علىٰ جنازته، والحجُّ عنه، ونحوها؛ شفاعةً له عند الله - عزَّ وجلَّ - قال الله تعالىٰ:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(٣).

٥ - عذابُ القبر: إِنَّ ما يحصلُ للعبدِ المؤمنِ في قبرِهِ من الفتنة، والضغطة، والروعة؛ يُكَفِّرُ اللهُ تعالىٰ به خطاياه.

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب المرضىٰ) باب: «ما جاء في كفارة المرض».
(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.
(٣) «رواه مسلم» في (كتاب الوصية) باب: «ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته».

٦- أَهوالُ يوم القيامة وكُربُها وشدائِدُها:

إنَّ ما يحصلُ للعبدِ المؤمنِ من المحنِ، من ساعة موته إلىٰ أَن يُنجيهِ اللهُ من الحسابِ يومَ القيامة، وإلىٰ دخوله الجنَّةَ؛ كفَّارةٌ له.

٧- الشَّفاعةُ يومَ القيامة: وهذهِ من رحمةِ اللهِ تعالىٰ لعبادِهِ المؤمنين يومَ القيامةِ: يوم الحسرة والنَّدامة، يومَ لا ينفع مالٌ، ولا بنونَ؛ إلاَّ مَن أَتَىٰ الله بقلبٍ سليم.

شفاعةُ النَّبيِّ ﷺ لأُمَّته، ثمَّ شفاعةُ غيرِهِ؛ ممَّن يأذنُ اللهُ تعالىٰ لهم بالشفاعةِ في ذلك اليوم العصيب، وهمُ الملائكةُ، والنبيُّونَ، والشُّهداءُ والصِّدِّيقونَ والصَّالحونَ والمؤمنونَ. وأَعظمُ الشَّفاعات في ذلك اليوم الرهيب: شفاعةُ النَّبيِّ ﷺ لأُمَّته:

شفاعتُهُ ﷺ لأَهلِ الموقف لفصلِ القضاء بينهم؛ هي المقام المحمودُ. وشفاعتُهُ ﷺ لأَهل الجنَّة أَن يدخلوا الجنَّة. وشفاعته ﷺ لرفع درجات بعض أُمَّته ممَّن يدخلون الجنَّةَ إلىٰ درجاتٍ عليا.

وشفاعتُهُ ﷺ لطائفةٍ من أُمَّته يدخلونَ الجنَّةَ بغير حساب.

وشفاعتُهُ ﷺ في أَقوامٍ قد تساوت حسناتُهم وسيئاتُهم؛ فيشفع فيهم ليدخلوا الجنَّة، وفي آخرينَ قد أُمِرَ بهم إلىٰ النَّار أَن لا يدخلوها. وشفاعتُهُ ﷺ في إخراج عصاة الموحِّدينَ من النَّار؛

فيشفع لهم ﷺ فيدخلون الجنَّة؛ ثم يُخرِجُ الله - تبارك وتعالىٰ - من النَّار أقوامًا بغير شفاعة؛ بل بفضله ورحمته وكرمه.

٨- رحمةُ اللهِ - الغفورُ الرَّحيمُ - وعفوُه ومغفرتُه وكرمُه:

عفوُ أَرْحَمِ الرَّاحمينَ؛ أَهمُّ وأَعظمُ أَسبابِ نجاة العبد الموحِّد من نار جهنَّمَ وعذابِهِ المهينِ، وفوزه بجنَّةِ النَّعيم، وذلك بفضلِ الله تعالىٰ وحدَهُ، ورحمته، ومنِّه، وكرمه، وفضله، وإحسانه؛ من غير شفاعةِ أَحدٍ، والحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[1].

نسأَلُ اللهَ العظيمَ رَبَّ العرشِ العظيمِ؛ أَن يجعلَنا من عباده المؤمنينَ الصَّادقينَ الصَّالحينَ العاملينَ المتَّقينَ الموحِّدينَ؛ الذينَ ينالونَ رحمتَهُ، وفضلَهُ، ورضوانه، وجنَّتَه.

وكما نسأَلُهُ - جلَّتْ قدرتُه - أَن يعاملَنا؛ بلطفه وإحسانه، ويتجاوزَ عن سيئاتنا يومَ القيامة؛ برحمته وفضله وكرمه ومنِّه وإحسانه؛ اللَّهُمَّ آمين يا أَرحمَ الرَّحمين.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨، ١١٦.

● طبقاتُ عُصاةِ الموحِّدينَ يومَ الدِّين:

فالذي دَلَّ عليه الكتابُ، والسُّنَّةُ، وأَقوالُ أَئمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة: أَنَّ عصاةَ الموحِّدينَ، وإن استحقُّوا العقوبةَ؛ فإنَّهم لا يخلدونَ في النَّار، وأنَّهم يومَ القيامةِ ثلاثُ طبقات:

الطبقةُ الأُولىٰ: قومٌ رجَحَت حسناتُهم بسيِّئاتِهم؛ فأُولئكَ يَدخُلونَ الجنَّةَ من أَولِ وَهْلةٍ، ولا تَمَسُّهم النَّارُ أَبدًا.

الطبقةُ الثانية: قومٌ تَساوت حسناتُهم وسيِّئاتُهم، وتكافأَت فقصُرتْ بهم سيِّئاتُهم عن الجنَّة، وتجاوزت بهم حسناتُهم عن النَّار، وهؤلاء هُم أَصحابُ الأَعرافِ -في أَصحِّ أَقوال أَهل العلم- الذين ذَكَر اللهُ -تبارك وتعالىٰ- أَنَّهم يوقَفونَ بين الجنَّةِ والنَّارِ ما شاءَ اللهُ أَن يوقفوا؛ ثمَّ يُؤْذَنُ لهم في دخولِ الجنَّة، والحمدُ لله.

الطبقةُ الثالثة: قومٌ لَقُوا اللهَ تعالىٰ مُصِرِّينَ علىٰ كبائر الإثمِ والفواحش، ومعهم أَصلُ التَّوحيدِ؛ فرجَحَتْ سيِّئاتُهم بحسناتِهم؛ فهؤلاء مستحقُّونَ للوعيدِ، وهمْ تحتَ المشيئةِ؛ إن شاءَ اللهُ عذَّبهم، وإن شاءَ غَفَرَ لهم؛ فمنهم مَن يُشفَعْ له فلا يُعَذَّبُ، ومنهم الذين يدخُلون النَّارَ بقَدر ذنوبِهم، فمِنْهُمْ مَن تأخذُه النَّارُ إلىٰ كعبيه، ومنهم مَن تأْخُذه إلىٰ أَنصافِ ساقيه، ومنهم مَن تأْخُذُه إلىٰ

ركبتيه، ومنهم مَن تأخُذُه إلىٰ حِقْوَيْه، ومنهم مَن فوقَ ذلك؛ حتَّىٰ إنَّ منهم مَن لم يُحرَّمْ منه علىٰ النَّار إلاَّ أثرَ السجودِ، حرَّم اللهُ علىٰ النَّار أن تأْكُلَ أثرَ السجود. وهؤلاءِ هُمُ الذين يأْذن اللهُ تعالىٰ بالشفاعة فيهم لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ ولغيرهِ من الأَنبياء من بعده، والأَولياءِ، والملائكةِ، ومَن شاءَ اللهُ أَن يُكرِمَه بها؛ فيَحُدّ لهم حدًّا فيُخرجهم، ثمَّ يَحُدّ لهم حدًّا فيُخرجهم، ثمَّ هكذا، فيُخرج مَن كانَ في قلبِهِ وزنُ دينارٍ من خيرٍ، ثمَّ مَن كانَ في قلبِهِ نصفُ دينارٍ من خيرٍ، ثمَّ بُرَّةٍ من خير، ثمَّ خردلةٍ، ثمَّ ذَرّةٍ، ثمَّ أَدنىٰ من ذلك إلىٰ أَن يقولَ الشفعاءُ: (ربَّنا لَمْ نَذَرْ فيها خيْرًا).

ويُخْرِجُ اللهُ تعالىٰ من النَّارِ أَقوامًا لا يَعلمُ عددهم إلاَّ هُو بدون شفاعةِ الشافعين، ولن يخلد في النَّار أَحدٌ من الموحِّدين، ولو عمِلَ أَيَّ عملٍ، ولكن كلُّ مَن كان منهم أَعظمَ إيمانًا وأَخفَّ ذنبًا كان أَخفَّ عذابًا في النَّار وأَقلَّ مكثًا فيها وأَسرع خروجًا منها، وكلُّ مَن كان أَضعفَ إيمانًا وأَعظمَ ذنبًا كان بضدِّ ذلك، والعياذ بالله. وهذا مقامٌ ضلَّتْ فيه الأَفهامُ، وزَلَّتْ فيه الأَقدامُ، وهدىٰ اللهُ الذين آمنوا لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنه، والله يهدي مَن يشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيم (١).

---

(١) انظر «معارج القبول» لحافظ الحكمي: ج٣، ص١١٩٦ دار ابن الجوزي، بتصرف يسير.

نواقض الإيمان

عند أهل السنة والجماعة

نواقض الإيمان عند أهل السنة والجماعة

● تعريفات لا بُدَّ منها :

تعريف الناقض ، الرِّدة ، الكُفر ، الشِّرك ، النِّفاق ، الفسق ، الظُّلم ، الهوىٰ ، الموالاة والمعاداة .

● قواعد وضوابط في التَّكفير .

* موقف أَهلِ السُّنَّة والجماعة من مسأَلة التَّكفير .

* خطورة تكفير المسلم .

* التفريق بين التَّكفير المطلق والتَّكفير المعيَّن .

* اعتبار الظَّاهر في مسائل الكفر والإِيمان .

* الوعد والوعيد .

* تكفير من ثبت كفره .

● موانع التكفير :

العجز ، الجهل ، الخطأ ، التأْويل ، الإِكراه ، التَّقليد .

● ما يمحو الكفر بعد وقوعه علىٰ المعيَّن .

تعريفات لا بد منها

أرىٰ من الضروريِّ قبلَ البدءِ في بيانِ نواقضِ الإيمانِ أن أُبيِّنَ بعضَ المصطلحاتِ والمفاهيمِ والقواعدِ والأُسُسِ والضوابطِ؛ عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعة في باب التكفير حتىٰ تُعيننا علىٰ فهم هذه النواقض.

وتحديدُ المصطلحاتِ العقديَّة؛ أَمرٌ ضروريٌّ قبل الخوضِ في أبوابِها وفصولِها، ومهمٌّ جدًّا لفهم عقيدة أَهل السُّنَّةِ والجماعة؛ لأَنَّ الأَحكامَ مبنيَّةٌ علىٰ التَّعريف الصَّحيح؛ فإذا لم نفهمِ التَّعريفَ الصَّحيحَ لمصطلحاتِهم، وقواعدهم العقديَّة بوضوحٍ؛ فلن نتَّفق ابتداءً علىٰ فهمِ عقيدتهم.

الاصطلاح: (هو اتِّفاق طائفة علىٰ وضع اللَّفظِ إزاء المعنىٰ وقيل هو إخراجُ الشيءِ عن معنىٰ لغويٍّ إلىٰ معنًى آخرَ لبيانِ المرادِ)[1].

الاصطلاحُ في الشَّرع: هو ما تعارفَ عليه علماءُ المسلمين من الأَلفاظ والتَّراكيب، في التعبير عن مقاصدهم الشَّرعيَّة؛ لكلِّ علمٍ من العلوم الإسلاميَّة.

---

(١) «كتاب التعريفات»، الجرجاني: ص٢٨.

ومصطلحاتُ العقيدة الإسلاميَّة؛ تنقسمُ قسمين:

١ـ المصطلحاتُ العقديَّةُ الصَّحيحةُ: هي تلك الأَلفاظُ التي وردت في الكتابِ، والسُنَّةِ، وأَقوالِ أَئمَّةِ أَهلِ السُنَّة والجماعة، أَو لم تردْ، ولكن دلَّتْ عليها المعاني الصَّحيحة.

٢ـ المصطلحاتُ العقديَّةُ الفاسدةُ: هي تلك الأَلفاظُ التي لم ترد في الكتابِ، والسُنَّةِ، ولا في أَقوالِ أئمَّة أَهلِ السُنَّة والجماعة، أَو هي من أَلفاظِ الكتابِ والسُنَّةِ، ولكنها حُرِّفت، واستُعملتْ في غيرِ مواضعها.

● تنبيه وفائدة! اعلم أَخي المسلمُ الكريمُ:

أَنَّ من أَعظمِ الأُصول التي تميَّزَ بها أَهلُ السُنَّةِ والجماعة عن سائر الفِرَق المبتدعة؛ أَنَّ الإِيمانَ ـ عندهم ـ شُعَبٌ، ومراتبٌ، ودرجاتٌ، كما ثبتَ ذلك بالأَدلَّة الشرعيَّة، وما يقابلُ الإِيمانَ ويضادُّه من الكُفر، والشِّرك، والنِّفاق، والفسق، والظُّلم؛ كذلكَ شُعبٌ ومراتبٌ ودركاتٌ، وإنَّ هذه المصطلحات تنقسمُ عند أَهلِ السُنَّة والجماعة قسمين: أَكبرَ وأَصغرَ؛ فالأَكبرُ منه مخرجٌ من الملَّة، والأَصغرُ منه لا يُخرج من الملَّة، وبهذا التَّقسيم سَلِموا من الوقوع في التناقض والإفراط والتفريط، والتعميم في الحكم، وعدم قبول التفصيل؛ كما وقعَ به مخالفُهُم.

« ١ »

« تعريف النَّاقض »

النَّاقض في اللغة: المُفْسِدُ لما أُبرِم من عَقْدٍ، أَو بناءٍ؛ فهو بمعنىٰ ناكثِ الشيءِ، ومنشرِ العقدِ، والنَّقضُ ضدُّ الإبرام، ونقضْتُ الحبلَ نقضًا؛ حَلَلْتُ بَرْمهُ، ونقيضُك الذي يخالفك، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[١].

النَّاقض في الاصطلاح: هو الاعتقادُ، أَو القولُ، أَو الفعلُ المكفِّر؛ الذي يزيلُ الإيمانَ ويقطَعُهُ، ثمَّ ينتفي بهذه الأُمور؛ إيمانُ العبدِ ويزولُ، ويُخرِجُهُ من دائرةِ الإسلام والإيمان، إلىٰ حظيرةِ الكُفر والرِّدَّة، والعياذُ بالله.

وفي «المصطلحِ الفقهيِّ» عند الفقهاءِ، رحمهم الله تعالىٰ:

يُطلق اسم ُالمرتدِّ علىٰ الذي يُنْقِضُ إيمانَهُ؛ بهذه المُكفِّرات الثلاثة، وفي كُتب الفقه؛ بابٌ يُسمَّىٰ: (بابُ المرتَدِّ وأَحكامِهِ).

---

(١) سورة رعد، الآية: ٢٠.

« ٢ »

« تعريف الرِّدة »

الرِّدَّة في اللغة: صَرفُ الشيءِ بذاته، أَو بحالةٍ من أَحواله، يُقالُ: رَدَدْته فارْتَدَّ، ويقالُ: رَدَّه: أَي صَرَفَهُ. وردُّ الشيء عليه: لم يقبلْهُ منه. والارتِدادُ والرِّدَّةُ: الرجوعُ في الطريقِ الذي جاءَ منه؛ لكن الرِّدَّةَ تَختَصُّ بالكُفرِ، والارتدادُ يُستعمل فيه وفي غيره.

والرِّدَّةُ: هو التحوُّلُ والرجوعُ عن الشيءِ إِلىٰ غيره ومنه الرجوعُ عن الإِسلام. والمرتدُّ هو الذي رجعَ عن دينِهِ وكَفَرَ بعد إِسلامِهِ [١].

الرِّدَّةُ في الاصطلاح: هي الكُفرُ بعدَ الإِسلامِ طوعًا؛ إِمَّا باعتقادٍ، أَو بفعلٍ، أَو بقولٍ أَو شكٍّ أَو تركٍ يصدرُ من مسلمٍ عاقلٍ بالغٍ فيخرجُهُ عن دينِهِ ويهدرُ دمَهُ ومالَه ولو كان مازحًا أَو معاندًا.

والمرتدُّ: هو الذي يطرأ عليه الكفرُ بعد إِسلامِهِ، قالَ تعالىٰ:

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٢].

---

(١) انظر معاجم اللغة: «لسان العرب»: ج٣، ص١٧٢، و«المفردات في غريب القرآن» ص١٩١، و«النهاية في غريب الحديث» ج٢، ص٢١٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

وقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[1].

والرِّدةُ - عند أَهل السُّنَّة والجماعة - نوعانِ:

الرِّدةُ المجرَّدة: وهي الرِّدة التي تطرأ علىٰ الشخص، ولا يتبعُها حربٌ ولا أذىٰ علىٰ الإسلامِ والمسلمينَ؛ فالأَصلُ في حكمِهِ أَن يُستتاب قبل أَن يُقتلَ - كالكافرِ الأَصليِّ - فإن تابَ وعادَ من كفره قُبِلَ منه؛ وإلاَّ قُتِل.

الرِّدةُ المغلَّظَةُ: وهي الرِّدةُ التي تَطرأُ علىٰ الشخص، ويتبعُها حربٌ وأَذىٰ علىٰ الإسلام والمسلمين؛ فالأَصلُ في حكمه؛ أَن لا يُستتابَ، ولا تُقبل توبتُهُ بعد القدرةِ عليه - كالزنديق - ويُقتل علىٰ كفره. واتَّفقَ أَهلُ السُّنَّة والجماعة؛ علىٰ أَنَّ الرِّدةَ لا تصحُّ إلاَّ من عاقلٍ؛ فأَمَّا مَن لا عقلَ لهُ كالطفلِ، والمجنونِ، ومَن زالَ عقلُهُ بإغماءٍ، أَو نومٍ، أَو مرضٍ، أَو شُرْبِ دواءٍ يُباحُ شُربه فلا تَصحُّ ردَّتُهُ، ولا حُكمَ لكلامِهِ بغيرِ خلافٍ[2].

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الجهاد والسير) باب: «لا يعذب بعذاب الله».

(٢) انظر كتب الفقه: «الأُم» للإمام الشافعي، ومختصر المزني بهامشها: ج٥، ص١٦٥ و ج٦، ص١٤٥ و«روضة الطالبين» للنووي؛ ج١٠، ص٦٤ و«بدائع الصنائع» للكاساني؛ ج٩، ص٤٢٨٢، و«فتح القدير» لابن همام؛ ص٦٨٦، و«حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» ج٤، ص٣٠١، و«بلغة السالك» ج٢، ص٤١٦، و«المغني» لابن قدامة؛ ج٩، ص٣، و«المحلى» لابن حزم؛ ج١١، ص١٨٨ .

«٣»

«تعريف الكُفر»

● **الكُفرُ في اللُّغةِ**: هو السَّترُ والتَّغطية. يُقال لمن غطَّىٰ درعه بثوبه: قد كَفَّرَ درعَهُ. ويقالُ: كَفَّرَ الزَّارعُ البذرَ في الأَرض: إذا غطَّاهُ بالترابِ. وسُمِّيَ الليلُ كافراً لتغطيتهِ كلَّ شيء.

والكُفر: ضِدُّ الإيمان؛ سُمِّيَ بذلك لأَنَّه تغطيةٌ للحقِّ[١].

● **الكُفرُ في الإصطلاح**: هو الاعتقادُ، والقولُ، والعملُ؛ المنافي للإيمانِ، وهو علىٰ شُعَبٍ، ومراتبَ متفاوِتَة.

والكُفرُ: هو نَقيضُ الإيمانِ وضدُّهُ، أَو هو عدمُ الإيمانِ.

والإيمانُ: هو الإقرارُ التَّام ظاهرًا وباطنًا؛ بما جاء به الرَّسولُ ﷺ من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه، والعمل به ظاهرًا وباطنًا. أَي: هوَ جميعُ الطاعات الباطنة والظاهرة.

والكُفرُ: هو ما يناقضُ الإيمانَ من اعتقادٍ، أَو قولٍ، أَو عملٍ.

---

(١) انظر معاجم اللغة: «لسان العرب» ج٥، ص١٤٤، و«معجم مقاييس اللغة» مادة: كفر. و«القاموس المحيط»: فصل الكاف، باب الراء. و«تاج العروس»: ج١٤، ص٥٠، و«مفردات القرآن» ص: ٧١٤، و«المعجم الوسيط» ص: ٧٩١.

والكُفرُ: هو الكفرُ باللهِ تعالىٰ وعدمُ الإيمانِ به - سبحانه - أَو بما جاءَ به رسولُهُ ﷺ من التَّشريعِ، أَو إنكارِ شيءٍ من ذلكَ، أَو الإيمانِ ببعضِهِ دونَ بعضٍ؛ سواءٌ كانَ معَهُ تكذيبٌ، أَو لم يكنْ معه تكذيبٌ؛ بل مجرَّدُ شكٍّ ورَيْبٍ، أَو توقُّفٍ، أَو إعراضٍ، أَو حَسَدٍ، أَو كِبْرٍ، أَو بُغضِ الدِّين، أَو بُغْضِ الرَّسول ﷺ أَو سَبِّه، أَو عداوَتِه أَو اتِّباعٍ لبعض الأَهواء الصَّادَّة عن اتِّباعِ حُكمِ اللهِ تعالىٰ.

ويقعُ الكُفرُ: باعتقادِ القلبِ وبالفعلِ وبالقولِ، وبالشَّكِّ، وبالتركِ؛ فالإيمانُ والكُفرُ نقيضانِ لا يجتمعانِ أبدًا؛ فمتىٰ وُجِدَ أَحدُهُما انتفىٰ الآخرُ، ومن المقرَّرِ في المعقولِ: أَنَّ النَّقيضين لا يجتمعانِ ولا يرتفعانِ.

والكُفرُ ذو أُصولٍ وشُعبٍ مُتفاوتة: منها ما يُوجبُ الخروجَ من ملَّة الإسلام، ومنها ما هوَ دونَ ذلكَ؛ فيَرِدُ ذكرُ الكُفرِ في النُّصوصِ الشَّرعيَّة مرادًا به - أَحيانًا - الكُفرُ الأَكبرُ أَي المخرجُ عن الملَّة، وأَحيانًا الكُفرُ الأَصغرُ غير المخرجِ عن الملَّة، وذلك أَنَّ للكُفرِ شُعَبًا كما أَنَّ للإيمانِ شُعَبًا، وكما أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، فكذلك الكُفرُ قولٌ وعملٌ، والمعاصي والذُّنوبُ كلُّها من شُعبِ الكُفرِ؛ كما أَنَّ الطَّاعاتِ؛ كلُّها من شُعبِ الإيمان.

ومن أصولِ أَهل السُنَّة والجماعة: أنَّه من الممكنِ أن يجتمعَ في العبدِ بعضُ شُعَبِ الإيمانِ، وبعضُ شُعبِ الكُفرِ، أَو النِّفاق؛ التي لا تنافي أَصلَ الإيمان وحقيقتَه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾(١)(*).

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(٢)(**).

والكُفَّارُ في الشَّرع صنفان:

الصنف الأَول: كفَّارٌ أَصليُّون؛ أَي الذين لم يدخُلُوا في دينِ الإسلامِ أَصلاً وهُم: الدَّهريون، والفلاسفةُ، والمشركون، والمجوسُ، والوثنيُّون وأَهلُ الكتابِ من اليهود والنصارىٰ؛ فهؤلاء قد دلَّ علىٰ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧. (٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(*) قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في هذه الآية: (استدلوا به علىٰ أنَّ الشخص قد تتقلب به الأحوال؛ فيكون في حالٍ أَقربَ إلىٰ الكفر، وفي حالٍ أقرب إلىٰ الإيمان).
وقال العلاَّمة ابن سعدي رحمه الله في هذه الآية: (وفي هذه الآيات دليلٌ علىٰ أنَّ العبد قد يكون فيه خصلة كفر وخصلة إيمان، وقد يكون إلىٰ أُحدهما أقرب منه إلىٰ الأُخرىٰ).

(**) قال الإمام ابن القيِّم – رحمه الله – في هذه الآية: (أثبت لهم الإيمان به مع مقارنة الشرك؛ فإن كان مع هذا الشرك تكذيب لرسوله، لم تنفعهم ما معهم من الإيمان بالله، وإن كان معه تصديق لرسله، وهم مرتكبون لأنواع من الشرك لا تخرجهم عن الإيمان بالرسل واليوم الآخرة؛ فهؤلاء مستحقون للوعيد أعظم من استحقاق أرباب الكبائر) «مدارج السالكين» ج١، ص٢٨٢.

كُفرِهم الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ، وموتاهم مُخلَّدون في النَّار ويَحرمُ عليهم دخولُ الجنَّة وأمرُهُمْ معلومٌ من الدِّينِ بالضرورة.

فهؤلاءِ الكفَّارُ يجبُ على المسلمين دعوتُهم إلى الإسلام حتى يستجيبوا؛ فإن لم يستجيبوا وجبَ قتالُهم متى استطاعوا ذلك حتى يدخلوا في الإسلام أَو يدفعوا الجزيةَ وهم صاغرون، قال تعالى:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1].

الصنف الثاني: المرتدُّون؛ الذين ينتسبون إلى الإسلام، ولكن يصدرُ منهم اعتقادٌ، أَو فعلٌ، أَو قولٌ، يُناقضُ إسلامَهم؛ فيُكَفَّرونَ بذلكَ، وإنْ قاموا ببعض شعائر الإسلام؛ كالباطنية، وغُلاةِ الرَّافضة، والقاديانية، ونحوهم.

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

والكُفر في الشَّرعِ نوعانِ: كفرٌ أكبرُ، وكفرٌ أصغرُ:

■ النوعُ الأَوَّلُ: كفرٌ أكبرُ مُخرجٌ من المِلَّةِ: وهو يناقضُ الإيمانَ، ويُخرِجُ صاحبَهُ منَ الإسلامِ، ويوجبُ الخلودَ في النَّارِ، ولا تنالُه شفاعةُ الشَّافعينَ، ويكونُ بالاعتقادِ، وبالقولِ، وبالفعلِ وبالشَّكِّ والرَّيبِ، وبالتَّرك، وبالإعراضِ، وبالاستكبارِ.

ولهذا الكُفرِ أنواعٌ كثيرةٌ؛ مَن لقيَ اللَّهَ تعالىٰ بواحدٍ منها لا يُغفرُ لَهُ البتَّةَ، ولا تنفعُهُ الشَّفاعةُ يومَ القيامةِ، ومن أَهمِّها:

١- كُفر الإنكارَ والجحودَ والتَّكذيب: هو ما كانَ ظاهرًا وباطنًا؛ مثلُ اعتقادِ كذبِ الرُّسلِ، أَو ادِّعاءِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ جاءَ بخلافِ الحقِّ، وكذلك مَن ادَّعىٰ أَنَّ اللَّهَ تعالىٰ حرَّمَ شيئًا أَو أَحلَّه مع علمِهِ بأَنَّ ذلكَ خلافُ أَمر الله ونهيه، قالَ اللَّهُ تعالىٰ:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾(١).

٢- كفرُ الإباءِ والاستكبارِ مع التَّصديقِ: وهو عدمُ الانقياد والإذعان للرسُول ﷺ ظاهرًا مع العلمِ بِهِ ومعرفتِهِ باطنًا، وذلكَ بأَن يُقرَّ أَنَّ ما جاءَ به الرَّسُولُ ﷺ حقٌّ من ربِّهِ؛ لكنَّهُ يرفضُ اتِّباعَهُ؛

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٨ .

أَشرًا، وبطرًا، واحتقارًا؛ للحقِّ وأَهله، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾(١).

٣- كُفْرُ الشَّكِّ: بأَن لا يجزم بصدق النَّبِيِّ ﷺ ولا كذبه؛ بل يشكُّ في أَمره ويتردَّد في اتِّباعه؛ إِذ المطلوبُ هو اليقينُ بأَنَّ ما جاَء به الرَّسُولُ من رَبِّه حقٌّ؛ فمَن شَكَّ في الاتِّباعِ لما جاءَ به الرَّسُولُ أَو جوَّز أَن يكون الحقُّ خلافَه؛ فقد كَفرَ كُفْرَ شكٍّ، قالَ تعالىٰ:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾(٢).

٤- كُفْرُ الإِعراضِ: بأَن يُعرِضَ بسمعِهِ وقلبِهِ عمَّا جاءَ به الرَّسُولُ ﷺ فلا يصدِّق ذلكَ ولا يكذِّبه ولا يُوالي الرَّسُولَ ولا يُعاديه، ولا يُصْغِي إِلىٰ ما جاءَ به، ويتركَ الحقَّ لا يتعلَّمُهُ ولا يعمَلُ به ويَهْرُبُ من الأَماكنِ التي يُذكَرُ فيها الحقُّ فهو كافرٌ كُفرَ إِعراضٍ.

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١١١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٩.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣.

٥- كفرُ النِّفاقِ: هو إظهارُ الإسلامِ والخيرِ، وإبطانُ الكُفرِ والشَّرِّ، وهو مخالفةُ الباطنِ للظَّاهرِ، وإظهارُ القولِ باللِّسان، أو الفعلِ؛ بخلافِ ما في القلبِ من الاعتقاد.

والمنافقُ: يخالفُ قولُهُ فِعْلَهُ، وسرُّهُ علانيتَه؛ فهو يدخلُ الإسلامَ من بابٍ، ويخرجُ من بابٍ آخرَ، ويدخلُ في الإسلامِ ظاهرًا، ويَخرجُ منه باطنًا؛ فهذا هو النِّفاقُ الأكبرُ، قالَ تعالىٰ:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾(١).

٦- كفرُ السبِّ والاستهزاءِ: هو الاستهزاءُ، أو الانتقاصُ، أو السَّبُّ، أو السخريةُ؛ بشيءٍ من دينِ الإسلام، ممَّا هو معلومٌ من الدِّينِ بالضرورة؛ سواءً كان الشخصُ هازلاً، أو لاعبًا، أو مجاملاً للكفَّار، أو في حالِ المشاجرة، أو في حالِ الغضب، ونحوها؛ فقد أجمعَ الأئمَّةُ علىٰ كُفرِ فاعله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥ - ٦٦.

٧ـ كفرُ البُغْضِ: وهو كُرْهُ دينِ الإسلامِ، أَو شيءٍ من أحكامِهِ، أَو شيءٍ من شرعِ اللهِ تعالىٰ، أَو مِمّا أنزلَ، أَو كُرْهُ نبيِّ الإسلامِ ﷺ، أَو ما جاءَ به من الشَّرعِ، أَو شيءٍ من ذلكَ، وتمنّىٰ أنّه لم يكُن أَو كُرهِ شيءٍ مِمّا أَجمَعَ أَهلُ العلمِ عليه أَنَّه من الدِّين.

لأَنَّ من تعظيمِ هذا الدِّينِ محبَّتَهُ، ومحبَّةَ اللهِ تعالىٰ ورسولِهِ الأَمينِ محمَّدٍ ﷺ، وما أَنزلَ اللهُ من الشَّرعِ من أَوامرِهِ ونواهيهِ، ومحبَّةَ أَوليائه، والمحبَّةُ: شرطٌ من شروط «لا إله إلاَّ الله».

والبُغضُ؛ يناقض المحبَّةَ والقبولَ والانقيادَ والتَّسليمَ، ويُزيدُ العداوةَ والكراهيةَ للحقِّ ولأَوليائه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

● النوع الثاني: كُفرٌ أصغرُ غيرُ مخرجٍ من المِلَّةِ:

وهو ما لا يناقِضُ أَصلَ الإيمانِ بل يُنقِصُه ويضعِفُهُ ولا يسلبُ صاحبُه صفةَ الإسلامِ، وهو المشهورُ عند العلماءُ بقولهم: «كفرٌ دونَ كفرٍ» ويكون صاحبُهُ متعرضًا للوعيدِ إذا لم يتُبْ منه؛ وقد أَطلقَهُ الشَّارعُ علىٰ بعضِ المعاصي والذُّنوبِ علىٰ سبيل الزَّجرِ والتَّهديدِ؛ لأَنَّها من خصالِ الكُفرِ، وهي لا تصلُ إلىٰ حَدِّ الكُفرِ الأَكبرِ، وما

(١) سورة محمد ﷺ، الآية: ٩ .

كان من هذا النَّوع فمن كبائر الذُّنوب. وهو مُقْتَضٍ لاستحقاقِ الوعيدِ والعذابِ دون الخلودِ في النَّار وصاحبُ هذا الكُفرِ مِمَّن تنالُهم شفاعةُ الشافعين ولهذا النَّوعِ من الكُفرِ صورٌ كثيرةٌ، منها:

١ـ كفرُ النِّعمة: وذلك بأن لا يعترفَ العبدُ بنعمةِ اللهِ عليه، أو بنسبتها إلىٰ غير الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بلسانه دونَ اعتقاده، أو يُنْكِرَ معروفًا أسداُه إليه أحدُ العبادِ، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[1].

كقولِ الرَّجلِ: هذا مالي ورثتُهُ عن آبائي علىٰ سبيل إسناد النِّعمة إلىٰ آبائه، أو قول أحدهم: لولا فلانٌ لم يكن كذا، وغيرها مِمَّا هو جارٍ علىٰ ألسنةِ كثيرٍ من عوامِّ النَّاسِ، ومن ذلك ـ أيضًا ـ تسميةُ الأبناء بعبدِ الحارثِ، وعبدِ الرَّسُولِ، وعبد الحسين ونحوها؛ لأنَّه عَبَّدَهُ لغيرِ اللهِ، مع أنَّه هو خالقُهُ والمُنْعِمُ عليه.

٢ـ كفرانُ العشيرِ والإحسان: عن ابنِ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ؛ فَإِذا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرنَ». قيل: أيكفرن باللهِ! قال: «يَكْفُرنَ العَشير، وَيَكْفُرنَ الإِحْسَانَ؛ لَو أَحْسَنْتَ إِلىٰ إِحْداهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٣.

شيئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»(١).

٣- الحلفُ بغير الله تبارك وتعالىٰ: لقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَو أَشْرَكَ»(٢).

انعقد إجماع أَهل السُّنَّة والجماعة علىٰ أَنَّ هذا الشرك والكُفر هما من الكفر والشِّرك الأَصغر الذي لا يخرجُ صاحبَه من الإسلام ما لم يُعَظِّم المحلوف به في قلب الحالِف؛ كعظمةِ الله تعالىٰ.

٤- قتالُ المسلم: لقول النَّبيِّ ﷺ:

«سِبابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتالُهُ كُفْرٌ»(٣).

وقوله ﷺ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا؛ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ»(٤).

فهذا النوعُ مِنَ الكُفرِ غيرُ مخرجٍ من المِلَّةِ باتِّفاقِ الأَئمَّةِ؛ لأَنَّهم لم يفقِدوا صفاتِ الإيمانِ، لقولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾(٥).

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «كُفران العشير، وكفر بعد كفر»
(٢) «رواه الترمذي» في (كتاب الأَيمان والنذور) باب: «في كراهية الحلف بغير الله».
(٣) «رواه البخاري»: (كتاب الإيمان) باب: «خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر».
(٤) «رواه البخاري» في (كتاب الفتن) باب: «قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارًا».
(٥) سورة الحجرات، الآية: ٩.

٥ - الطعنُ في النسبِ، والنِّياحةُ على الميِّتِ:

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ؛ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ»[١].

٦- الانتسابُ إلىٰ غير الأَبِ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ»[٢].

وقالَ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَىٰ لِغَيرِ أَبِيهِ - وَهُوَ يَعْلَمُهُ - إلاَّ كَفَرَ، ومَنِ ادَّعَىٰ قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ نَسَبٌ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٣].

● وأَنواعُ الكُفرِ الأَصغرِ كثيرةٌ يتعذَّرُ حَصْرُها؛ فكلُّ ما جاءتْ به النُّصُوصُ الشرعيَّةُ من تسميتِهِ كفرًا، ولم يصل إلىٰ حدِّ الكُفر الأَكبر، أَو النِّفاقِ الأَكبر، أَو الشِّرك الأَكبر، أَو الفسقِ الأَكبرِ، أَو الظُّلمِ الأَكبرِ؛ فهوَ كفرٌ أَصغرُ.

---

(١) «رواه مسلم»: (كتاب الإيمان) باب «إطلاق اسم الكفر علىٰ الطعن في النسب والنياحة».

(٢)، (٣) «رواه البخاري» في (كتاب الفرائض) باب: «مَن ادعىٰ إلىٰ غير أبيه».

«٤»

«تعريفُ الشِّركِ»

● الشِّرْكُ في اللُّغةِ: هو المقارنةُ وخلافُ الانفرادِ، ويُطلَقُ علىٰ المعاني الآتية: المخالطَةُ، والمصاحبَةُ، والمشاركَةُ.

تقول: شاركْتُهُ في الأَمرِ، وشركتُهُ فيهِ أَشركتُهُ شركًا، ويأْتي شركة، ويقال: أَشركتُهُ، أَي: جعلتُهُ شريكًا [١].

الشِّرْكُ في الاصطلاحِ: هو اتِّخاذُ النِّدِّ مع اللهِ تعالىٰ سواءٌ كان هذا النِّدُّ في الربوبيَّة أَو في الأُلوهيَّة أَو في الأَسماءِ والصفات أَي: جعلُ شريكٍ مع الله في التوحيد، ولذا يكونُ الشِّركُ ضدَّ التَّوحيد؛ كما أَنَّ الكُفرَ ضدُّ الإيمان، قال تعالىٰ:

﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢].

وغالبُ الشِّركِ - عندَ النَّاسِ - يقعُ في الأُلوهيَّةِ؛ كالشَّخصِ الذي يدعو مع اللهِ تعالىٰ غيرَهُ، أَو يَصرفُ له شيئًا من أَنواعِ العبادةِ، كالذَّبحِ، والنَّذرِ، والخوفِ، والرَّجاءِ، والمحبَّةِ، والخشيَةِ،

---

(١) انظر معاجم اللغة: «لسان العرب»: ج٧، ص٩٩، و«تاج العروس» ج٧، ص١٤٨، و«تهذيب اللغة» ج١٠، ص١٧، و«معجم مقاييس اللغة» ج٣، ص٢٦٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

والإنابةِ، والدُّعاءِ، والتَّوبةِ، والتَّعظيمِ والإجلالِ، والاستعانةِ، والطَّاعةِ، والتُّوكُّلِ عليه، وغيرها. والشِّركُ أعظمُ الذنوبِ إطلاقًا؛ لأنَّه تشبيهُ المخلوقِ بالخالقِ في خصائصِهِ؛ ومن الخصائص الإلهية:

- الكمالُ المطلقُ من جميعِ الوجوه.
- التفرُّدُ بِمِلْكِ الضَّرَرِ والنفعِ والعطاءِ والمنع.
- العبوديَّةُ المطلقةُ لَهُ، بأَنْ تكونَ العبادةُ كلُّها له وحدَهُ، مع غايةِ الحبِّ والذُّلِّ.

فمَن أَشركَ مع اللهِ تعالىٰ أحدًا؛ فقد شبَّهَهُ بِهِ - سبحانه - وهذا من أقبح التَّشبيه: تشبيهُ هذا العاجز الفقير بالذَّات؛ بالقادر الغنيِّ بالذَّات، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1].

والظُّلم: هو وضعُ الشيء في غير موضعه؛ فمَن عَبَدَ غيرَ الله تعالىٰ فقد وَضَعَ العبادةَ في غيرِ موضعها، وصَرَفَها لغير مُستحقِّها، وهذا من أعظمِ الظلم، واللهُ يغفِرُ الذنوبَ جميعًا إلاَّ الشِّركَ؛ لمن لم يَتُبْ منه، قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[2].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣ .

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨ .

والشِّركُ يُحْبِطُ جميعَ الأَعمال، واللهُ تعالىٰ لا يقبَلُ من المشرِكِ عملاً، وما عَمِلَه من أَعمالٍ سابقةٍ تكونُ هباءً منثورًا، قال تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١).

والمشرِكُ حُرِّمَتْ عليهِ الجنَّةُ وهو مُخَلَّدٌ في النَّارِ، والعياذُ باللهِ.

قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(٢).

والمشركُ حلالُ الدَّم والمالِ، قالَ تعالىٰ:

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾(٣).

والمشركُ إِذا ماتَ؛ فلا يُغسّلُ، ولا يُكفَّن، ولا يُصلَّىٰ عليه، ولا يُدفَنُ في مقابرِ المسلمينَ، وإنَّما يُحْفَرُ له حفرةٌ بعيدةٌ عن النَّاسِ، ويُدفَنُ فيها؛ لئلا يُؤذيَ النَّاسَ برائحته الكريهة.

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٥.

والشِّركُ في الشَّرعِ نوعانِ: شركٌ أكبرُ، وشركٌ أصغرُ.

● الشِّرْكُ الأَكبرُ: هو بمعنىٰ الكُفرِ الأكبرِ؛ يُحبِطُ جميعَ الأَعمال، ويُخرِجُ صاحبَهُ من الإسلام، ويخلِّدُه في النَّار، إذا مات عليه، ولم يَتُبْ منه، ولا تَنفعه شفاعةُ الشافعين يومَ القيامة.

والشِّركُ الأَكبرُ: هو صرفُ شيءٍ من العبادة لغير الله تعالىٰ؛ كدعاء غير الله، ومحبَّة غيره تعالىٰ كمحبَّته، والخوف من غيره تعالىٰ، والاعتقاد بأَنَّ غيره يضرُّ وينفعُ، أَو التَّسويةِ بين الله وغيره في الخشية، والتقرُّب بالذَّبائحِ والنُّذورِ لغيرِ الله، والتَّوكُّلِ علىٰ غير الله فيما لا يقدرُ عليه إلاَّ اللهُ، وطاعةِ غيرِ اللهِ تعالىٰ في التَّشريع والحكم، والاعتقاد بقدرةِ الأَنبياءِ والصَّالحينَ والأَولياء علىٰ التَّصرُّف في الكون مع الله تعالىٰ، وغير ذلك من العبادات التي يجبُ أَن تُصرَفَ للهِ تعالىٰ وحدَهُ لا شريكَ له.

والشِّركُ الأَكبرُ ثلاثةُ أَقسامٍ:

١- الشِّركُ في ربوبيةِ اللهِ تعالىٰ: هو جَعْلُ شريكٍ للهِ - عزَّ وجلَّ - في الملك، أَو التَّدبير، أَو الخلق، أَو الرِّزق، وغيرها من خصائصِ الرَّب جلَّ وعلا.

٢- الشِّركُ في أُلوهيةِ اللهِ تعالىٰ: هو اعتقاد أَنَّ غيرَ اللهِ

يستحقُّ أَن يُعبدَ، أَو صَرْفُ شيءٍ من العبادة لغير الله تعالىٰ.

٣- الشِّركُ في أَسماءِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ: هو جَعْلُ مماثلٍ للهِ تعالىٰ في شيءٍ من أَسمائه، أَو صفاته، أَو وصفه - سبحانه - بشيءٍ من صفات خلقه.

فمَن سمَّىٰ غيرَ الله تعالىٰ؛ باسمٍ من أَسمائه تعالىٰ معتقدًا اتصافَ هذا المخلوق بما دلَّ عليه هذا الاسمُ ممَّا اختصَّ الله تعالىٰ به، أَو وَصَفَهُ بصفةٍ من صفاته - سبحانه - الخاصة به؛ فهوَ مُشْرِكٌ باللهِ تعالىٰ في أَسمائه وصفاته.

● الشِّرْكُ الأَصغرُ: هو ما وَرَدَ في النُّصُوصِ الشَّرعيَّة من تسميةِ بعض الذُّنوب شركًا، ولم يصِلْ إِلىٰ حدِّ الشِّرك الأَكبر، ولكنه ذريعةٌ خطيرةٌ إِليه، ووسيلةٌ للوقوعِ فيه، وهوَ أَعظمُ وأَكبرُ من الكبائر.

وهذا النَّوْعُ من الشِّركِ؛ لا يُخرجُ صاحبَهُ من الإِسلام، ولا ينفي عنه أَصلَ الإِيمان، ولكن يُنافي كمالَه الواجب.

وحكمُهُ: أَنَّه إِذا ماتَ عليه، ولم يتبْ منه؛ فهو تحتَ المشيئةِ، وأَمرُهُ إِلىٰ الله تعالىٰ، إِن شاءَ عذَّبَهُ، وإِن شاءَ عفا عنه، ولو عُذِّبَ لا يُخلَّدُ في النَّارِ، وتنالُه شفاعةُ الشَّافعينَ بإِذن اللهِ تعالىٰ.

والشِّركُ الأَصغرُ قسمانِ:

القسمُ الأَوَّلُ: شركٌ باللِّسانِ والجوارحِ، وهو أَلفاظٌ وأَفعالٌ:

فالأَلفاظُ: كالحلفِ بغيرِ الله، وقولُ: ما شاء اللهُ وشِئْتَ، ويجوز أَن يُقال: ما شاءَ الله ثمَّ شاء فلانٌ، والأَفضلُ أَن يقالَ: ما شاءَ اللهُ وحدَهُ.

ومنه التَّسْمِيَةُ: بملكِ الملوكِ، أَو قاضي القضاة، والتعبيدُ لغير الله تعالىٰ؛ كتسميةِ الشَّخصِ بعبدِ النَّبِيِّ، وعبدِ الحسينِ، وغيرِها.

والأَفعالُ: كلبسِ الحلقةِ والخيطِ لرفعِ البلاءِ أَو دفعهِ، وتعليق التَّمائمِ خوفًا من العينِ، والتَّطيُّر والتَّشاؤُم من أَشياءٍ عندَ رؤيتها أَو سماعها، والامتناعِ عنِ العملِ المَنْوِيِّ فعلُه بسببِ ذلكَ التَّشاؤُم.

وغيرُها من الأَعمالِ التي تخالفُ الشَّرع، وهي من الشِّرك.

القسم الثاني: شركٌ خَفِيٌّ، وهو شركُ النيَّة، أَي: يَقْصِدُ بعمله الرِّياءَ والسُّمعةَ، وإِرادةَ الدُّنيا ببعضِ الأَعمالِ.

«٥»

«تعريفُ النِّفاق»

● **النِّفاقُ في اللُّغةِ:** هو مأخوذٌ من النَّفَقِ، وهو السَّرَبُ في الأرضِ الذي يُستَتَرُ فيه؛ سُمِّيَ النفاقُ بذلكَ؛ لأنَّ المنافقَ يستِرُ كُفرَهُ ويغيبُهُ. وقيلَ: إنَّه مأخوذٌ من نافقاءِ اليَرْبُوعِ، وهو بابُ جُحرِهِ؛ لأنَّه في ظاهره أَرضٌ مستوية وباطنُهُ حفرةٌ قد أَعَدَّها اليربوعُ للتخلُّص من الخطَرِ وقت الحاجة؛ فاستطاع بهذا الفعل أَن يخدع الصيَّاد؛ فكذلك المنافق يظهر خلاف ما يُبْطِن [١].

● **النِّفاقُ في الاصطلاحِ:** هو إظهارُ الإسلام والخير، وإبطانُ الكُفر والشَّرِّ، وهو مخالفةُ الباطنِ للظاهرِ، وإظهارُ القولِ باللِّسانِ، أو الفعل؛ بخلاف ما في القلب من الاعتقاد. أَي: هو إظهارُ متابعةِ ما جاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مع إبائه وجَحْدِهِ بالقلب، فهوَ مُظهرٌ للإيمانِ ومبطنٌ للكُفرِ، والمنافقُ: يخالفُ قولُه فعلَه، وسرُّه علانيتَه؛ فهو يدخلُ الإسلامَ من بابٍ، ويخرجُ من بابٍ آخرَ، ويدخلُ في الإيمانِ ظاهرًا، ويَخرجُ منه باطنًا.

---

(١) انظر معاجم اللغة (مادة: نفق): «لسان العرب» ج١٠، ص٣٥٨. «تاج العروس» ج١٣، ص٤٦٣. و«معجم مقاييس اللغة» ج٥، ص٤٥٤. و«مفردات القرآن» ص: ٨١٩.

والنِّفاقُ: هو مصطلحٌ شرعيٌّ لم تعرِفْهُ العربُ بهذا المعنىٰ الخاصِّ، وإن كان أَصلُهُ الذي أُخِذَ منه في اللُّغةِ معروفًا (١).

قال الله تعالىٰ عن المنافقين في كتابه العزيز: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ

---

(١) انظر: «لسان العرب» ج١٠، ص٣٥٩ و«مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية: ج٧، ص٣٠٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٨.
(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٧ ـ ٢٠.

وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾(٢).

ولهذا قد جَعَلَ الله المنافقين شرًّا من الكافرينَ؛ فقالَ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾(٣).

● الزِّنديقُ والزَّنْدَقَةُ: وهناك مصطلحٌ آخر عند الفقهاء للمنافق؛ فإنّهم يطلقونَ عليه لفظَ «الزِّنديق» وهو في الأَصلِ لفظٌ أعجميٌ ولكنّه شاعَ علىٰ أَلسنة الفقهاء. والزِّنديقُ: هو نفس المنافق؛ من حيثُ إنّه يعتقدُ عقائدَ كفريةً، ويُظهر شعائرَ الإسلامِ، ولكنْ

(١) سورة التوبة، الآيات: ٦٤ – ٦٦.
(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٧٣ – ٧٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

الزنديقَ في الغالبِ يُظهر كُفرهُ وإلحادَه ويدعو إليه إمَّا عَلنًا أَو بطُرُقٍ غيرِ مباشرةٍ ويُعرَفُ عنه ذلكَ كطوائف الباطنيةِ ومن كانَ مثلهم.

النِّفاقُ في الشَّرعِ نوعانِ:

النفاقُ كالكُفرِ، والشِّركِ، والفسقِ؛ دركاتٌ ومراتبُ؛ منها ما هو مخرجٌ من الإسلام، ومنها ما هو غيرُ مخرجٍ منه:

أَوَّلاً- النِّفاقُ الأَكبرُ؛ المخرجُ مِنَ الملَّةِ، والموجبُ للخُلودِ في الدركِ الأَسفلَ من النَّارِ: هو إِبْطانُ الكُفرِ في القلب، وإظهارُ الإيمان علىٰ اللِّسان والجوارح، ويترتَّبُ علىٰ هذا النَّوع ما يترتَّبُ علىٰ الكُفر الأَكبر؛ من حيثُ انتفاءِ الإيمانِ عن صاحبِه، وخلودِهِ في جهنَّمَ؛ لكنَّ المنافقَ أَشدُّ عذابًا من الكافر؛ لأَنَّهُ في الدَّركِ الأَسفل من النَّار إذا ماتَ عليه.

والمنافقُ: إذا لم يُظهرْ ما في باطنه من مخالفة الدِّين، وأَظهرَ الأَعمالَ الظاهرةَ من الإسلامِ؛ فهو في الظاهرِ مسلمٌ، وتجري عليه أَحكامُ الإسلام الظاهرة في الدُّنيا، ويعامَلُ معاملةَ المسلمين.

لأَنَّ الإيمانَ الظَّاهِرَ الذي تجري عليه الأَحكامُ في الدُّنيا لا يستلزمُ الإيمانَ الباطنَ الذي يكون صاحبُهُ من المؤمنين حقًّا.

والنِّفاقُ: الذي ذُكِرَ في القرآنِ المرادُ به النِّفاقُ الأَكبرُ المنافي

للإيمان بخلاف الكُفرِ فإنَّه يأْتي أَحيانًا بمعنىٰ الكُفر الأَصغر، وكذلك الظُّلمُ والفسقُ والشِّركُ، أَمَّا في السُّنَّة فقد وردَ ذكرُ النِّفاقِ الأَصغرِ.

والمنافقونَ شَرُّ وأَسوَأُ أَنواع الكفَّار؛ لأَنَّهم زادوا علىٰ كُفرهم الكذبَ والمراوغةَ والخداعَ للمؤمنينَ، ولذلكَ أَخبرَنا اللهُ تعالىٰ عن صفاتِهم في القرآنِ بالتَّفصيل؛ لكي لا يقعَ المؤمنونَ في حبائِلِهم وخداعهم، ومن صفاتهم: الكُفرُ وعدمُ الإيمانِ. التولِّي والإعراضُ عن حكمِ اللهِ تعالىٰ وحكمِ رَسُولِه الأَمينِ ﷺ. الاستهزاءُ بالدِّين وأَهله، والسخريةُ منهم. المَيْلُ بالكليَّةِ إِلىٰ أَعداءِ الدِّين، ومظاهرَتِهم ومناصرَتِهم علىٰ المؤمنينَ والمسلمينَ.

ومن أَنواعِ النِّفاقِ: مَن أَظهرَ الإسلامَ وهو مكذِّبٌ بما جاءَ به اللهُ، أَو بعض ما جاءَ به اللهُ، أَو كذَّبَ الرَّسُولُ ﷺ، أَو بعض ما جاءَ به الرَّسُولُ ﷺ، وكمثل مَن لم يعتقدْ وجوبَ طاعته ﷺ، أَو أَبغضَ الرَّسُولَ ﷺ، أَو آذىٰ الرَّسُولَ ﷺ، أَو كرهَ الانتصارَ لدينِ الرَّسُولِ ﷺ أَو سُرَّ بكسر رايةِ الدِّينِ، أَو الاستهزاءِ والسخرية بالمؤمنين؛ لأَجل إِيمانهم وطاعتهم لله تعالىٰ ولرسُولِه ﷺ، أَو التولِّي والإعراضِ عن الشرع إِلىٰ غير ذلك من الاعتقاداتِ الكُفريَّة المخرِجَةِ من المِلَّة، وهذا الصِّنفُ من المنافقين موجودٌ في كلِّ زمانٍ ومكان.

ثانياً- النِّفاقُ الأَصغرُ؛ غيرُ المخرج من المِلَّة: هو النِّفاقُ العمليُّ واختلافُ السرِّ والعلانيةِ في الواجبات، وذلك بعمل شيءٍ من أعمال المنافقين؛ مع بقاء أَصلِ الإيمان في القلب، وصاحبُهُ لا يَخرجُ من المِلَّة، ولا يُنفَىٰ عنه مطلقُ الإيمان، ولا مُسمَّىٰ الإسلام، وهو مُعَرَّضٌ للعذاب كسائر المعاصي دونَ الخلود في النَّار. وهذا النَّوْعُ من النِّفاقِ مقدِّمةٌ وطريقٌ للنِّفاق الأَكبر لمن سَلَكَهُ وكانَ ديدنَه.

وأَمثلةُ ذلكَ: الكذبُ في الحديثِ، وإخلافُ الوعدِ، وخيانةُ الأَمانةِ، والفجورُ في الخصومةِ، والغدرُ بالعهودِ، وكالرِّياءِ الذي لا يكونُ في أَصلِ العملِ، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«أَربَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنافِقًا خَالصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[1].

وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ؛ مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»[2].

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «علامة المنافق».
(٢) «رواه مسلم» في (كتاب الإمارة) باب: «ذم مَن مات ولم يغز».

«٦»

«تعريفُ الفِسْقِ»

● **الفِسْقُ في اللُّغةِ**: هو الخروجُ عن الشَّيْءِ، أَو القصدِ، وهو الخروجُ عن الطَّاعة. والفسقُ: هو الجَوْرُ، والفُجُور، والميلُ إلىٰ المعصيةِ، والفسادِ والخُبْثِ. ويقال: إذا خرجت الرطبة من قشرها؛ قد فسقَت الرُّطبةُ من قِشْرِها، والفأرةُ عن جُحرها، وسُمِّيتِ الفأْرةُ فُوَيْسِقة - تصغيرُ فاسقةٍ - لما فيها من الخبثِ والفسق.

والتَّفْسيقُ: ضِدُّ التَّعديلِ، وإذا قيل: فَسَقَ فلان في الدُّنيا فِسْقًا؛ أَي: إذا اتَّسَعَ فيها وهَوَّنَ علىٰ نفسه، واتَّسَعَ بركوبه لها، ولم يُضيِّقْها عليه. والاسمُ: فاسقٌ، والجمعُ: فُسَّاقٌ وفَسَقَةٌ (١).

● **الفِسْقُ في الاصطلاحِ**: هو العصيانُ، وعدمُ إطاعة أَمر الله - عزَّ وجلَّ - أَو التَّركُ لأَمر الله تعالىٰ والخروجُ عن طاعته، وعن طريقِ الحقِّ والاستقامةِ والإنابة، والدُّخولُ في سبيلِ الجَوْرِ، والفجورِ، والفسادِ، والضرَرِ؛ فتارةً يكون الخُروجُ فعلاً، وأُخرىٰ يكونُ اعتقادًا وفعلاً؛ فيشملُ الكافرَ، والمُسلمَ العاصي.

---

(١) انظر معاجم اللغة: «لسان العرب» ج١٠، ص٣٠٨، و«معجم مقاييس اللغة» ج٤، ص٥٠٢، و«مفردات الراغب»: ص: ٥٧٢، و«مصباح المنير» ص١٨٠.

والفسقُ أعمُّ من الكُفرِ حيثُ إنَّهُ يَشْمُلُ الكُفْرَ وغيرَهُ مِنَ الكبائرِ التي دونَهُ، وإذا قيلَ رجلٌ فاسقٌ أي عصىٰ وجاوزَ حُدودَ الشَّرعِ.

ويُقال: فسَقَ عن أمر ربِّه؛ أي خرَجَ عن طاعته؛ بارتكابِ الكبائر قصدًا، أو الإصرار علىٰ الصغائر بغير تأْويلٍ، وينبغي أن يُقيَّدَ بعدمِ التأْويل في ارتكاب الكبائر؛ لأنَّ الباغي ليسَ بفاسقٍ، وأمَّا استحلالُ المعصيةِ؛ فكُفرٌ؛ صغيرةً كانتْ، أو كبيرةً [١].

ومنها فإنَّ لفظَ الفاسقِ: لا يُطلق إلاَّ علىٰ الكافر، أو المسلم العاصي بالكبائر العظام وليس عندَه في الظاهر مِنَ الحسناتِ ما يُكَفِّرُ عن ذنوبه وإنَّ كلَّ كافرٍ فاسقٌ وليس العكسُ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ﴾[٢].

وإذا أُطلقَ الفسقُ في النصوص الشرعيَّة: يُرادُ به أحيانًا الكُفرُ المخرِجُ من الإسلام، وأحيانًا يُرادُ به الذُّنوب والمعاصي التي هي دُونَ الكُفرِ؛ بحسب درجةِ المعصيةِ، وحالِ العاصي نفسِه.

---

(١) انظر: «مفردات الراغب»: ص: ٥٧٢ و«المحرر الوجيز» لابن عطية؛ ج١، ص١٥٥ و«روح المعاني» الآلوسي: ج١، ص٢١٠ و«فتح القدير» الشوكاني: ج١، ص٧٥ و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي؛ ج١، ص٢٤٥ و«تفسير ابن كثير» ج١، ص٦٢ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٩ .

والفسقُ في الشَّرعِ نوعانِ: فسقٌ أكبرُ، وفسقٌ أصغرُ.

الفسقُ الأكبرُ: هو رديفُ الكُفرِ الأكبرِ؛ يُخرجُ صاحبَهُ من الإسلام، وينفي عنه مطلقَ الإيمانِ، ويخلِّدُه في النَّار إذا ماتَ ولم يَتُبْ منه، ولا تنفعُهُ شفاعةُ الشَّافعين. قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾(١).

وقال: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٥).

الفسقُ الأَصغرُ: كالكفرِ والشِّركِ الأَصغرين من حيثُ التَّقسيمِ هو فسقٌ دونَ فسقٍ، وهو المعصيةُ التي لا تنفي عن صاحبها أَصلَ الإيمان أَو مطلقَ الإيمان ولا تسلبُهُ صفةَ الإسلام، قالَ تعالىٰ:

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٤.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٠.
(٤) سورة المنافقون، الآية: ٦٧.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١٠٨.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(١).

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾(٣).

وقال: ﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٥).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾(٦).

وقال النبيُّ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ»(٧).

---

(١) سورة النور، الآية: ٤ .
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦ .
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢ .
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٧ .
(٥) سورة الحجرات، الآية: ١١ .
(٦) سورة الحجرات، الآية: ٧ .
(٧) رواه البخاري: (كتاب الإيمان) باب: «خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر».

«٧»

«تعريفُ الظُّلمِ»

● **الظُّلْمُ في اللُّغةِ**: اسمٌ من ظَلَمَهُ ظُلْمًا، ومظلمةً. والظُّلْمَةُ: عدمُ النُّورِ، وجَمعُها: ظُلُماتٌ، ويُعَبَّرُ بها - أَيضًا - عن الجهلِ، والشِّركِ، والفِسقِ. وأَصل الظُّلم: وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ المختصِّ به؛ إِمَّا بنُقصانٍ أَو بزيادةٍ، وإِمَّا بعُدولٍ عن وقتهِ أَو مكانه.

والظُّلمُ: التَّعدِّي، وأَصلُهُ: الجورُ، ومجاوزةُ الحَدِّ[1].

● **الظُّلمُ في الاصطلاحِ**: هو الجورُ والعدوانُ، ومنعُ الحقِّ ومجاوزتُهُ، والميلُ عن العدْلِ؛ إِمَّا بتغييرٍ، أَو نقصانٍ، أَو زيادةٍ غيرِ مشروعةٍ. أَي: التَّعدِّي عن الحقِّ الشرعيِّ إِلىٰ الباطلِ؛ سواءً كان التَّعدِّي قولاً أَو فعلاً، وقيل: هو مجاوزةُ الحدِّ الذي سَمَحَ به الشَّرعُ أَو ارتكابُ معصيةٍ مُسقِطةٍ للعدالةِ، مع عدمِ التَّوبةِ والإِصلاحِ.

والظُّلمُ مراتبُ متفاوتَةٌ: يطلَقُ علىٰ الكفرِ، وعلىٰ غيره من الكبائرِ والمعاصي، وما دونَهُ من الذُّنوب؛ لأَنَّ كلَّ معصيةٍ مهما دَقَّتْ؛ ففيها ظلمٌ، وأَقلُّ أَحواله أَن يظلِمَ العبْد نفسَهُ.

---

(١) انظر: «المفردات» (ظلم) ص٥٧٣، و«كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» للتهانوي، مادة (ظلم). و«الموسوعة الفقهية الميسرة» للقلعجي، ج٢، ص١٣٤٠.

والظُّلم ثلاثةُ أنواعٍ: • ظُلمٌ بينَ العبدِ وبين ربِّه تعالىٰ وأعظَمُهُ؛ الكُفرُ، والشِّركُ، والنِّفاقُ. • ظُلمٌ بينَهُ وبينَ العبادِ والمخلوقاتِ، ويكونُ بالتَّعدِّي علىٰ حقوقهم، وهي: أعراضُهم، وأبدانُهم، وأموالُهم. • ظُلمٌ بينَهُ وبينَ نفسِهِ، ويكونُ بتجاوزِ حدودِ اللهِ تعالىٰ؛ بارتكابِ الذُّنوبِ والمعاصي.

والظُّلمُ: مُحَرَّمٌ شرعًا؛ بجميعِ أنواعِهِ وأَشكالِهِ، حرَّمَهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ نفسِهِ، وعلىٰ عبادِهِ؛ لما فيه من المخالفة لأَمره تعالىٰ، ولما فيه من التَّعدِّي علىٰ حقوقِ العبادِ، وتَوَعَّدَ اللهُ الظالمينَ بعذابٍ أليمٍ في الدَّارين، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾(١).

والله - تباركَ وتعالىٰ - مُنَزَّهٌ عن الظُّلمِ:

والظُّلمُ! مستحيلٌ علىٰ اللهِ - جلَّ وعلا - لأَنَّهُ تعالىٰ يُوصَفُ بمحامدِ الصِّفاتِ، وينزَّهُ عن النَّقائِصِ، والظُّلمُ مَنْقَصَةٌ؛ إِذْ هو التَّعدِّي ومجاوزةُ الحدِّ، وكلاهما مُحالٌ علىٰ رَبِّ العبادِ؛ بل هو - سبحانه - الذي خَلَقَ المالِكِينَ وأَملاكَهم، وتفضَّل عليهم بها، وعَهِدَ لهم الحدودَ، وحرَّم وأَحلَّ؛ فلا مُعقِّبَ لحكمه - تباركَ اللهُ

(١) سورة طه، الآية: ١١١.

رَبُّ العالمينَ - ولا رَادَّ لقضائِهِ؛ جلَّ جلالُهُ وعَظُمَ شأنه، قال تعالىٰ:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾(١).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفارِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلاَ تَظَالَمُوا...»(٢).

والظُّلمُ في الشَّرعِ نوعانِ: ظلمٌ أَكبرُ، وظلمٌ أَصغرُ.

الظُّلمُ الأَكبرُ: هو رديفُ الكُفرِ الأَكبرِ، والشِّركِ الأَكبرِ؛ يُخرجُ صاحبَهُ من الإِسلامِ، وينفي عنهُ مطلقَ الإِيمانِ، ويخلِّدُه في النَّارِ، إِذا ماتَ ولم يتُبْ منه، وأَعظمُ الظُّلمِ الذي لا يُعادلُهُ ظلمٌ: هو الشِّركُ باللهِ - تبارك وتعالىٰ - خالقِ كلِّ شيءٍ ومليكِهِ، وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ﴾(٤).

ومِمَّا يَدُلُّ - أَيضًا - علىٰ أَنَّ الظُّلمَ يُطلقُ في النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ، ويرادُ به الكُفرُ والشِّركُ، قولُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٠.
(٢) رواه مسلم في: (كتاب البر والصلة والآداب) باب: «تحريم الظلم».
(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٩. (٤) سورة هود، الآية: ١٨.

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾[٢].

الظُّلمُ الأَصغرُ: هو كالكفرِ الأَصغرِ، والشِّركِ الأَصغرِ، هو ظلمٌ دونَ ظلمٍ، لا ينفي عن صاحبه أَصلَ الإيمان، أَو مطلقَ الإيمان، ولا تسلُبُه اسمَ الإسلامِ، وهو ظُلمُ العبدِ لنفسِهِ؛ بارتكابِ الكبائرِ، والذُّنوبِ والمعاصي، وظُلمٌ بينَهُ وبينَ العبادِ؛ بالتَّعدّي علىٰ حقوقهم، قالَ اللّٰهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٤].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٩ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٠ .
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣١ .
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥ .

«٨»

«تعريفُ الهوىٰ»

• الهوىٰ في اللُّغةِ: الهَوَاءُ ممدودٌ: الجوُّ ما بين السَّماءِ والأرضِ، وكُلُّ فراغٍ هواءٌ. وقلبٌ هواءٌ: فارغٌ، وفي القرآن: ﴿وأَفْئِدتُهم هَوَآء﴾ أي: لا عقولَ لهم، والهَوَاءُ والخَواءُ: واحدٌ.

والهَوىٰ مقصورٌ: هَوَىٰ النَّفْسِ وهي: إرادتُها والجمعُ: الأَهْوَاءُ.

والهَوَىٰ: محبَّةُ الإنسانِ الشيءَ وغَلَبَتُهُ علىٰ قلبِهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الهَوَىٰ﴾ أي: نَهاهَا عن شَهَوَاتِها، وما يدعو إليه من المعاصي والذُّنوب.

والهَوَىٰ يكون بمعنىٰ: الميلِ، والحُبِّ، والعِشْقِ، ويكونُ في مَدخلِ الخيرَ والشَّرِّ، ويكونُ بمعنىٰ إرادةِ الشيءِ وتمنِّيهِ.

ولكن متىٰ تُكُلِّمَ بالهَوَىٰ مطلقًا: لم يكن إلاَّ مذمومًا؛ حتَّىٰ ينْعَتَ بما يُخرجُ معناه كقولهم: هَوًىٰ حَسَنٌ وَهَوًىٰ موافقٌ للصواب.

ولم يَرِدْ ذكرُ الهوىٰ في القرآن؛ إلاَّ بصيغة الذمِّ!(١).

---

(١) انظر معاجم اللغة: «لسان العرب» ج١٥، ص٣٧٠، و«القاموس المحيط» ص١٧٣٥، و«مختار الصحاح»: ص: ٢٩٢، و«مصباح المنير» ص٢٤٦، و«المفردات» ص٨٤٩، و«روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن القيم الجوزية؛ ص٢٣ .

• **الهوىٰ في الاصطلاحِ:** الهوىٰ خلافُ الهُدىٰ؛ فهو مَيْلُ النَّفسِ إلىٰ ما ترغبُهُ وميلُ القلبِ إلىٰ ما تحبُّه؛ إذا خرجَ ذلكَ عن حدِّ الاعتدالِ، ويكونُ ذلكَ في الشَّهواتِ والعقائدِ والآراءِ والمذاهب.

فما خَرَجَ عن مُوجِبِ كتابِ الله تعالىٰ، وسُنَّةِ رسوله ﷺ؛ فهو هوًىٰ، ويُسَمَّىٰ صاحبُهُ صاحبَ الهوىٰ؛ فكلُّ مَن لم يتَّبعِ العلمَ والحقَّ؛ فهوَ صاحبُ الهوىٰ؛ لأَنَّ الهوىٰ ضدُّ اتِّباعِ الحقِّ.

قال الله تعالىٰ: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًىٰ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾(١).

ولذا لم يَرِدْ لفظُ الهوىٰ في القرآن؛ إلاَّ بصيغةِ الذمِّ! فالهوىٰ: هو سببٌ للإعراضِ عمَّا جاءَ به المرسلونَ من الحقِّ والهُدىٰ.

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾(٢).

ولذلك سُمِّي الهوىٰ؛ لأَنَّهُ يهوي بصاحبه إلىٰ الضَّلالة والفرقة ثمَّ إلىٰ النَّار، والعياذُ بالله، قال ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما:

(إنَّما سُمِّي هوًىٰ؛ لأَنَّهُ يَهوِي بصاحبِهِ إلىٰ النَّارِ)(٣).

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠ . (٢) سورة البقرة، الآية: ٨٧ .

(٣) «الشرح والإبانة» الإبانة الصغرىٰ؛ لابن بطة: ص١٢٤ .

فاتبّاعُ الهوىٰ هو أَصلُ الضَّلالِ والكُفرِ، وما تابَعَهُ من البدعِ والمعاصي وكبائر الذُّنوب، وأَنَّ ذلك يتفاوتُ تفاوتًا عظيمًا:

● فإذا أُتُّبعَ الهوىٰ في الكُفرِ، وجُعلَ من الهوىٰ إلهًا يُعبدُ ويُطاعُ من دون الله تعالىٰ ففي هذه الحال، إذا أُطلقَ الهوىٰ في النصوص الشرعيَّةِ؛ يُرادُ بهِ الكُفرُ الأَكبرُ المخرِجُ من الإسلام.

● وإذا أُتُّبعَ الهوىٰ في المعصيةِ التي هي دونَ الكُفرِ؛ كشُربِ الخمرِ والزِّنا والسَّرقةِ وغيرِها؛ ففي هذه الحال إذا أُطلقَ الهوىٰ في النُّصوصِ الشَّرعيَّة؛ يُرادُ به الفِسقُ والمعصيَةُ والكبائرُ من الذُّنوب التي هي دونَ الكُفرِ الأَكبرِ أَي: هو كُفرٌ أَصغرُ غيرُ مخرجٍ من الإسلام.

والهوىٰ في الشَّرعِ نوعانِ:

● الهوىٰ بمعنىٰ الكفرِ الأَكبرِ: قالَ تعالىٰ في محكم التَّنزيل: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾(١).

● الهوىٰ بمعنىٰ الكُفْرِ الأصغرِ: قال تعالىٰ في محكم التنزيل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾(٤).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٠ .
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥ .
(٣) سورة ص، الآية: ٢٦ .
(٤) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ - ٤١ .

«٩»

«تعريف الموالاة والمعاداة»

● الموالاةُ والمعاداةُ في اللُّغةِ:

الموالاةُ: هي المحبَّةُ؛ فكلُّ مَن أَحببتَه ابتداءً من غير مُكافأةٍ؛ فقد أَوْلَيْته وواليتَهُ، أَي: أَدْنَيتَهُ من نفسِكَ. والولايةُ ضدُّ العداوةِ.

وباختصارٍ: هي المحبَّةُ والنُّصرةُ والاتِّباعُ (١).

والمعاداةُ: مصدرُ عادىٰ يعادي معاداةً. والعداءُ والعداوةُ: الخصومةُ والمباعدةُ؛ وهي الشُّعورُ المتمكِّنُ في القلبِ بقصد الإضرار، وحبِّ الانتقام، والعدوُّ ضدُّ الصَّديق.

وملخصُهُ: هي التَّباعدُ والاختلافُ والبغضُ والكراهيةُ، (٢).

● الموالاةُ والمعاداةُ في الاصطلاح الشَّرعيِّ:

أَصلُ الموالاةِ الحُبُّ، وأَصلُ المعاداةِ البُغضُ، وينشأُ عنهما من أَعمالِ القلبِ والجوارحِ ما يدخُلُ في حقيقةِ الموالاةِ والمعاداةِ؛ كالنُّصرةِ، والمحبَّةِ، والإكرامِ، والأُنسِ، والجهادِ، والهجرةِ.

---

(١) انظر معاجم اللغة، مادة (ولي): «تهذيب اللغة» ج١٥، ص٤٥٢، و«لسان العرب» ج١٥، ص٤٠٩، و«تاج العروس» ج٢٠، ص٣١٠، و«القاموس المحيط» ص١٧٣٢.

(٢) انظر معاجم اللغة، مادة (عدو): «لسان العرب» ج١٥، ص٣٦، و«تاج العروس» ج١٩، ص٦٦٢.

فالموالاةُ إذنْ: الاقترابُ من الشَّيءِ والدُّنُوُّ منه عن طريق القول، أَو الفعل، أَو النيَّة، وتكون بين المحبوبَيْنِ ظاهرًا وباطنًا، ولا تتحقَّقُ الموالاةُ في اللهِ! إلاَّ بالمحبَّةِ والنُّصرةِ مجتمعتين معًا.

والمعاداةُ: هي البُغضُ، والبُعدُ، والعداوةُ، والتبرِّي، والمجانبةُ.

ومن هنا نعلمُ: أنَّه لا يكادُ يُوجَدُ فرقٌ بين المعنَيَيْن اللُّغويِّ والشَّرعيِّ، وأَنَّ اللهَ تعالىٰ قد أَوجَبَ علىٰ المؤمنين أَن يقدِّموا كاملَ الموالاةِ للهِ تعالىٰ ولرسُولِهِ ﷺ، ولكتابه، ولدينه، ولعباده المؤمنينَ، وللمسلمين عامَّةً؛ لأَنَّ المؤمنَ أَخو المؤمنِ، ولا تكونُ ولايتُهُ إلاَّ لأَخيهِ المؤمنِ، وأَنَّ اللهَ تعالىٰ وليُّ المؤمنينَ ومولاهم.

وأَوجَبَ الله تعالىٰ علىٰ المؤمنينَ أَن يوجِّهوا كاملَ عدائِهِمْ للكافرينَ والمشركينَ والوثنيِّينَ والملحدينَ والمنافقينَ، ومَنْ تابعَهَم.

ولا يتحقَّقُ الولاءُ للمؤمنينَ والمسلمينَ؛ إلاَّ بالبراءِ من المشركينَ والكافرينَ؛ لأَنَّ المعنَيَيْنِ لا يتحقَّقان معًا؛ فهما ضدَّان لا يجتمعان أَبدًا؛ فمتىٰ تمكَّن أَحدُهُما في القلب انتفىٰ نَقيضُه، وإذا زالَ أَحدُهما خلَفَهُ الآخَرُ؛ لأَنَّ حبَّ اللهِ تعالىٰ يقتضي حبَّ أَوليائِهِ وأَحبَّائِهِ، كما يقتضي هذا الحبُّ بغضَ أَعدائِهِ؛ الشَّيطان وأَتباعه وحزبه؛ فاجتماعُ المحبَّتَين مُحالٌ!

● الموالاةُ والمعاداةُ من أُصولِ الدِّينِ:

أَهْلُ السُنَّةِ والجماعةِ: يعتقدونَ أَنَّ عقيدةَ الموالاةِ والمعاداةِ من الأُصولِ المهمَّةِ في الدِّينِ، وركنٌ من أَركانِ العقيدةِ، وتوحيدِ العبادةِ، ولها مكانةٌ عظيمةٌ في الشَّريعةِ الإِسلاميَّةِ، وأَنَّ مَن حقَّق هذا الأَصلَ العظيمَ؛ فهو من المؤمنينَ - حقًّا وصدقًا - المخلصينَ المجاهدينَ المؤيَّدينَ بنصر اللهِ تعالىٰ وتوفيقِهِ؛ لأَنَّ إِتمامَ هذا الأَصلِ من كمالِ الإِيمانِ، وتمامِ العبوديَّةِ، وتحقيقٌ للتَّوحيد الخالصِ.

● أَقسامُ النَّاس في الموالاةِ والمعاداةِ:

أَهلُ السُنَّةِ والجماعةِ: يُقَسِّمُونَ النَّاسَ في الموالاةِ والمعاداةِ إِلىٰ ثلاثةِ أَقسامٍ؛ كما دلَّ علىٰ ذلك الكتابُ العزيزُ، والسُّنَّةُ المطهَّرةُ:

أَوَّلاً- مَن يستحقُّ الموالاةَ والحبَّ المطلقَ: وهم المؤمنونَ الخُلَّصُ الذينَ آمنوا باللهِ تعالىٰ رَبًّا، وبرسُولِهِ ﷺ نبيًّا، وقاموا بشعائرِ الدِّينِ؛ علمًا وعَمَلاً واعتقادًا، مخلصينَ للهِ تعالىٰ.

ثانيًا- مَن يستحِقُّ الموالاةَ والحبَّ من جهةٍ، والمعاداةَ والبغضَ من جهةٍ أُخرىٰ: وهمْ عصاةُ المؤمنينَ؛ فتجتمعُ فيهم المحبَّةُ والعداوةُ؛ يُحَبُّون لما فيهم من الإِيمانِ والطاعةِ والتقوىٰ، ويُبْغَضُون لما فيهم من المعصيةِ والفجورِ التي هيَ دونَ الكُفرِ والشِّركِ.

ثالثًا- مَن يستحِقُّ المعاداةَ والبغضَ المطلقَ: وهُمُ الكُفَّارُ الخُلَّصُ الذين يَظهرُ كُفرُهم وشركُهم وزندقتُهم، وعلىٰ اختلافِ أَجناسهم، وهذا الحكمُ ينطبقُ - أيضًا - علىٰ مَن فَعَل المكفِّراتِ من المرتدِّين والمشركينَ المنسوبينَ للإسلام: كوقوعِهِ في ناقضٍ من نواقضِ الإسلام، أَو أَشركَ باللهِ تعالىٰ في عبادته أَحدًا من عباده.

● موالاةُ الكُفارِ درجاتٌ:

أَهْلُ السُنَّةِ والجماعةِ: يرونَ أَنَّ موالاةَ المؤمنينَ بعضَهم لبعضٍ ومعاداتَهم للكُفَّار والمشْركينَ واجبٌ شرعًا، ومعاداةُ بعضِهم لبعضٍ وموالاتُهم للكُفَّارِ والمشْركينَ محرمٌ شرعًا، والموالاةُ تقع علىٰ شُعَبٍ ودرجاتٍ متفاوتةٍ؛ منها ما يُوجبُ الرِّدَّةَ وذهابَ الإسلامِ، ومنها ما هوَ دونَ ذلكَ من الكبائرِ والمحرَّماتِ؛ فالتولِّي أَخصُّ من الموالاةِ؛ فكلُّ من تولَّىٰ الكُفَّار فهو كافرٌ مرتدٌّ، وليس كلُّ موالاةٍ للكُفَّار يُكفَّرُ صاحبُها، وموالاةُ الكُفَّار - عندهم - نوعانِ:

أَوَّلاً- الموالاةُ الكُبرىٰ: يُخرجُ صاحبَها من الإسلامِ وتُسقطُهُ في الكُفرِ والرِّدَّةِ، وتكونُ بالقلبِ أَو بالعملِ، أَو بكليهما. أَمَّا التولِّي بالقلبِ: فيكونُ بحبِّهم وحبِّ مَن يُحِبُّهم، ومعاداةِ وبغضِ مَن يبغضُهم، وموافقتُهم بالقلبِ والميلُ إِليهم بالباطنِ.

وأمّا التولّي بالفعل: فيكونُ بنصرةِ الكفّارِ والدّفاعِ عنهم، والتحالفِ معهم ضدّ المسلمينَ، أو بمعاونتهم علىٰ إنزالِ العذابِ والفتنةِ بالمسلمينَ، أو إعانتِهم بالمالِ والبدنِ والرأْيِ.

وأمّا التولّي بالقلبِ والفعلِ: فتكونُ بموافقتهم في الظّاهرِ والباطنِ؛ أي: انقيادٌ لهم بالظاهرِ، والميلُ لهم في الباطن.

ثانيًا- الموالاةُ الصُّغرىٰ: هي الموالاةُ دونَ موالاةٍ، وتكونُ دونَ صورِ الموالاةِ الكُبرىٰ بمراتبَ، وهي من الكبائرِ العظامِ، والمعاصي الجسامِ، وصاحبُها علىٰ شفا هلكةٍ، ومُتعرّضٌ للوعيدِ، ولكنْ لا يُخرجُ من الإسلامِ.

وتكون بالمودّةِ والميلِ والمداهنةِ لبعضِ الكفّارِ لغرضٍ دنيويٍّ؛ من أجلِ مآربَ ماديةٍ، أو روابطَ عرقيةٍ، أو قبليّةٍ، مع سلامةِ الاعتقاد، وعدمِ إضمارِ نيّة الكفرِ والرّدّةِ عن دينِ الإسلامِ، ومعهُ العلمُ بالمعصيةِ، والخوفُ من الذنبِ، ويكونُ شأْنُ صاحبِهِ في ذلك شأنَ كثيرٍ من العُصاةِ الذينَ يقترفونَ بعضَ الذّنوبِ دونَ استحلالِها، ولكلِّ ذنبٍ حظُّه وقسطُه من الوعيدِ الذّمّ؛ بحسبِ نيّةِ الفاعلِ وقصدِهِ.

«١٠»

«قواعدُ وضوابطُ في التَّكفيرِ»

أوّلاً- موقف أهْلِ السُّنَّةِ والجماعة من مسألة التَّكفير:

من أُصولِ عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ: أنَّهم لا يكفِّرون أحدًا بِعَيْنِهِ من المسلمينَ ارتكبَ مكفرًا إلاَّ بعد إقامة الحجَّة التي يُكَفَّرُ تاركُها به؛ فتتوفَّرُ الشُّروطُ، وتنتفي الموانعُ، وتَزولُ الشُّبهةُ عن الجاهل والمتأوِّل، ولا يُكَفِّرون المُكْرَه إذا كان قلبُهُ مطمئنًّا بالإيمان.

ولا يكفِّرونَ أحدًا من المسلمينَ بكلِّ ذنبٍ، ولو كانَ من كبائرِ الذُّنوبِ التي هي دونَ الشِّركِ؛ فإنَّهم لا يحكمونَ علىٰ مرتكبِها بالكفرِ، وإنَّما يحكمونَ عليهِ بالفسقِ ونقصِ الإيمانِ؛ ما لم يستحِلَّ ذنبَهُ، وإذا ماتَ العبدُ علىٰ ذنبه؛ فأمرُه إلىٰ اللهِ تعالىٰ، إن شاءَ عذَّبه، وإن شاءَ غفرَ لَهُ.

وأنَّهم يُفَرِّقُونَ بينَ الحُكْمِ المطلقِ علىٰ أصحاب البدع بالمعصية أو الكفر، وبين الحكم علىٰ شخصٍ مُعَيَّنٍ صدرتْ عنهُ بدعةٌ من البدع، بأنَّه عاصٍ أو فاسقٌ أو كافرٌ؛ فلا يحكُمُون عليه بذلك

حتىٰ يُبَيَّنَ له الحقُّ، وذلك بإقامة الحجَّةِ وإزالة الشُّبهة؛ ولا يكفِّرون المعَيَّن؛ إلاَّ إذا تحقَّقَت فيه الشُّروطُ، وانتفت الموانعُ.

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً ﴾[1].

وعن أَبي هريرةَ - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: سمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «كَانَ رَجُلانِ في بَنِي إِسْرائِيلَ مُتَواخِيَيْن، فكَانَ أحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالآخَر مُجْتَهِدٌ في العِبَادَةِ، فكَانَ لاَ يَزَالُ المُجْتَهِدُ يَرَىٰ الآخَرَ عَلَىٰ الذَنْب، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَىٰ ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رقيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ! لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ - أَو لا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الجنَّةَ! - فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ العالمين، فَقَالَ لِهَذا المُجْتَهِد: كُنْتَ بِيَ عَالِمًا، أَو كُنْتَ عَلَىٰ مَا في يَدي قادِرًا؟ وَقَالَ لِلمُذْنِب: اذْهَبْ فَادْخُل الجنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ: اذهَبوا بِهِ إِلَىٰ النَّارِ». قال أَبو هريرة: والذي نفسي بيده! لتكلَّمَ بكلمةٍ أَوبَقَتْ دنياه وآخرتَهُ)[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) «رواه أبو داود» في (كتاب الآداب) باب: «في النهي عن البغي». وصحَّحه الألباني.

ثانيًا- خُطورةُ تكفيرِ المسلمِ:

التَّكفيرُ من الأَحكامِ الشَّرعيَّةِ التَّوقيفيَّةِ التي يجبُ التقيُّدُ بها، وهوَ من حقِّ اللهِ تعالىٰ وحقِّ رسُولِهِ ﷺ يثبتُ بأَدلَّةِ الكتابِ والسُّنَّة؛ فلا ينبغي إِطلاقُهُ علىٰ أَحدٍ إلاَّ بدليلٍ شرعيٍّ واضحٍ وثابتٍ ولا يُطلقُ حُكمُ التَّكفير بمجرَّدِ هوىً، أَو جَهلٍ، أَو قياسٍ عقليٍّ، أَو ظَنِّيٍّ، أَو نُطلِقُهُ علىٰ مَن خالَفَنا، وإن كان المخالفُ مُكفِّرًا لنا.

ولقد نهىٰ الإِسلامُ عن تكفيرِ المسلمِ من دونِ برهانٍ واضحٍ؛ نهيًا شديدًا، وحذَّرَ من الوقوع بذلك تحذيرًا عظيمًا، وورد من الأَدلَّة الشرعيَّة المشتملة علىٰ التَّرهيب العظيم من تكفير المسلم، والأَدلَّة الدالَّة علىٰ وجوب صيانة عرضه وحرمته، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(١).

قاعدةٌ عظيمةٌ: (مَن ثبتَ إسلامهُ بيقينٍ فلا يَزولُ بشك)

اتَّفق أَئمَّةُ أَهل السُّنَّة والجماعة علىٰ هذه القاعدة العظيمة؛

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤ .

فكانوا أعظمَ النَّاس ورعًا في باب التَّكفير؛ لأنَّ تكفيرَ المسلمِ مسألةٌ خطيرةٌ، ويترتَّب عليها آثارٌ عظيمةٌ؛ يجبُ عدمُ الخوض فيها دون دليلٍ بيِّنٍ، ولأنَّ الأَصلَ في المسلمِ الظَّاهرِ العدالةِ بقاءُ إسلامِهِ؛ حتىٰ يتحقَّق زوالُ ذلكَ عنه بمقتضىٰ الدَّليل الشَّرعيِّ، ومنها ينبغي الاحتراز من التَّكفير ما وجدَ إلىٰ ذلك سبيلاً؛ فبابُ التَّكفير بابٌ خطيرٌ وعظيمٌ، مَن لم يعرف الواجبَ فيه يَزِلُّ ويَضِلُّ، وقد توقَّفَ فيه كبارُ الأئمَّة فسَلِموا، وأَقدم عليه المبتدئُون فسقَطوا.

وقد حذَّر النَّبيُّ ﷺ أَن يُكَفِّرَ أَحدٌ أَحدًا دونَ برهانٍ.

قالَ ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إنْ كَانَ كَمَا قَالَ؛ وَإلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْه»(١).

وقالَ ﷺ: «مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالكُفْر، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذلِكَ إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ»(٢).

وقالَ ﷺ: «مَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا؛ فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَىٰ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ؛ فَهُوَ كَقَتْلِه»(٣).

وعن عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: دَعانا النَّبيُّ

(١) «رواه مسلم» في (كتاب الإيمان) باب: «بيان حال إيمان من قال لأخيه: ياكافر».
(٢) «رواه مسلم» في (كتاب الإيمان) باب: «بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم».
(٣) «رواه البخاري» في (كتاب الأدب) باب: «ما يُنهىٰ من السِّباب واللَّعن».

ﷺ فبايعناه، فقال: فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ «السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ؛ إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»(١).

ولأَنَّ التَّكفيرَ حُكمٌ شرعيٌّ؛ يترتَّب عليه إباحةُ دمِ شخصٍ قد ظَهَرَ إسلامُهُ، ونطق بالشَّهادتين؛ لقول النَّبيِّ ﷺ:

«مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(٢)(*).

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الفتن) باب: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها».

(٢) «رواه البخاري» في (كتاب الجهاد والسير) باب: «لا يعذب بعذاب الله».

(*) وقد أجمع أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ علىٰ أنَّ الشخصَ المُكفَّر يترتَّب علىٰ كُفره أحكامٌ، منها:

١- عدمُ حلِّ زوجته - المسلمة - له، وتحريمُ بقائها، وبقاء أولادها تحت سلطانه؛ لأنَّ المرأة المسلمة لا يصحُّ أن تكون زوجةً لكافر بالإجماع.

٢- وجوبُ محاكمته أمام القضاء لتنفيذ حدِّ الردَّة عليه، وهو القتلُ؛ لأنَّه كفر بعد إسلامه، وذلك بعد استتابته وإقامة الحجَّة، وإزالة الشُّبه.

٣- أنَّه إذا مات علىٰ ردَّته وكُفره؛ لا تجري عليه أحكامُ المسلمين؛ فلا يُغسَّل، ولا يُصلَّىٰ عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُورثُ، كما أنَّه لا يرثُ إذا مات له موروثٌ قبله.

٤- أنَّه إذا مات علىٰ الكفر؛ وجبت عليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعين، والخلودُ الأبديُّ في النَّار - والعياذُ بالله - ولا يُدعىٰ له بالرحمة، ولا يُستغفرُ له.

ثالثًا- التَّفريقُ بين التَّكفيرِ المطلقِ والتَّكفيرِ المعيَّنِ:

من أُصولِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في مسأَلة التَّكفير: التَّفريقُ بينَ التَّكفيرِ المطلقِ والتَّكفيرِ المعيَّنِ؛ لأَنَّه من الممكنِ أَن يقولَ المسلمُ قولاً أَو يفعلُ فعلاً؛ قد دلَّ الكتابُ والسُّنَّةُ وإجماعُ الأُمَّةِ علىٰ أَنَّه كفرٌ وردَّةٌ عن الإسلام، ولكن لا تلازُمَ - عندهم - بينَ القولِ بأَنَّ هذا كفرٌ، وبينَ تكفيرِ الشَّخصِ بعينه؛ فليسَ كلُّ مَن فعلَ مكفِّرًا يُحكم بكفره بإِطلاق؛ فقد يكون القولُ أَو الفعلُ كفرًا؛ لكن لا يُطلقُ الكفرُ علىٰ القائل أَو الفاعل إلاَّ بشرطه؛ لأَنَّه لا بُدَّ أَن تثبُتَ في حقِّه شروطُ التَّكفير وتنتفيَ موانعُه.

فالمرءُ قد يكونُ حديثَ عهدٍ بالإسلام، وقد يكونُ جاهلاً جهلاً يُعْذَرُ بمثلهِ؛ فإِذا بُيِّن له رجعَ، وقد ينكرُ شيئًا متأَوِّلاً أَخطأَ بتأْويله، وغير ذلك من الموانع التي تمنعُ من التَّكفير.

فأَهلُ السُّنَّة والجماعة: يُطلقونَ القولَ في التَّكفير، فيقولونَ: مَن قال كذا أَو فعل كذا فهو كافرٌ، وعندما يتعلَّق الأَمرُ بالشخصِ المعيَّن الذي قاله أَو فعله، لا يحكمون بكُفره إِطلاقًا؛ حتىٰ تجتمعَ فيه الشُّروطُ، وتنتفيَ عنه الموانعُ، فعندئذٍ تقومُ عليه الحجَّةُ التي يكفُرُ تاركُها، وهذه قاعدةٌ عظيمةٌ من قواعدهم التي يتميَّزونَ بها

عن غيرهم؛ لأنَّ التَّكفيرَ ليسَ حقًّا لأحدٍ، يَحْكُمُ به علىٰ مَن يشاءُ وفْقَ هَوَاهُ؛ بل التَّكفيرُ حكمٌ شرعيٌّ، فيجبُ الرجوعُ في ذلك إلىٰ ضوابطِ الشَّرعِ؛ فمن كفَّرهُ اللهُ تعالىٰ ورسُولُهُ ﷺ وقامت عليه الحجَّةُ؛ فهو كافرٌ.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(فقد يكونُ الفعلُ أَو المقالةُ كفرًا، ويُطلقُ القولُ بتكفيرِ من قال ذلك؛ فهو كافرٌ؛ لكنَّ الشَّخص المعيَّن الذي قال ذلك القول، أَو فعلَ ذلكَ الفعلَ لا يحكمُ بكُفرِهِ حتىٰ تقومَ عليه الحجَّةُ التي يكفُر تاركُها. وهذا الأَمرُ مطَّردٌ في نصوص الوعيد عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ فلا يُشهد علىٰ معيَّن من أَهل القبلة بأنَّه من أَهل النَّار؛ لجواز أَن لا يلحقه، لفواتِ شرطٍ أَو لثبوتِ مانعٍ)[١].

وقال أَيضًا: (فليس لأَحدٍ أَن يُكفِّر أَحدًا من المسلمين، وإِن أَخطأَ وغلطَ حتىٰ تُقام عليه الحجَّةُ، وتُبَيَّنَ له المحجَّةَ، ومَن ثبتَ إِيمانُهُ بيقين لم يزل ذلك عنه بالشَّكِّ؛ بل لا يزول إِلاَّ بعد إِقامةِ الحجَّةِ، وإِزالة الشُّبهة)[٢].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٣٥، ص١٦٥.
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ج١٢، ص٥٠٠.

رابعًا- اعتبارُ الظَّاهرِ في مسائلِ الكفرِ والإيمانِ:

من أُصولِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في مسائلِ الكُفرِ والإيمانِ: أَنَّهم يحكُمُونَ علىٰ النَّاس بالكفرِ والإيمانِ علىٰ ظواهرِهم؛ فإن أَظهرَ الكفرَ حكَموا عليه بالكفرِ، وإن أَظهرَ الإيمانَ حكَمُوا عليه بالإيمانِ من دون أَن يَتتبَّعُوا بواطنَهم؛ لأَنَّ معرفةَ ما في القلوب من خصائص الله - جلَّ وعلا - وحدَهُ لا شريكَ لَهُ؛ فجعلَ اللهُ تعالىٰ ظاهرَ النَّاسِ دليلاً علىٰ بواطنِهم؛ ثمَّ أَعطاهمُ الحقَّ في الحُكمِ علىٰ البواطنِ؛ بمقتضىٰ ما يبدو لهم من ظواهرهم؛ فإن أَظهروا الإسلامَ حُكِمَ لهم بالإسلام ظاهرًا وباطنًا، وإن أَظهروا الكُفرَ حُكِمَ لهم بالكُفر ظاهرًا وباطنًا.

ولأَنَّ ظاهرَ العبدِ هو الوجهُ الآخَرُ لقلبه وباطنه، وأَنَّه انعكاسٌ مباشرٌ له لا يتخلَّفُ عنه ولا يُغايرُه، وإذا كان الباطنُ صالحًا كانَ الظَّاهرُ كذلك، وإذا كانَ الباطنُ فاسدًا كان الظَّأهرُ كذلك فاسدًا بحسبه، وإذا انتفىٰ الظَّاهرُ دلَّ ذلك علىٰ عدمِ ما في القلب، وإذا نَقَصَ دلَّ علىٰ نَقْصِ ما في القلب، وكذلك العكسُ.

ومن هنا جُعلَتِ الأَعمالُ الظَّاهرةُ في الشَّرعِ؛ مناطَ الحكم في الدُّنيا علىٰ حال العبد، وذلك بالنظر إلىٰ ظاهر أَعماله دونَ الباطن؛

فيُحْكَمُ عليه بإثبات الإسلام لهُ، أو الكفر؛ فمَن أظهرَ الإسلامَ حكمنا بإسلامه، ومَن أظهرَ الكُفرَ حكمنا بكُفره.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(١).

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ»(٢)(*).

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة...».

(*) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: («وحسابهم علىٰ الله»، أي في أمر سرائرهم... وفيه دليلٌ علىٰ قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر) «فتح الباري» ج١، ص١٠٥ دار السلام. وقال الإمام البغوي رحمه الله: (وفي الحدث دليلٌ علىٰ أنَّ أُمور النَّاس في معاملة بعضهم بعضاً؛ إنَّما تجري علىٰ الظَّاهر من أحوالهم دون باطنها، وأنَّ مَن أظهرَ شعار الدِّين أُجري عليه حكمه، ولم يُكشفْ عن باطن أمره، ولو وُجِدَ مختونٌ فيما بين قتلىٰ غُلف؛ عزل عنهم في المدفن، ولو وجِدَ لقيط في بلد المسلمين حُكِمَ بإسلامه). «شرح السُّنَّة» ج١، ص٧٠. المكتب الإسلامي.

خامسًا- الوعدُ والوعيدُ:

من أُصولِ عقيدة أَهل السُنَّة والجماعة: الإيمانُ بنصوص الوعد والوعيد؛ يؤمنونَ بها، ويُمِرُّونها كما جاءت، ولا يَتَعَرَّضون لها بالتأويل، وَيُحَكِّمُونَ نصوص الوعد والوعيد، لقوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً﴾(١).

ويعتقدونَ بأَنَّ عواقبَ العبادِ مُبهمةٌ لا يَدْري أَحدٌ بما يُختَمُ له، والمؤمن لا يأْمَنُ مَكْرَ الله تعالىٰ أَن يستَدْرِجَهُ من حيثُ لا يحتسبُ، أَو يعذِّبَه بذنوبه، وكذلك فإنَّه لا ييأَسُ من رحمة الله أَبدًا ما دامَ علىٰ التَّوحيدِ؛ فسبيلُ النجاة - عندهم - وسطٌ بين الأَمن والإِياس، وبين الخوف والرَّجاء، قال النَّبِيُّ ﷺ:

«إِنَّ الرَّجُلَ لَيعملُ عَمَلَ أَهْلِ الجنَّة؛ فِيما يَبْدو لِلنَّاس، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّار فِيمَا يَبْدُو للنَّاس، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجنَّة»(١).

والعبرة - عندهم - فيما يُختم به علىٰ المرء؛ فإن خُتم له

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨، والآية: ١١٦.
(٢) «رواه البخاري» في (كتاب الجهاد والسير) باب: «لا يُقال فلانٌ شهيد».

بالإيمان؛ فهو مؤمنٌ، ومن أَهل الجنَّة، مهما كانَ له قبلَ ذلكَ من الأَعمالِ غيرِ صالحةٍ، وإن خُتم له بالكفر؛ فهو كافرٌ، وهو من أَهل النَّار خالدًا فيها، مهما كان له قبلَ ذلكَ من الأَعمال الصَّالحة.

فالعبرةُ: فيما يُختمُ للمرءِ؛ بالإيمان أَو الكفر؛ فمَن عُرِفَ عنهُ الكفرُ، ولم يظهر منه قبلَ الموت ما يدُلُّ علىٰ توبته وإيمانه؛ يُحكم عليه بالكفر، والخلود بالنَّار.

وهذه القاعدةُ تُطَبَّقُ علىٰ من ثَبَتَ كفرُه وردَّتُهُ من المسلمين، أَمَّا الكفَّارُ الأَصليونَ فهم مخلَّدونَ في نارِ جهنَّمَ إلىٰ أَبدِ الآبدينَ؛ إلاَّ مَن دخلَ منهم الإسلامَ وأَعلنه.

ولا يجزمون لأَحدٍ من أَهل القبلة بجنَّةٍ ولا نارٍ كائنًا مَن كان؛ إلاَّ مَن جزم له رسولُ الله ﷺ ولكن يوكلونَ أَمرَهُمْ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ويرجون للمحسن، ويخافون علىٰ المسيء.

ويعتقدونَ أَنَّ الجنَّةَ لا تجبُ لأَحدٍ، وإنْ كان عملُهُ حسنًا إلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَهُ اللهُ بفضلِهِ فيدخلَها برحمتِهِ عزَّ وجلَّ.

سادسًا- أَهلُ السُّنَّةِ والجماعة؛ يُكفِّرونَ مَن ثبت كفره:

من أُصولِ اعتقاد أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ: تكفيرُ الكافرِ الذي ثبتَ كفرُهُ؛ وذلكَ إذا تحققتْ شروطُه وانتفتْ موانعهُ.

وقد علمنا أَنَّ أَهلَ السُّنَّة والجماعة؛ كانوا أَعظمَ النَّاس ورعًا في مسأَلة التَّكفير، وإِنَّ أَئمَّتهم كانوا يحترزونَ من تكفير المعيَّن ما وجدُوا إِلىٰ ذلك سبيلاً؛ لكنَّ هذا الورعَ لم يمنعهُم من إنزال الحكم بالكُفر علىٰ مَن ثبتَ في حقِّه الكُفر بشروطهِ الشَّرعيَّةِ! ولم يترددُوا في تكفير مَن كَفَّرهُ اللهُ تعالىٰ ورسولُه ﷺ، ولا يعني هذا إغلاقَ باب الرِّدَّة، أَو الحكمُ بالإسلامِ علىٰ مَن دلَّ الدليلُ علىٰ كفرِهِ وردتِه؛ لأَنَّ الانحرافَ في مسأَلةِ التكفير لا يُقابلُ بانحرافٍ آخرَ لا يقل خطرًا عنهُ، وهو عدمُ تكفيرِ الكافر؛ ولأَنَّ النُّصوصَ الشرعيَّة دلَّتْ علىٰ جوازِ تكفيرِ الكافرِ، أَو مَن ارتكب عملاً أَو قولاً مكَفِّرًا؛ بل جعلوا تكفيرَهُ من أُصول اعتقادهم، وحكموا بكُفرِ مَن لم يُكفِّر الكافرَ، أَو يشُكُّ في كُفرِهِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٣ .

وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[١].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»[٢].

وقالَ ﷺ: «العَهْدُ الَّذي بَيْنَنا وَبَيْنَهُم الصَّلاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَها فَقَدْ كَفَرَ»[٣].

وقالَ الإمامُ سفيانُ بنُ عيينةَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(القرآنُ كَلامُ اللهِ - عزَّ وجلَّ - مَن قالَ مخلوقٌ فهوَ كافرٌ، ومَن شكَّ في كفره فهوَ كافرٌ)[٤].

وقالَ الإمامُ أَحمدُ بنُ حنبلَ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ: (القدريُّ الذي يقولُ: إنَّ اللهَ لم يَعلمِ الشَّيءَ حتىٰ يكونَ؛ هذا كافر)[٥].

وقالَ الإمامُ مالكُ، رحمهُ اللهُ: (الذي يَشتمُ أَصحابَ رسولِ

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ - ١٥١.
(٢) رواه البخاري في: (كتاب الجنائز) باب «في الجنائز، ومَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله».
(٣) رواه الترمذي في: (كتاب الإيمان) باب: «ترك الصلاة» وصححه الألباني.
(٤) «كتاب السُّنَّة» ج١، ص١١٢ الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل.
(٥) «كتاب السُّنَّة» ص٥٢٩ الإمام الخلال.

الله ﷺ ليسَ لهُ سهمٌ، - أَو قالَ - نصيبٌ في الإسلامِ)(١).

وقالَ الإمامُ الأَوزاعيُّ، رحمهُ اللهُ: (مَن شتمَ أَبا بكرٍ الصدِّيقَ - رضيَ اللهُ عنهُ - فقد ارتَدَّ عن دينهِ، وأُبيحَ دَمُهُ)(٢).

ونقلَ العلاَّمةُ القاضي عياضُ - رحمهُ اللهُ - إِجماعَ العلماء علىٰ ذلكَ عندما نقلَ أَقوالِ المجتهدين في أُصول الدِّين حيثُ قالَ:

(وقائلُ هذا كلِّه كافرٌ بالإجماعِ علىٰ كُفْرِ مَن لم يكفِّر أحدًا من النَّصارىٰ واليهود، وكُلِّ مَن فارقَ دين المسلمين، أَو وقفَ في تكفيرهم، أَو شكَّ)(٣).

فاهتمامُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في تكفيرِ الكفَّارِ والمشركينَ، أَو مَن ثبتَ كُفرُهُ، أَو ردَّتهُ عن الإسلامِ؛ ليسَ لهوىً في النَّفْسِ؛ وإِنَّما يريدونَ التَّعبُّدُ للهِ تعالىٰ بذلك، والقيامَ بواجبِ الولاءِ والبراءِ؛ فمعرفةُ حالِ الشَّخصِ من إِيمانٍ، أَو كفرٍ، تُحقِّقُ للمؤمنِ التعبُّدَ بمحبَّتِهِ إِن كانَ مؤمنًا، وكراهيَّتهُ إِن كانَ كافرًا، قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«مَنْ أَحَبَّ لله، وأَبْغَضَ لله، وأَعْطَىٰ لله، وَمَنعَ لله؛ فَقَد استكمَلَ الإيمان»(٤).

---

(١)، (٢) «الإبانة الصغرىٰ» ص١٦٢ الإمام ابن بطة.
(٣) «الشفا بتعريف حُقوق المصطفىٰ» ص٨٤٦ فصل «في تحقيق القول في إكفار المتاولين».
(٤) رواه أبو داود (كتاب السُّنَّة) باب «الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه» وصحَّحه الألباني.

فتكفير أهلِ السُنَّةِ والجماعة للكفَّار، وعداؤُهم لهم وبُغضُهم إيَّاهم؛ ما هو إلاَّ استجابةٌ للهِ عزَّ وجلَّ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(١).

وكذلكَ حبُّهم للعبدِ نفسِهِ إذا دخلَ في الإيمانِ بعدَ الكُفرِ؛ استجابةٌ لله جلَّ وعلا، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾(٢).

فمُوالاةُ أَهلِ السُنَّة والجماعة ومُعاداتُهُم للعبد مبنيةٌ علىٰ أَساس صفات الإيمان والكُفر التي تُلازمُه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ...﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦١ .

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٨ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨ .

سابعًا- ما يَمْحو الكُفرَ بعدَ وقوعِهِ علىٰ المعيَّنِ:

أجمع أهلُ السنَّةِ والجماعةِ؛ علىٰ أنَّ الكُفرَ إذا ثبتَ ووقعَ في حقِّ المعيَّنِ؛ لم يمحُه شيءٌ إلاَّ التوبةُ الصَّادقة النَّاصحةُ الخالصةُ، بشروطِها المعروفةِ؛ لأنَّ التَّوبةَ تمحُو جميعَ الخطايا والسيئات.

والتوبةُ هي المانعُ الوحيدُ الذي يمنعُ إطلاقَ اسمِ الكُفرِ علىٰ المعيَّن بعدَ رجوعِه عن الكُفر الذي وقعَ فيه؛ بخلاف الموانعِ السَّابقةِ التي تمنعُ إلحاق الكُفر به ابتداءً؛ حتىٰ يزولَ المانعُ.

واللهُ تعالىٰ يقبلُ توبةَ العبدِ الصَّادقِ المقبل إليه إقبالاً صادقًا من قلبه، ويغفرُ جميعَ الذُّنوب، والخطايا، والمعاصي، والكُفر، وما دون الشِّرك، وأنَّ كلَّ مَن تابَ وأنابَ إلىٰ الله في هذه الدُّنيا؛ تابَ الله عليه وغفرَ لَهُ، وليسَ شيءٌ يغفرُ جميعَ الذُّنوب إلاَّ التَّوبةُ الصَّادقةُ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ اللهُ: (فثبتَ بكتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسُولهِ ﷺ أنَّ كلَّ مَن تابَ، تابَ اللهُ عليه. ومعلومٌ أنَّ مَن سَبَّ الرَّسُولَ من الكفَّارِ المحاربين، وقال: هوَ ساحرٌ، أو شاعرٌ، أو مجنونٌ، أو معلَّمٌ، أو مفترٍ، وتابَ تابَ اللهُ عليه. وقد كانتْ طائفةٌ تسبُّ النبيَّ ﷺ من أهلِ الحربِ؛ ثمَّ أسلمُوا، وحَسُنَ إسلامُهم، وقبِلَ النَّبيُّ ﷺ منهم: منهم أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنُ عبدِ المطلبِ ابنُ عمِّ النَّبيِّ ﷺ، وعبدُ اللهِ بنُ سعدٍ بنُ أبي السرحِ، وكانَ قد ارتدَّ، وكانَ يكذبُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ، ويقولُ: أنا كُنتُ أُعَلِّمُه القُرآنَ ثمَّ تابَ، وأسلمَ، وبايعهُ النَّبيُّ ﷺ علىٰ ذلك)[١].

أمَّا مَن ماتَ علىٰ الكُفرِ؛ فقد استحقَّ الوعيدَ والخلودَ في النَّار إلىٰ أبد الآبدين، وتحقَّقَ فيه قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٣، ص٢٩١ .
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦ .
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٩ .

«١١»

«موانعُ التَّكفيرِ»

أوَّلاً- العجزُ: إنَّ الشَّريعةَ الإسلاميَّةَ سهلةٌ ميسَّرةٌ، ومُحكمةٌ شاملةٌ لجميعِ نواحي الحياةِ، ومناسِبةٌ لجميعِ أَحوالِ البلادِ والعبادِ؛ حسبَ طاقاتِهم وقدراتِهم، وأَحكامُها مختلفةٌ، وحسبَ حال العبد من السَّعة والرَّخاء، والعبدُ لا يُكلَّفُ ما لا يُطيقُ ولا يَقدرُ علىٰ أدائه، قالَ تعالىٰ: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[١].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ؛ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[٢].

واتَّفقَ أئمَّةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ: علىٰ أنَّه إذا تعذَّرَ علىٰ المكلَّفِ القيامُ ببعضِ الواجبِ، وأَمكنَ القيامَ بالبعضِ الآخرِ، واتَّقىٰ اللهَ تعالىٰ ما استطاعَ؛ وجبَ عليه القيامُ بالممكنِ، وسقطَ عنهُ ما تعذَّرَ عليهِ، أَو عجزَ عنهُ، ومنها كانتِ القاعدةُ الفقهيَّةُ:

(الميسُورُ لا يسقُطُ بالمعْسُورِ)[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .

(٢) «رواه البخاري» (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب «الإقتداء بسُنَن رسول ﷺ».

(٣) «الأَشباه والنظائر» للسيوطي ص١٥٩ و«الأَشباه والنظائر» لابن السبكي ج١، ص١٥٩ .

ومعنىٰ ذلكَ أَنَّ جميعَ الشُّروطِ والواجباتِ والأَركانِ؛ مقيَّدةٌ بحالِ القدرةِ والاستطاعةِ، أَمَّا في حالِ العجزِ وعدمِ القدرةِ؛ فتسقُطُ عن المكلَّفِ، إمَّا إلىٰ بدلٍ أَو مطلقًا؛ لأَنَّ شرطَ التَّكليفِ القدرةُ علىٰ المكلَّفِ بِهِ، فما لا قدرةَ للمكلَّفِ عليهِ لا يصحُّ التَّكليفُ به شرعًا.

وعلىٰ ضوءِ هذهِ الأَحكامِ الشَّرعيَّةِ والقواعدِ المرعيَّةِ؛ اتَّفقُوا علىٰ أَنَّ العجزَ عن أَداءِ ما شَرَعَ الله تعالىٰ، أَو عن أَداءِ بعضِهِ؛ يُعتبرُ من موانع التَّكفير؛ إذا كانَ سَبَبُهُ انتفاءَ الإرادةِ، وعدمَ الاختيارِ والرِّضا والقصدِ بذلك، واتَّقىٰ صاحبُهُ اللهَ تعالىٰ ما استطاعَ؛ فإنَّه معذورٌ غيرُ مؤاخَذٍ علىٰ ما تَرَكَهُ.

كالذينِ بلغتْهم دعوةُ الإسلامِ وهمْ في دارِ الكُفرِ وأَسلَمُوا، ولكن لم يتمكَّنوا من الهجرة إلىٰ دار الإسلام، ولا الالتزامَ بجميع شرائعه وأَحكامه؛ لأَنَّهم ممنوعونَ من إظهار دين الإسلام، أَو ليس عندَهم من يُعَلِّمُهم جميعَ شرائعِ الدِّينِ وتعاليمِهِ؛ فهؤلاءِ معذورونَ، وإن ماتوا علىٰ حالِهم هذهِ؛ فهمْ من أَهلِ الجنَّة إن شاءَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ.

ثانيًا- الجهلُ:

منهجُ أَهلِ السُّنَّة وسطٌ في كلِّ مسائلِ الدِّينِ بينَ الغالي والجافي والمفرِط والمفرِّطِ، وهو وسطٌ أيضًا في مسأَلةِ العذرِ بالجهلِ:

● فهناك مَن يجعلُ الجهلَ عذرًا بإطلاقٍ من دونِ اعتبارٍ للضوابطِ التي وضعها أئمَّةُ أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ فعذروا من لا يصحُّ عذرُه، وأَدخلوا في دائرة الإسلام مَن لا يصحُّ إدخالُه؛ من المشركينَ والمرتدِّينَ ومَن تبعَهم؛ بادعاءِ أنَّهم جهلةٌ، مع كونهم يعيشونَ في بلاد الإسلام، ويسمعُونَ كلامَ الله تعالىٰ، وكلامَ رَسُولِهِ ﷺ، وكلامَ العلماءِ، وقد قامتْ عليهم الحجَّةُ بذلك؛ لكنهم آثروا الاستمرارَ علىٰ ما هم عليه؛ فهؤلاء لا عُذْرَ لهم.

● وهناك مَن يمنعُهُ بإطلاقٍ؛ مما أَدَّىٰ بهم إلىٰ تكفيرِ بعضِ المسلمينَ، وإخراجِهم من دائرةِ الإسلامِ؛ دونَ الاعتبارِ للضوابطِ والموانعِ التي قد تمنعُ من تكفيرِهم.

●● والحقُّ وسطٌ بينهما، هو طريقةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ التَّفصيل في المسأَلة، والحكمُ علىٰ المعاني دونَ المباني؛ وبضوابطه الشرعيَّة. والجهلُ - عندهم - نوعانِ: جهلٌ يعذرُ فيه صاحبُهُ، وجهلٌ لا يعذرُ فيه؛ سواءً كانَ ذلكَ في أُصولِ الدِّينِ أَو فروعِهِ.

لأَنَّ من شروطِ الإيمانِ وجودُ العلمِ عندَ الشَّخصِ المؤمنِ به؛ لأنَّه لا تكليفَ إلاَّ بشرعٍ، ولا عقابَ إلاَّ بعد إنذارٍ، والجهلُ أمرٌ أَصليٌّ عندَ ابن آدمَ؛ يجبُ رفعُه - حسبَ الاستطاعةِ - والأُمَّة مكلفةٌ بتعليمِ الجاهلِ؛ لذا فمَن أنكرَ أمرًا من أُمورِ الشَّرعِ جاهلاً به، ولم يَبلُغه ما يوجبُ العلمَ بما جهلَهُ؛ فإِنَّه لا يُكَفَّر؛ حتىٰ لو وقعَ في مظهرٍ من مظاهر الشِّركِ، أَو الكُفرِ؛ لأَسباب منها:

● أنَّه من الممكنِ أَن يكونَ حديثَ العهدِ بالإِسلامِ، أَو أنَّه لم يكنْ يعلم بهذا المكفِّر قبلَ إِسلامِهِ، أَو أنَّه نشأَ ببادية أَو بلدٍ بعيدةٍ عن ديارِ العلمِ وأَهلِهِ، ولم يصلْهُ البلاغُ المبين.

● أَو يعيشُ في بلدٍ اندرست فيه آثارُ رسالةِ الإِسلامِ والتَّوحيدِ، وفشا فيهِ الجهلُ بشكلٍ واضحٍ، وانقلبَتْ فيه موازينُ الشَّرعِ؛ فصارَ الشِّركُ فيه توحيدًا، والبدعةُ فيه سُنَّةً، وكَثُرَ فيه الانحرافُ، وزُيِّنَ فيه الباطلُ والكُفرُ، ولُبِّسَ عليهم من قبلِ عُلمائِهم، ولا يوجَدُ سواهم مَّن يُعلمُونَ الإِسلامَ الحقَّ.

● أَو أنَّه وقعَ في المكفِّر وهوَ غيرُ قاصدٍ له؛ كأَن وقعَ عن طريقِ الخطإِ، أَو النسيانِ، أَو وقعَ عن طريقِ اجتهادٍ سائغ.

● أَو أَنَّ هذا المكفِّرَ ليسَ من المسائِلِ الظاهرةِ المجمعِ عليها،

والتي لا يعذرُ فيها المرءُ بجهلِها؛ بل هي من المسائلِ الخفيَّةِ التي لا يطَّلعُ عليها إلاَّ العلماءُ، وتحتاجُ إلىٰ إيضاحٍ وبيانٍ.

فمثلُ هذا الشَّخصِ! إذا وقعَ منه الكفرُ لا يُكفَّر، ولا يَستحِقُّ العقوبةَ حتىٰ تُقامَ عليه الحُجَّة؛ لأَنَّ الجهلَ ببعض الأُمورِ العقديَّةِ قد وقعَ في عهدِ النَّبيِّ ﷺ من غير قصدٍ مع بعضِ حُدثاءِ العهدِ بالإسلام من الصَّحابة، ومع ذلك لم يكفِّرهم ﷺ .

وأَهلُ السُّنَّة والجماعة؛ يُراعونَ اختلافَ أَحوالِ النَّاسِ ومُلابساتِهم وأَماكنِهم وأَزمنتِهم؛ من حيثُ انتشارِ العلمِ الصَّحيحِ ودعاتِهِ وأَدواتِهِ، أَو عدمِ انتشارِهِ، أَو انتشارِ عكسِهِ من العلومِ الباطلةِ والدَّخيلةِ؛ لأَنَّهم لا يشتركونَ جميعًا في معرفةِ الأُمورِ الضَّروريةِ من الدِّينِ علىٰ درجةٍ واحدةٍ؛ بل قد يعرف البعضُ أُمورًا لا يعرفُها الآخرونَ، أَو قد تكونُ بعضُ المسائلِ العقديَّةِ من المسلَّماتِ عندَ البعضِ مع أَن غيَرهم يجهَلُها تمامًا أَو يعلمُ عكسَها .

ومعَ هذا؛ فلا يعني أَنَّ الجهلَ - عندَ أَهلِ السُّنَّة والجماعة - عذرٌ مقبولٌ لكلِّ مَن ادَّعاه! فالجهلُ عندهُم درجاتٌ مختلفةٌ :

فجهلُ ما هو معلومٌ من الدِّين بالضرورة؛ من الأُمور الظَّاهرة؛ كالتَّوحيد، والشِّرك، والمحرَّماتِ القطعيَّةِ، وما أَجمَعَ عليه أَهلُ

العلم من الفرائض والواجبات، غير جَهل ما دونَه من الأُمورِ الخفيَّة؛ التي لا يعرفها إلاَّ الخاصَّةُ: مثلَ مسائلِ الأَسماء والصِّفات بتفاصيلها، ومعرفة معتقدات الفِرَقِ التي تُخالف اعتقادَ أَهل السُّنَّة والجماعة ومقالاتهم التي تُخالفُ النُّصوصَ الشَّرعيَّة، وكذلك معرفةُ مسائل الفروع التي هي غيرُ مُشْتَهرةٍ عندَ عامَّة المسلمينَ، وغيرها من المسائل المشابهة.

والجاهلُ العاجزُ عنِ السؤالِ والعلمِ، أَو عدمُ وجود مَن يُعَلِّمُهُ؛ غيرُ الجاهلِ المتمكِّنِ المفرِّطِ التَّاركِ للواجب عليه، أَو المعرض عن طلب العلم الشرعيِّ، أَو المتكبِّر عنه، أَو الغافلُ عنهُ والمنشغلُ بلهو الحديثِ، أَو المقلِّدُ ما وجدَ عليه آباءهُ؛ فهذا لا عذرَ لَهُ عندَ اللهِ تعالىٰ؛ لأَنَّ الجهلَ عذرٌ مؤقَّتٌ - عندهم - ومقيَّدٌ بعدم توفُّرِ بعضَ شروطه؛ فإِذا وُجدت هذه الشُّروطُ؛ فالجهلُ لا يكونُ عذرًا حينها؛ بل يصبحُ ذمًّا وحجةً علىٰ صاحبِهِ.

ثالثًا- الْخَطَأُ:

اتَّفق أَئمَّةُ أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ علىٰ أَنَّ الخطأَ غيرُ المقصودِ من موانعِ التَّكفير في المسائل العلميَّة والعمليَّة؛ إذا كان الخطأُ اجتهادًا لطلبِ الحقِّ، ومتابعةَ النبيِّ ﷺ، وغيرَ مقصودٍ لمخالفة الشَّرعِ؛ فهو خطأٌ مغفورٌ، ما لم تقم الحُجَّةُ علىٰ صاحبه، وأَنَّ حكمَهُ حكمُ الجاهل والمتأَوِّل؛ فلا يُكَفَّر إلاَّ بعد قيامِ الحجَّةِ عليه، وإن كانَ مجتهدًا فيما يسوغُ فيه الاجتهادُ؛ فله أَجرُ الاجتهادِ ولو أَخطأَ، وأَمَّا إِن لم يكُنْ مجتهدًا، وأَخطأَ؛ فيأْثمُ لتفريطه.

لأَنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - أَمرَ المسلمين بطلبِ الحقِّ علىٰ قدْرِ وسْعِهِم وإمكانِهم، ولم يُكَلِّفهم ما لا يُطيقونَ؛ فإن لم يصيبوا الحقَّ في اجتهادهم؛ فلا يُكَلِّفُ اللهُ نفسًا إلاَّ وسعَها، وهذا من كمالِ رحمته - جلَّ وعلا - بعباده المسلمين، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا...﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

وقالَ النَّبيُّ ﷺ : « إنَّ اللهَ تَجاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الخَطأَ وَالنِسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ »(١) .

وقالَ ﷺ : « إذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ؛ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ؛ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ »(٢) .

وقالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ ، رحمهُ اللهُ : (وأمَّا التَّكفيرُ: فالصَّوابُ أنَّه من اجتهدَ من أُمَّة محمَّدٍ ﷺ وقصدَ الحقَّ ، فأخطأ لم يُكَفَّرْ؛ بل يُغفرُ لَهُ خطأُهُ ، ومَن تبيَّنَ له ما جاء به الرَّسُولُ؛ فشاقَّ الرَّسُولَ من بعدِ ما تبيَّن له الهُدىٰ واتَّبعَ غير سبيل المؤمنين: فهو كافرٌ، ومَن اتَّبعَ هواهُ وقَصَّر في طلبِ الحقِّ وتكلَّم بلا علمٍ فهو عاصٍ مذنبٌ ثُمَّ قد يكونُ فاسقًا وقد يكونُ له حسناتٌ ترجحُ علىٰ سيئاتِهِ . فالتَّكفيرُ: يختلف بحسبِ اختلافِ حالِ الشَّخصِ)(٣) .

وقالَ : (وأَجمعَ الصَّحابةُ ، وسائرُ أئمَّة المسلمينَ : علىٰ أنَّه ليس كلُّ مَن قال قولاً أخطأَ فيه أنَّه يُكَفَّر بذلك ، وإن كان قوله مخالفًا للسُّنَّة ؛ فتكفيرُ كلِّ مخطيءٍ خلافُ الإجماعِ ؛ لكنْ للنَّاس نزاعٌ في مسائل التَّكفير، قد بُسطتْ في غيرِ هذا الموضوع)(٤) .

---

(١) « رواه ابن ماجة » في (كتاب الطلاق) باب : « طلاق المكره والناسي » وصحّحه الألباني.
(٢) « رواه البخاري » في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة) باب : « أجر الحاكم إذا اجتهد ».
(٣) « مجموع الفتاوىٰ » ج١٢، ص١٨٠ . (٤) « مجموع الفتاوىٰ » ج٧، ص٦٨٥ .

رابعًا- التَّأويلُ:

التَّأويلُ: المقصودُ منه هنا هو وضعُ النصِّ الشَّرعيِّ في غير موضعه، ومناقضًا لمدلوله؛ باجتهادٍ سائغٍ، أَو بتقليدٍ، وهو التلبُّسُ والوقوعُ في الكُفرِ متأوِّلاً من غير قصدٍ لذلك؛ سواءٌ كان بالاعتقاد، أَو القول، أَو العمل.

● فقد اتَّفق أئمَّةُ أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ على أَنَّ التأويلَ السائغَ - الذي له وجهٌ في العلم، واللُّغة العربية، وأَن لا يكونَ في أُصول الدِّين - يُعتبرُ من أَوسعِ موانع تكفير المعيَّن؛ إِذا كان سببُهُ القصور والخطأَ في فهمِ الأَدلَّة والنُّصوصِ الشرعيَّة، أَو خفائها عليه، أَو أَنَّ النَّصَّ يتحملُ هذا الفهمَ من جهة مدلولاته اللُّغوية، أَو الاستنادِ إِلىٰ الشُّبه التي تصرفُ عن اتِّباع الحقِّ والصِّراط القويم؛ دون تَعمُّدٍ للمخالفة، أَو المعارضة، أَو التكذيب، أَو الرَّدِّ، أَو العناد، أَو أَن يكون متلاعبًا بالنُّصوص الشرعيَّة علىٰ محض الشَّهوة واتباع الهوىٰ؛ بل اعتقادُ العكسِ أَنَّه قد أَصابَ مرادَ الشَّارعِ، وبأَنَّ الحقَّ معهُ، والتزمَهُ بذلكَ بنيَّة الوصول إِلىٰ الحقِّ، وغالبًا ما يكونُ هذا النوعُ من التأويلِ الخاطئِ في الأُمورِ الخفيَّةِ التي يكون العلمُ فيها غيرُ الظَّاهر.

وهذا النوعُ من التأويلِ؛ حكمُه من حيثُ العمومِ حكمُ الجاهلِ؛ لذلكَ فإنَّ الأدلَّة التي جاءت في عذر الجاهل، نفسَها تنطبق علىٰ المتأوِّل باعتبار اتفاق مناط الحكم بينهما.

وهذا النوعُ من المتأوِّل إذا أخطأَ، مع حُسنِ الاعتقادِ، وقصدَ موافقةَ الشَّريعةِ، وكانَ من أهلِ الإيمانِ والصَّلاحِ؛ فهو معذورٌ حتىٰ تُقامَ عليه الحجَّة، وتزولَ عنه شُبهةُ التأويل، وما أشكَلَ عليه فهمُهُ من النَّصِّ، أو ملابساتٌ أحاطت به، وإذا تبيَّن له الحقُّ رجعَ إليه؛ فإنَّ هذا التأْوُّلَ معفوٌّ عنه؛ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ.

وهذا النوعُ من التأْويلِ كثيرُ الوقوع في الأُمَّة - حتَّىٰ وقعتْ في عهد الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم - وهو مذمومٌ؛ إذا لم يُعطِّلْ بعضَ أحكامِ الشريعة المعلومة من الدِّين بالضرورة، ولكن يؤدِّي إلىٰ المخالفةِ دونَ القصدِ؛ فهوَ من قُبَيْلِ الخطإِ الذي غالبًا ما يكونُ سببُهُ الجهلُ، أو هو يكون سببًا للجهلِ. وإن كانَ ممَّا يعطِّلُ بعضَ أحكامِ الشَّريعةِ؛ فهو أشدُّ ذمًّا؛ لأنَّه من أُصول الضلال والانحراف، وذريعةٌ للغلوِّ في الدِّين، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ

بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[١].

● واتَّفقَ أئمَّةُ أَهلِ السُّنَّة والجماعة - أَيضًا - علىٰ أَنَّ هنالكَ تأويلاتٍ لا يعذر بها، ولا تكونُ مانعًا من التَّكفير؛ كتأويلاتِ الباطنيَّة، والفلاسفة، وغيرهم من الغُلاة؛ لأَنَّ حقيقةَ أَمرهم هي تكذيبٌ للدِّين جملةً وتفصيلاً، أَو التكذيبُ لأَصلٍ لا يقوم الدِّينُ إلاَّ به، أَو استحلالِ المحرَّمات الظَّاهرة المتواترة، أَو جحد وجوب المحرَّمات الظَّاهرة المتواترة، أَو عدمِ عبادةِ اللهِ وحدَهُ؛ كإنكار الفلاسفة لحشر الأَجساد، وقولهم إنَّ اللهَ تعالىٰ لا يعلم الجزئيات، أَو القولُ بتحريفِ القرآنِ، أَو اعتقادُ النفعِ والضرِّ في الأَمواتِ؛ كما يفعلُهُ غُلاةُ القبوريِّين.. ونحوِ ذلكَ من الاعتقاداتِ الغاليةِ التي لا تعتمد علىٰ أُصولٍ شرعيةٍ.

قالَ العلاَّمةُ ابنُ الوزيرِ اليماني، رحمه الله تعالىٰ:

(لا خلافَ في كفرِ مَن جحدَ ذلك المعلومَ ضرورةً للجميعِ، وتَستَّرَ باسمِ التأْويل، فيما لا يمكنُ تأْويلُه؛ كالملاحدة في تأْويل جميع الأَسماء الحُسنىٰ؛ بل جميع القُرآن والشَّرائع، والمعاد الأُخرويِّ من البعث، والقيامة والجنَّة والنَّار)[٢].

---

(١) سورة الأَحزاب، الآية: ٥ .
(٢) «إيثار الحق علىٰ الخلق» فصل في ذكر من يقول بالرجاء ومن يقول بالإرجاء؛ ص٣٧٧ .

وقالَ العلأمةُ الملأ عليٌ القاري الحنفيُ، رحمهُ اللهُ تعالىٰ:

(وأمَّا مَن يُؤَوِّل النُّصوصَ الواردةَ في حشرِ الأَجسادِ، وحُدوث العالم، وعلم الباري بالجزئيات؛ فإنَّهُ يكفرُ، لما علم قطعًا من الدِّين أنَّها علىٰ ظواهرها، بخلاف ما ورد في عدم خلود أَهل الكبائر في النَّار؛ لتعارض الأَدِلَّة في حقِّهم)[١].

وقالَ قوامُ السُّنَّة الإمامُ إسماعيلُ الأَصفهانيُ، رحمه الله:

(المتأَوِّلُ إذا أَخطأَ، وكانَ من أَهلِ عقد الإيمان؛ نُظِرَ في تأويله؛ فإن كان قد تعلَّقَ بأَمر يفضي به إلىٰ خلاف بعض كتاب الله، أَو سُنَّةٍ يَقطعُ بها العذرُ، أَو إجماعٍ؛ فإنَّه يكفرُ ولا يُعذرُ؛ لأَنَّ الشُّبهةَ التي يتعلَّقُ بها من هذا ضعيفةٌ لا يقوىٰ قوةً يُعذرُ بها؛ لأَنَّ ما شهدَ له أَصلٌ من هذه الأُصول؛ فإنَّه في غاية الوضوح والبيان . . .)[٢].

---

(١) «شرح الفقه الأكبر» ص٧٠ .

(٢) «الحجة في بيان المحجة» ج٢، ص٥١٠ .

خامسًا- الإِكراهُ:

الإِكراهُ علىٰ الكُفرِ بالقول أَو الفعل بضوابطه وشروطِهِ الشَّرعيَّة؛ يُعتبرُ من موانعِ التَّكفير في حقِّ المعيَّنِ عندَ أَهلِ السُّنَّة والجماعة.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١)(*).

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَجاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الخَطأَ وَالنِسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»(٢).

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٢) «رواه ابن ماجة» في (كتاب الطلاق) باب: «طلاق المكره والناسي» وصحَّحه الألباني.

(*) قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (وأمَّا قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فهو استثناءٌ ممَّن كفرَ بلسانه، ووافقَ المشركين بلفظه مكرهًا؛ لما ناله من ضرب وأذىً، وقلبه يأبىٰ ما يقول، وهو مطمئنٌّ بالإيمان بالله ورسُوله. وعن ابن عبأس أنَّ هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر؛ حين عذَّبَهُ المشركون؛ حتَّىٰ يكفر بمحمَّد ﷺ فوافقهم علىٰ ذلك مكرهًا، وجاء معتذرًا إلىٰ النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية. وروىٰ ابن جرير عن أَبي عبيدة محمَّد بن عمار بن ياسر، قال: أخذَ المشركون عمَّار بن ياسر؛ فعذَّبُوه؛ حتىٰ قاربَهَم في بعض ما أَرادوا؛ فشكا ذلك إلىٰ النبيِّ ﷺ فقالَ النبيُّ ﷺ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قال: مطمئنًا بالإيمان، قال النبيُّ ﷺ: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ»، ولهذا اتَّفق العلماء علىٰ أنَّ المكره علىٰ الكُفر يجوزُ له أن يوالي إبقاءً لمهجته، ويجوز له أن يأبىٰ؛ كما كان بلال - رضي الله عنه - يأبىٰ عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل، وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لمَّا عذَّبه مسيلمةُ الكذَّابُ وقطعه إربًا إربًا، وهو ثابتٌ علىٰ ذلك، والأفضل والأولىٰ أن يثبُتَ المسلمُ علىٰ دينه، ولو أفضىٰ إلىٰ قتله).

● شروطُ الإكراهِ عند أهل السُّنَّة والجماعة:

ليسَ كلُّ مَن ادعىٰ الإكراهَ قُبِلَ منهُ؛ بل لا بُدَّ من شروطٍ تتوفَّر لدىٰ المكرَه ليكونَ الإكراهُ عذرًا شرعيًّا معتبرًا، ومن هذه الشُّروط:

١ـ أَن يكونَ المكرِه؛ قادرًا علىٰ تحقيقِ ما يهددُ به؛ إمَّا لولايةٍ، أَو تغلُّبٍ، أَو فرطِ هجومٍ.

٢ـ أَن يكونَ المكرَهُ؛ عاجزًا عن الدفاع عن نفسه؛ لا بمقاومةٍ شخصيَّةٍ، ولا باستغاثةٍ، ولا بفرارٍ؛ لأَنَّه متىٰ استطاع أَن يدفعَ عن نفسه بهذه الوسائل، ولم يفعل لا يعتبر مكرهًا.

٣ـ أَن يكونَ ما يهدَّدُ به في الإكراه ممَّا لا طاقةَ للمرءِ به؛ كالضرب الشديد يُفضي إِلىٰ هلاكه، أَو التَّعذيبِ الشديد؛ من قطعِ الأَعضاء، والتَّحريق بالنَّار، أَو القتل فعلاً؛ أَمَّا الشتمُ والسَّبُّ، والضربُ الذي يتحمله الإنسانُ؛ فليس بإكراه.

٤ـ أَن يكونَ التهديدُ فعليًّا، وليس مجرَّدَ إطلاقٍ لفظيٍّ، وأَن يغلِبَ علىٰ ظنِّ المكرَه؛ أَنَّهُ إذا امتنعَ أُوقِعَ ما هُدِّدَ بهِ فورًا لا محالةَ، وقد رُفع السَّيفُ فوق رأْسِهِ حتىٰ يتحققَ الإكراهُ، أَي أَن تكونَ العقوبةُ عاجلةً لا آجلةً؛ فلو قال المكرِهُ للمكرَهِ: إِن لم تفعل كذا وكذا سأَقتُلك غدًا، أَو بعده؛ لا يُعتبَرُ في هذه الحال مكرهًا.

٥- أَن تتعلَّقَ العقوبةُ ببدنِ المكرَه؛ لا بماله، أَو ببدن غيره من أقاربه؛ فلو قيل له: إن لم تكفرْ؛ قتلنا أباكَ، أَو أَخاكَ، أَو عذبناهُما، أَو أَخذنا مالَكَ وسلطانَكَ؛ فليس له أَن يَكْفُر، ولا يُعتبرُ مكرهًا؛ لأَنَّ العقوبةَ لم تقع في حقِّ نفسه.

٦- أَن لا يظهرَ علىٰ المكرَهِ ما يدلُّ علىٰ تماديه؛ فإن ما أُبيح للضَّرورة يقدَّر بقدرها؛ فإذا أُكرهَ علىٰ قولٍ، أَو فعلٍ مكفِّرٍ؛ فلا يزيد علىٰ القدر الذي يزولُ به البلاء.

فإذا كانَ حالُ المكرَه كما سبقَ؛ فحينئذٍ يجوزُ له القيامُ بما دُفعَ إليه بالتهديد، باعتباره في حالةِ ضرورةٍ شرعيَّة؛ ولا يأثم إن نطقَ بالكُفر أَو فَعَلَه؛ لأَنَّ في هذه الحالة ينعدمُ في الإنسان الرِّضا، ويفسُدُ الاختيارُ، وتنتفي الإرادةُ والقصد، أَمَّا ما دون ذلك؛ فيُدفعُ أَعظمُ المفسدتين بارتكاب أَدناهما.

ففي هذه الحالة لا يُكَفَّر المسلمُ؛ ما دامت الموافقةُ باللِّسان دونَ القلب، وعندَهُ من الكراهية والبغض للكفر وأَهله، وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان، وموقنٌ بحقيقته؛ لأَنَّ القلبَ لا سلطانَ للمخلوق عليه، والإكراهَ ينالُ الجوارحَ فحسب، وهذا شرطٌ لا بُدَّ منه، عند أَهل السُّنَّة والجماعة، ومجمعٌ عليه.

● الأَخذُ بالعزيمةِ والصَّبْر؛ أولىٰ من الأَخذ بالرُّخص:

أَجمع أَهلُ السُّنَّة والجماعة؛ علىٰ أَنَّ مَن أُكْرِهَ علىٰ الكُفر؛ فاختارَ الصبر حتَّىٰ قُتِل؛ أَعظمُ أجرًا عند الله تعالىٰ ممَّن اختارَ الرُّخصةَ؛ لأَنَّ الأَصلَ في الدِّينِ هو الصَّبرُ والثَّباتُ علىٰ الحقِّ، والإعذارُ بالتُّقية حالةٌ عارضةٌ لرفع الإثم والحرج فقط، وكذلك أَنَّ الأَخذَ بالعزيمةِ له منزلةٌ رفيعةٌ عند اللهِ - جلَّ وعلا - وأَولىٰ من الأَخذ بالرُّخص، ولو كانت مُباحةً، قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قامَ إلىٰ إمامٍ جائِرٍ؛ فَأَمَرَهُ وَنَهاهُ فقَتَلَهُ»[(١)].

قالَ ابنُ بطَّالٍ رحمه الله: (أَجمعوا علىٰ أَنَّ مَن أُكره علىٰ الكفر واختار القتل أنَّه أَعظمُ أَجرًا عند الله ممَّن اختار الرُّخصة)[(٢)].

* أَمَّا مَن نَطَقَ بالكُفر، وقالَ: قصدتُ المزاحَ؛ فهو كافرٌ ظاهرًا وباطنًا؛ كما أَجمعَ الأَئمَّةُ علىٰ ذلك، إذ حُكمُ الكُفرِ يلزمُ الجادَّ، والهازلَ، والمازحَ، وفي حالِ مشاجرةٍ، وفي حال غضبٍ علىٰ السَّواء، وفي الآخرة أَمرهم إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) أخرجه الحاكم في: «المستدرك» ج٣، ص١٩٥، وصحَّحه الألباني في: «السلسلة الصحيحة» ج١، ص٧١٦؛ برقم (٣٧٤).

(٢) «فتح الباري» ج١٢، ص٣٩٦، (كتاب الإكراه).

سادسًا- التَّقليدُ:

● التَّقليدُ هو: (التزامُ المكلَّفِ مذهبَ غيرِهِ بلا حجَّةٍ).

والتَّقليدُ لا يكونُ إلاَّ معَ عدمِ معرفةِ الدَّليلِ الشَّرعيِّ؛ لأَنَّه اتِّباعُ قولٍ، أَو عملِ الغيرِ من غير معرفة دليله الشرعيِّ، والتقليدُ في دين الله تعالىٰ بهذه الصورة؛ غيرُ صحيحٍ وغيرُ مقبولٍ.

● أَمَّا الاتباعُ؛ فهو الانقيادُ للدَّليل الشرعيِّ وليس لأَقوال الأَشخاص، وهو القولُ، أَو العملُ الذي أَوجبَهُ الدَّليلُ الشرعيُّ، أي: كلُّ مَن أَوجبَ عليكَ دليلَ اتِّباعِ قوله؛ فأَنتَ متبِعُهُ.

والاتِّباعُ هو الأَصلُ في الدِّين؛ لأَنَّه العمل بالوحيين، واتِّباعُ ما أَنزل الله تعالىٰ؛ أَمَّا التقليدُ فهو حالةٌ مستثناةٌ من الأَصل.

والتقليدُ - عند أَئمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة - نوعانِ:

١- التقليدُ المذموم: هو اتِّباعُ قولِ الغير من غيرِ معرفةِ دليله والتعصُّبُ له، وإن ظهر له الحقُّ من الوحيين ما يخالف مذهبَهُ الذي يقلِّده ومع ذلك يصرُّ علىٰ تقليد مذهبه. أَي: هو تقليدُ رجلٍ واحدٍ معيَّن دون غيره من العلماء في جميع أَقواله، أَو أَفعاله ولا يخرجُ عن أَقواله، ولو ثبتَ له عكسُ ذلك ولا يرىٰ الحقَّ إلاَّ فيه، وتلقِّي الأَحكامِ عنه واعتبار أَقواله كأَنَّها نصوصٌ شرعيَّةٌ يلزم المقلِّد اتباعُها.

٢ـ التقليدُ المباحُ: يكونُ في حقِّ العاميِّ الذي لا يعرفُ طُرقَ الأَحكام الشَّرعيَّةِ، ويعجزُ عن معرفتها، ولا يمكنُهُ فهمُ أَدلَّتها. ومثلُ ذلكَ: تقليدُ العاميِّ الجاهلِ بالشَّرعِ؛ عالمًا معتبرًا من علماء أَهل السُّنَّة الثقات، وهذا النوعُ من التقليد جائز لا خلافَ في ذلك بين أَهل العلم، وكانَ معروفًا حتىٰ في زمن النَّبيِّ ﷺ، ولكن هذا لا يمنعُ العاميَّ أَن يطلُبَ من مفتيه الدليلَ؛ لأَنَّ من حقِّ المسلم أَن يستوثقَ من الأَمر الذي سَيدينُ لله تعالىٰ به، وحتىٰ تطمئنَّ نفسُهُ، ولأَنَّه لا يجوز التقليدُ بأَيِّ حالٍ من الأَحوال في مسأَلةٍ ظهرَ دليلُها من الكتاب والسُّنَّة أَو إِجماع الأُمَّة، ولأَنَّ كلَّ اجتهادٍ يخالفُ النصَّ فهو اجتهادٌ باطلٌ.

وهذا النوعُ من التَّقليد يقومُ علىٰ اتِّباع الدَّليلِ الشرعيِّ، وهو ما عبَّر عنه العلماءُ بالاتِّباع؛ إِذ العاميّ لا يتَّبع شخصًا لقوله؛ بل يتَّبع دليلهَ الشَّرعيَّ، ولا خلافَ في جواز هذا النوع من التَّقليد.

فإذا جازَ هذا النوعُ من التَّقليد للعاميِّ؛ فإِنَّه لا يجبُ عليه أَن يقلد مذهبًا بعينه في كلِّ المسائل؛ فإِنَّ الحقَّ ليس محصورًا في مذهبٍ واحدٍ من المذاهب الإِسلاميَّة المعتبرة؛ بل عليه أَن يتحرَّىٰ الحقَّ ويتَّبعَ الأَقربَ للصواب، ويتَّقي الله تعالىٰ ما استطاعَ، فمتىٰ

ظهرَ له أنَّ الحقَّ في خلاف مذهبه وجبَ عليه الرجوعُ إليه؛ لأنَّ العملَ بالأدِلَّة الشرعيَّة هو الاتِّباعُ، وفي مقابل هذا؛ لا يجُوزُ للمسلم الصَّادقِ أن يتنقَّل بين المذاهب تتبُّعًا للرُّخَصِ، وبحثًا عن الأسهل على نفسه، والأقرب لهواه وغرضه؛ فإنَّ ذلك من التلفيق المذموم، والمنهيّ عنه شرعًا.

قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمهُ الله: (والذي عليه جماهيرُ الأُمَّة: أنَّ الاجتهادَ جائزٌ في الجملة، والتقليدَ جائزٌ في الجملة، لا يوجبونَ الاجتهادَ على كلِّ أحدٍ ويُحرِّمون التقليدَ، ولا يوجبون التقليدَ على كلِّ أحدٍ ويُحرِّمون الاجتهاد، وأنَّ الاجتهادَ جائزٌ للقادر على الاجتهاد، والتقليد جائزٌ للعاجز عن الاجتهاد؛ فأمَّا القادرُ على الاجتهاد فهل يجوز له التقليد؟ هذا فيه خلافٌ، والصحيحُ أنَّه يجوزُ حيثُ عجزَ عن الاجتهاد، إمَّا لتكافؤ الأدلَّة، وإمَّا لضيقِ الوقت عن الاجتهاد، وإمَّا لعدم ظهور الدليل له؛ فإنَّه حيثُ عجزَ سَقَطَ عنه وجوبُ ما عجزَ عنه، وانتقلَ إلى بدلِهِ وهو التقليدُ، كما لو عجز عن الطهارة بالماء. وكذلك العاميُّ؛ إذا أمكنه الاجتهادُ في بعض المسائل؛ جاز له الاجتهادُ؛ فإنَّ الاجتهادَ منصبٌ يقبلُ التَّجزِّي والانقسام، فالعبرةُ بالقدرة والعجز)[1].

(١) «مجموع الفتاوى» ج٢٠، ص٢٠٣.

● هل يكون التَّقليدُ عذرًا شرعيًّا؟

* ذهبَ جمهورُ أئمَّة أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ إِلىٰ جواز التقليد في العقائد والأَحكام للعاميِّ؛ الذي يعجز عن فهمِ الحجَّة، والنظر والاستدلال.

ويحرمُ التَّقليدُ علىٰ العالم، أَو طالبِ العلم الذي يستطيعُ النظرَ والاستدلالَ؛ إِذا اجتهدَ وبانَ له الحقُّ في المسأَلة أَن يقلِّدَ غيره، سواءٌ كان ذلك في العقائد أَو الأَحكام؛ لورود الأَدلَّة في ذمِّ التقليد والمقلِّدين.

* واتفقُوا – أَيضًا – علىٰ أَنَّ التقليدَ من موانع التكفير؛ لأَنَّ المقلِّدَ جاهلٌ لا يفهمُ الدليلَ أَو الحجَّةَ، ولا بصيرةَ له ولا فِقْهَ؛ فهو معذورٌ حتىٰ تُقامَ عليه الحجَّةُ ويُعَلَّمَ؛ حالُه في العذر كحال الجاهل والمتأَوِّل.

نواقض الإيمان

قد علمنا فيما سبقَ – من هذا الكتاب – مضمونَ الإيمانِ عند أهل السُّنَّة والجماعة: تعريفَهُ، حقيقتَهُ، شروطَهُ، أَركانَهُ، مراتبَهُ، درجاتِهُ، ثمراتِه، نِعَمَه، صفاتِ أَهله، وخوارمَهُ بالكبائر والذُّنوب، وعرفنا كلَّ ذلك على النَّحوِ الذي بيَّنه اللهُ تعالى لنا في كتابِه العزيز، وبيَّنَهُ رسُولُهُ الأَمينُ ﷺ في سُنَّتِهِ المطهَّرةِ، ومن خلالِ أقوالِ وفهم أئمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة وأَعلامهم المعتبرين.

وتبيَّنَ لنا أَنَّ الإيمانَ ليسَ مجرَّدَ تصديقٍ بالقلبِ، أَو اللِّسانِ، أو إظهارِ الإيمانِ وادعائِه؛ بل إِنَّ للإيمان لوازِمَ يُلزمُ بها صاحبُهُ، وشُروطًا وأَركانًا، ومقتضياتٍ يقتضيها؛ لا يتحقَّق الإيمانُ ولا يصحُّ إلَّا بها؛ فتبيَّنَ لنا – أَيضًا – من هذا الفهمِ الصَّحيحِ للإيمان:

أَنَّ الملتزمينَ العاملينَ الصَّادقينَ بأَوامرِ اللهِ تعالىٰ والمتباعدينَ عن نواهيه؛ هم الصَّادقون حقًّا وصدقًا في دعوى الإيمان، والسعيدُ مَن تمسَّكَ وعَمِلَ بهذا الإيمان؛ الذي كانَ يؤمنُ به النَّبيُّ ﷺ وأَصحابُهُ، والتَّابعونَ، ومَن تبعهُم بإحسانٍ.

والشَّقيُّ مَن صُرِفَ عن هذا الإيمانِ، وتركَ العملَ، أو تركَ بعضَهُ، أو تهاونَ فيه؛ بمداخلِ الشَّيطانِ وخُطواته؛ من جهلٍ، وتأويلٍ، وشُبهة، واتِّباعٍ للهوىٰ؛ فهو في الحقيقةِ من الكاذبينَ الغاشِّين لأنفسهم لا غيرَ؛ فإذا تبيَّنَت لنا حقيقةُ الإيمانِ علىٰ النَّحوِ الذي رضيَه لنا رَبُّنَا تعالىٰ وجبَ علينا أن نعرفَ أنَّ هذه الحقيقةَ لها نواقضُ تنقُضُ عُراها، عروةً عروةً؛ حتىٰ تُعرِّي صاحبها منها!

فالعبدُ المسلِمُ قد يُتَّصَفُ بحقيقةِ الإيمان كما بيَّنها أهلُ السُّنَّة والجماعة، ولكن قد يَطرأُ عليه اعتقادٌ، أَو قولٌ، أو عملٌ، أو شكٌّ يُخرجُهُ من حقيقةِ الإيمان إلىٰ دائرة الكُفرِ وهو لا يشعُرُ!!

معرفةٌ مهمةٌ لا بُدَّ منها !:

اعلم - أخي الموحِّد - علَّمنا اللهُ تعالىٰ وإيَّاكَ الإيمانَ الخالِص:

أَنَّ الإيمانَ - عند أَهلُ السُّنَّة والجماعة - كما علمنا مِمَّا سبق: اعتقادٌ، وقولٌ، وعملٌ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ، وينقصُ بالمعاصي، ويقبل التَّجزِئَةَ والتَّبعيضَ من حيث العملِ به والقيامِ بواجباته، وبقليله يُخرجُ اللهُ تعالىٰ من النَّار مَن دخلَها؛ فمرتكبُ الكبيرةِ لا يخرجُ من الإيمان فهو مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ؛ مؤمنٌ بإيمانِهِ، وفاسقٌ بكبيرته، وفي الآخرة تحتَ مشيئة الله تعالىٰ؛ إن شاءَ غفرَ لَهُ وإن شاءَ عذَّبه.

أمَّا الإيمانُ من حيثُ الاعتقادِ به، وتصديقُ بما جاءَ من عندِ الله تعالىٰ وقبولُهُ والتَّسليمُ لَهُ؛ حقيقةٌ كُليَّةٌ بأركانها ومُسمَّاها لا تقبَلُ التَّجزِئَةَ والتَّبعيضَ، وتندَرِجُ تحتها فروعٌ كثيرةٌ؛ يجبُ الإيمانُ بجميعها جملةً واحدةً؛ كما أَمرنا الله تعالىٰ بالإيمان بها؛ فإنكارُ أيِّ فرعٍ من فروعِها، أَو جزءٍ من أَجزائها، أَو مسأَلةٍ من مسائلِهَا؛ هو كُفرٌ ببقيَّةِ الفروعِ والمسائلِ وخروجٌ من دائرةِ الإيمانِ إلىٰ حظيرةِ الكُفرِ؛ إذا وجِدَت الشُّروطُ، وانتفَتِ الموانعُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[(1)].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[(2)].

ففي هذه النُّصوصِ ـ وغيرُها كثيرةٌ ـ دلالةٌ واضحةٌ وصريحةٌ علىٰ أَنَّ الإيمانَ والالتزامَ يجبُ أَن يكونَ كليًّا غيرَ منقوصٍ، والإيمانُ لا يقبل التجزئةَ في عناصرِهِ، وأَركانِهِ، ومسمَّاه.

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٥ . (٢) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ ـ ١٥١ .

والإيمانُ يَنتقِضُ بانتقاضِ عنصرٍ واحدٍ من عناصرِهِ؛ فمَن طَعَنَ في مسألةٍ جزئيةٍ من مسائِلِه، أَو استحلَّ المعصيةَ، أَو اعترضَ علىٰ أيِّ شَعيرةٍ من شعائرِ الإسلامِ أَو حكمِهِ؛ كأنَّما طعنَ في الإيمانِ كلِّه؛ إذا كانَ ذلكَ عن غيرِ شُبْهَةٍ ولا تأْويلٍ، وانتفتِ الموانعُ، ووجدتْ الشُّروطُ.

فالإيمانُ ليس أَجزاءَ مفرَّقةً مُبَعْثَرةً نستطيعُ أَن نأْخذَ من أَركانها وعناصرها ما نشاءُ، ونتركَ ما نشاءُ، ثمَّ نبقىٰ في دائرةِ الإيمانِ!

فإنَّ مَن قالَ قولاً، أَو فعلَ فعلاً، أَو اعتقدَ أَمرًا؛ يدلُّ علىٰ إنكارِ شيءٍ من عناصرِ الإيمانِ، أَو أَجزائِهِ، أَو أَركانِهِ؛ فقدْ نقضَ إيمانَهُ، وخرجَ من دائرةِ الإسلامِ، وتُطبَقُ عليه أَحكامُ الرِّدَّة، ولو أَتَىٰ ببعض أَجزاءِ الإيمانِ؛ مع وجودِ الشُّروطِ، وانتفاءِ الموانعِ.

وإذا لم يَتُبْ يكونُ من المخلَّدينَ في النَّارِ، والعياذُ بالله.

ونواقضُ الإيمانِ الاعتقاديَّةُ والقوليَّةُ والعمليَّةُ التي يُكَفَّر بها صاحبُها كثيرةٌ جدًّا لا يمكنُ حصرُها هنا في هذا الكتاب المختصر، ولذلكَ سأُورِدُ أُصولَ هذِهِ النَّواقِضِ، وبعضَ الأَمثلة عليها.

نواقض الإيمان وأنواعها

بعد أَن علمنا أَنَّ هنالك نواقضَ للإيمان؛ يجبُ أَن نعلَمَ أَنَّ هذه النواقضَ أَعظمُ الذُّنوب علىٰ الإطلاق؛ فمَن ارتكبَ ناقضًا من تلكَ النواقضِ، أَو وقعَ فيها؛ فإِنَّها تنقُضُ إِيمانَه وتهدِمُه؛ لأَنَّه لا يبقىٰ إِيمانٌ مع وجودِ أَحدِ هذهِ النواقض؛ فهي تُحْبِطُ جميعَ الأَعمالِ الصَّالحة، وتُخرِجُ صاحبَها من دائرةِ الإسلامِ إلىٰ حظيرةِ الكفر، وإِنَّ اللهَ تعالىٰ لا يغفرُ لمنْ ماتَ عليها؛ بل صاحبُها مخلَّدٌ في نارِ جهنَّمَ إِلىٰ أَبَدِ الآبدِينَ والعياذُ بالله، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِن نَاصِرِينَ ﴾(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩١ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥ .

ولخطورة هذه النواقض؛ وجبَ علينا معرفتُها، والعلمُ بها، وبدقائق أُمورِها، ومعرفةِ أَنواعِها وأَشكالِها وحالاتِها.

وهذه النَّواقضُ تقَعُ؛ بالاعتقادِ والقولِ والعملِ، والتي تهدمُ أَركانَ الإيمانِ وتنقُضُ عُرَاهُ، وتنقلُ صاحبَهُ إِلىٰ الكفرِ بعدَ الإيمانِ.

واعلم: أَنَّ منهجَ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ وسطٌ في تحديدِ هذه النَّواقض: بينَ الغالي الذي تشدَّدَ في هذه النَّواقض، وأَدخلَ فيها ما ليس منها.

وبين الجافي الذي تساهلَ في أَمر هذه النَّواقضِ، وجعلَها مجردَ محرماتٍ أَو كبائرَ؛ لا تُخرِجُ صاحبَه من الإسلام.

ويمكنُ حصرُ هذه النُّواقِضِ وتلخيصُها في النِّقاطِ التَّالية:

١ـ نواقضُ توحيدِ اللهِ تعالىٰ في ربوبيَّته.

٢ـ نواقضُ توحيدِ اللهِ تعالىٰ في أُلوهيَّته.

٣ـ نواقضُ توحيدِ اللهِ تعالىٰ في أَسمائه وصفاته.

٤ـ نواقضُ عمومِ الدِّين.

١ـ نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في ربوبيَّته :

● توحيد الربوبيَّة : (هو الإقرارُ بأنَّ الله تعالىٰ رَبُّ كلِّ شيءٍ ومالِكُه وخالِقُه ورازِقُه، وأنَّه هو المحيي والمميتُ النَّافعُ الضَّارُّ المتفرِّدُ بإجابة الدُّعاءِ عندَ الاضطرار؛ الذي له الأمرُ كلُّه، وبيدِهِ الخيرُ كلُّه؛ القادرُ علىٰ كلِّ شيءٍ، ليسَ له في ذلكَ شريكٌ) .

وخُلاصَتُهُ هو: « توحيدُ الله تعالىٰ بأفعاله » .

إذن فكلُّ اعتقادٍ، أَو قولٍ، أَو فعلٍ؛ فيه إنكارٌ لوجود الخالق الصانع الرَّازق المحيي المميت تعالىٰ، أَو فيه إنكارٌ لخصائِصِ ربوبيَّة اللهِ ـ جلَّ وعلا ـ أَو بعضِهَا؛ كفرٌ وردَّة، أَو ادِّعاءُ شيءٍ من هذه الخصائِصِ لأَحدٍ من خَلْقِهِ؛ كادِّعاء الربوبيَّة، كما قالَ فرعونُ:

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾[١] .

أَو ادِّعاءُ خالقٍ مشارِكٍ للهِ تعالىٰ في الخلق والإيجاد، وإن لم يكن مساويًا له من كلِّ وجهٍ، أَو ادِّعاءُ المُلْك، أَو الرِّزق، أَو التَّصرفُ من دون اللهِ تعالىٰ، وغيرها من الأُمورِ التي هي من أَفعال الله تعالىٰ وخصائِصِه، وكذلكَ يَكْفُرُ مَن يُصدِّقُ بهذه الدَّعوىٰ.

ومَن ماتَ، وقد وقعَ في شيءٍ من ذلك؛ فقد ماتَ علىٰ

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤ .

الشِّركِ، وهو شركُ الربوبيَّة، ودخلَ تحتَ قولِ اللهِ تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾(١).

ولأَنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ التَّوحيدَ وعدمَ الشِّركِ في عبادته؛ شرطًا لرضوانه، ودخولِ جنَّته؛ جنة النَّعيم، فقال تعالىٰ:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(٢).

والشِّركُ باللهِ تعالىٰ؛ أَعظمُ الذُّنوب إِطلاقًا؛ لأَنَّه تشبيهُ المخلوق العاجز الفقير؛ بالخالق القادر الغنيِّ في خصائصه، وهذا من أَقبح التَّشبيه، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(٣).

ومن الأَمثلة علىٰ الشِّرك في توحيد الرُّبوبيَّة:

- الاعتقادُ: بأَنَّ لله – تبارك وتعالىٰ – شريكًا في الخلْق، والرِّزق، والإِحياء، والإِماتة، والتَّدبير.
- الاعتقادُ: بأَنَّ الأَولياءَ لهم تصرُّفٌ في الكون مع اللهِ تعالىٰ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨ . (٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠ .

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٣ .

● اعتقادُ: تأثيرِ وتَصرُّفِ غيرِ الله تعالىٰ؛ من الأَبراج، والكواكب، ومساراتها، ومواقعها علىٰ حياةِ النَّاس.

● الاعتقادُ: بأَنَّ المخلوقَ يمكنُهُ أَن يَرزُقَ المخلوقَ، أَو يمنَعَ عنه الرِّزقَ، أَو يمكنه أَن يَضُرَّ، أَو ينفَعَ من دونِ الله تعالىٰ.

● الاعتقادُ: بأَنَّ أَحدًا من دونِ الله تعالىٰ يعلمُ الغيبَ.

● اعتقادُ: حلولِ الله تعالىٰ في خلقه، أَو أَنَّ اللهَ - جلَّ في عُلاه - في كلِّ مكانٍ بذاته سبحانه.

● الاعتقادُ: بأَنَّ الشِّفاءَ من الطَّبيبِ أَو من الدَّواء، أَو اعتقادُ التَّوفيقِ في حياة العبد من ذكائه، أَو جُهْدِهِ واجتهادِهِ من دون الله تعالىٰ.

● الاعتقادُ: بأَنَّ للمخلوقِ حقًّا في سَنِّ القوانينِ وتشريعِهَا، وهي تلك النُّظُمُ التي تحكُمُ في أَموالِ النَّاسِ وأَعراضِهِم.

وغيرُها من الاعتقاداتِ التي تُناقِضُ الإيمانَ وتُبطلُه.

٢- نواقضُ توحيدِ الله تعالىٰ في أُلوهيَّته:

توحيدُ الأُلوهيَّة: هو إفرادُ اللهِ تعالىٰ بأفْعَالِ العِبَادِ.

ويُسَمَّىٰ أيضًا: «توحيدُ العبادةِ». ومعناهُ الاعتقادُ الجازمُ والإيمانُ التَّامُ؛ بأَنَّ اللهَ تعالىٰ هو الإلهُ الحقُّ ولا إلهَ غيره، وكلُّ معبودٍ سواهُ باطلٌ، وإفرادُه تعالىٰ بالعبادةِ والخضوعِ والطَّاعةِ المطلقةِ، وأَن لا يُشركَ بهِ أَحدٌ كائناً مَن كانَ، ولا يُصْرَفُ شيءٌ من العبادةِ لغيرهِ تعالىٰ، وأَن يُعْبَدَ اللهُ بالحُبِّ والخوفِ والرَّجاءِ جميعًا، وعبادتُه ببعضها دونَ بعضٍ ضلال، قال الله تعالىٰ:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[١].

وجميعُ الأَنبياءِ والرُّسُلُ - عليهم الصَّلاةُ والسَّلام - كان أَوَّلُ دَعوتِهِمْ إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، والبراءةِ من الشِّرك بجميع أَنواعِهِ، وأَلوانِهِ، وصُوَرِهِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾[٢].

فمَنِ اعتقدَ غيرَ هذا الذي آمنَ به المؤمنونَ، أَو قالَ قولاً، أَو

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦ .

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦ .

فعلَ فعلاً، يُنافي هذا المعنىٰ، أَو أَنكرَ حقَّ اللهِ تعالىٰ في أُلوهيَّته، أَو انتقصَ شيئًا منه، أَو صرَفَ شيئًا منه لغيره؛ فقد كفَرَ، وارتدَّ عن الإسلام؛ إِذا وجدتِ الشُّروطُ، وانتفت الموانع.

فأكثرُ الأُممِ السَّابقةِ، وأَكثرُ النَّاسِ في الإسلام - أيضًا - وقَعُوا في الشِّرك، أَو الكُفرِ في توحيدِ الأُلوهيَّة؛ لأَنَّهم لم يكُونُوا ينكِرُونَ ربوبيَّةَ الله تعالىٰ؛ بل أَقرُّوا بأَنَّ الله تعالىٰ هو الرَّبُّ والخالقُ والرَّازقُ والمحيي والمميتُ، ولكنَّهم صرَفُوا شيئًا من العبادةِ لغيرِهِ تعالىٰ؛ فجعلَهُم اللهُ في عِداد الكافرينَ بإِشراكهم غيرَهُ في العبادة.

وعبادةُ اللهِ تعالىٰ وحدَهُ لا شريكَ له؛ هي غايةُ الخالقِ من خلْقِ عباده، ولذلكَ هي موضوعُ الامتحانِ للعبادِ في الدُّنيا؛ إِذن نفيُ استحقاقِ الخالقِ للعبادةِ، وإِثباتُها لغيره من مخلوقاته؛ ناقضٌ للإيمان والإسلام؛ فكلُّ اعتقادٍ، أَو قولٍ، أَو عملٍ؛ يتضمَّن أَحدَ هذين الأَمرين يُخرجُ صاحبَهُ من الإسلام، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[١].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

الأَمثلةُ من نواقضِ الإيمانِ في توحيدِ الأُلوهيَّة والعبادة :

● عَدَمُ إفرادِ الله – تبارك وتعالىٰ – بالنُّسُكِ والشَّعائر :

هو عبادةُ أَحدٍ مع الله – تبارك وتعالىٰ – أَو دونَ اللهِ سبحانه؛ كالصَّلاة والرُّكوعِ، والسُّجودِ، والصَّومِ، والطَّوافِ، والذَّبحِ، والنَّذرِ، والخشوعِ، والتَّذلُّلِ؛ لغيرِ الله تعالىٰ.

أَو دعاءِ غير الله تعالىٰ، أَو الدُّعاء مع الله – جلَّ وعلا – أَو الاستغاثة بغيره تعالىٰ في جلبِ خيرٍ، أَو دفع ضرٍ.

أَو التَّوَكُّلِ علىٰ غيره – سبحانه وتعالىٰ – أَو الاستعاذة بغيره، أَو الخوف من غيره تعالىٰ، أَو الرَّجاء، أَو الخضوع لغيره.

أَو التَّقرب إلىٰ غيره تعالىٰ؛ بأَيِّ نوعٍ من أَنواعِ العبادة، أَو طاعة غير الله تعالىٰ الطاعةَ المطلقة.

● عدمُ إفرادِ اللهِ – تبارك وتعالىٰ – بالولاءِ والمحبَّة :

أَي : حبُّ غيرِ الله – تبارك وتعالىٰ – كحُبِّ الله، أَو تعظيمُ غيره؛ كتعظُّيم الله تعالىٰ؛ سواءً كان هذا المعَظَّمُ، أَو المدعُو ملكًا، أَو نبيًّا، أَو وليًّا، أَو قبرًا، أَو حَجرًا، أَو شَجَرًا.

• عدمُ إفرادِ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - بالحكم والتَّشريع :

كالطَّاعة والانقيادِ لغير الله - تبارك وتعالىٰ - في امتثالِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهيه، أَو الاعتقادُ بأَنَّ لشخصٍ حقَّ تشريعِ ما لم يأذن به اللهُ تعالىٰ؛ مِنَ التَّحليلِ والتَّحريمِ وسَنِّ القوانين، أَو الاعتقادُ بأَنَّ شَرْعَ اللهِ تعالىٰ لا يصلُحُ لهذا الزَّمانِ، أَو لهذا المكان .

قال الله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾[1] .

وقال تعالىٰ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدِينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] .

واعلم أَخي المسلم: أَنَّه يَكْفُرُ مَن أَتىٰ شيئًا من هذهِ النَّواقضِ، أَو رضيَ بها، أَو عَمِلَ بعضها، أَو غير ذلك من النَّواقضِ الَّتي تَخُصُّ توحيدَ العبادة .

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠ .
(٢) سورة الشورىٰ، الآية: ٢١ .

٣- نواقضُ توحيدِ اللهِ تعالىٰ في أسمائه وصفاته:

توحيدُ الأَسماءِ والصِّفاتِ: هو الاعتقادُ الجازِمُ بأنَّ اللهَ تعالىٰ له الأَسماءُ الحسنىٰ والصِّفاتُ العُلىٰ، وهو متَّصِفٌ بجميعِ صفاتِ الكمالِ المطلَقِ من جميعِ الوجوهِ بنُعُوتِ العظَمَةِ والجلالِ والجمالِ، ومنزَّهٌ عن جميعِ صفاتِ النَّقص متفرِّدٌ بذلك عن جميعِ الكائنات.

وأَهلُ السُّنَّة والجماعة: يَعْرِفُونَ ربَّهم - جلَّ وعلا - بصفاته الواردةِ في القرآن والسُّنَّة، ويَصفُونَ ربَّهم بما وصفَ به نفسَه، وبما وصفهُ به رسولُهُ ﷺ ولا يُحرِّفُون الكَلِمَ عن مواضِعِهِ، ولا يُلحدُون في أَسمائه وآياته، ويُثبتون لله ما أَثبتَهُ لنفسه من غيرِ تمثيلٍ، ولا تَكْييفٍ، ولا تَعْطيلٍ، ولا تَحْريفٍ، وقاعدتُهم في كلِّ ذلك قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

فمَن انتقَصَ شيئًا ممَّا أَثبتَهُ اللهُ لنفسه أَو نفاهُ، أَو أَثبتَ لله تعالىٰ شيئًا ممَّا نفاه عن نفسه؛ فقد كَفَر، مع وجود الشُّروط وانتفاء الموانع، وقوادِحُ توحيدِ الأَسماءِ والصِّفاتِ: هي التَّشبيهُ، والتَّعطيلُ، وتسميةُ اللهِ تعالىٰ، أَو وصفُه؛ بما لا يَليقُ به سبحانه.

ومن الأَمثلة علىٰ ذلك:

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ١١.

• إنكارُ أَو جَحْدُ أَسماءِ الله، أَو صفاتِه، أَو بعضِ أَسمائه، أَو بعضِ صفاته، أَو إثباتُ صفاتٍ لله تعالىٰ نفاها اللهُ عن نفسه.

• الإلحادُ في أَسماءِ الله تعالىٰ وصفاته، أَو نفيُها، أَو جحدُ معانيها، أَو تحريفُها عن الصَّوابِ، أَو تعطيلُ الله تعالىٰ عن صفاتِ كمالِهِ، ونُعوتِ جلاله؛ الثابتة في الكتاب والسُّنَّة كما يقولُ الجهميَّةُ: إنَّها أَلفاظٌ مجرَّدَةٌ لا تتضمَّنُ صفاتٍ ولا معاني.

• تسميةُ الله تعالىٰ بما لا يَليقُ بجلاله كتسمية النصارىٰ له: أَبًا أو كتسمية الفلاسفة الله تعالىٰ: موجِبَ الوجودِ بذاته أَو عِلةً فاعلةً.

• وصفُ الله تعالىٰ بما يتعالىٰ عنه؛ كقول أَخبثِ اليهود: إِنَّ اللهَ فقيرٌ. أَو إِنَّه استراحَ بعد أَن خلقَ خلقَه، أَو يَدُ اللهِ مغلولةٌ.

• تشبيهُ صفات الله - جلَّ وعلا - بصفاتِ خَلْقه.

أَو وَصْفُ الله تعالىٰ بصفةٍ يجبُ تنزيهُهُ عنها، مثل: أَن يزعُمَ أَنَّ لله تعالىٰ شريكًا، أَو ولدًا، أَو يصِفُهُ - سبحانه - بالنَّومِ، أَو السِّنَة، أَو الغفلةِ؛ تعالىٰ الله عمَّا يقولُ المشبِّهُونَ علوًّا كبيرًا.

إلىٰ غيرِ ذلك؛ من صفاتِ النَّقص التي تَعْتَرِي ابنَ آدمَ.

٤ـ نواقضُ عمومِ الدِّين:

الـدِّينُ الإسلاميُّ هـو الـتَّـشـريعُ الإلـهيُّ؛ سـواءً كـان من الاعتقاداتِ، أَو العباداتِ، أو المعاملاتِ، أو الأَخلاقِ، وهو أوامرُ اللهِ تعالىٰ ونواهيه، والله تعالىٰ هو وحدَهُ الذي يعلمُ ما يَصْلُحُ لعبادِهِ، وما يُفْسِدُهُمْ؛ كيفَ لا، وهو خالِقُهُم ومربِّيهم سبحانه.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾(١).

فالتشريعُ الإلهيُّ؛ واجبٌ وفرضٌ علىٰ كلِّ مَن يَعْقِل، لا يجوزُ مخالفَتُهُ البتَّةَ، بأَيِّ شكلٍ من الأَشكال؛ لأَنَّه الغايةُ والمقصودُ من خلقِ العبادِ، وإلاَّ أَصبحَ خَلْقُهم عبثًا وهملاً، قال الله تعالىٰ:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾(٢).

ومخالفةُ أحدِ أَوامرَ اللهِ سبحانَه، أَو مخالفتُها بالكليَّة؛ سواءٌ عندَ اللهِ تعالىٰ، وكذلك الاعتراضُ علىٰ أَوامرِهِ، أَو علىٰ أَحدِها؛ اعتراضٌ عليه سبحانه وتعالىٰ؛ وهذا كفرٌ ورِدَّة.

فإنَّ مقتضىٰ الإيمانِ بالله تعالىٰ تنفيذُ أَوامره، وتركُ نواهيهِ سبحانه، والتَّسليمُ المطلَقُ له تعالىٰ بدون تردُّدٍ أَو توقُّفٍ أَو شكٍّ.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥ . (٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤ .

وواجبُ المسلمِ أمامَ شرعِ الله؛ التَّسليمُ التَّامُّ، والإيمانُ الكاملُ، والتَّصديقُ المطلقُ، والرِّضا بحُكمهِ، بقولهِ: (آمنَّا وصدَّقنا، سمِعنا وأطَعْنَا) فحَسْبُ. وهكذا كان شِعارُ المؤمنينَ الصَّادقين من الصَّحابة والتَّابعين، ومَن تبعَهم من المؤمنينَ الصَّالحينَ بإحسانٍ.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(١).

وأمَّا دأْبُ الكافرِ - ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً - هو الاعتراضُ والاستهزاءُ، والطَّعنُ في تشريعِ اللهِ سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٢).

إذن الاعتراضُ وعدمُ الرِّضا بتشريعِ اللهِ كُفرٌ وردةٌ؛ لأنَّ هذا الاعتراضَ يقتضي الاعتراضَ والطَّعنَ في صاحبِ الرِّسالة ﷺ أو إنكارَ ما جاءَ به، وهذا ناقضٌ من نواقضِ الإيمانِ وردةٌ عن الإسلام.

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٥١ - ٥٢.

(٢) سورة الجاثية، الآيات: ٧ - ٩.

وكذلكَ الاستهزاءُ؛ بمَن يعملُ بهذا التَّشريعِ الإلهيِّ منَ المسلمين، أَو الاستهزاءُ بهم بسببِ تمسُّكهم بشعيرةٍ من شعائره، أَو مُعاداتُهُم من أَجلِ تلكَ الشَّعيرةِ؛ يكونُ كُفرًا وردَّة؛ لأَنَّه مُحارَبَةٌ لدينِ اللهِ تعالىٰ ومحادَّةٌ له، وصدٌّ عن سبيل الله؛ لأَنَّ هذا الاستهزاءَ؛ ينصَرِفُ في حقيقةِ الأَمر إلىٰ التَّشريعِ نفسه، ثُمَّ إلىٰ مُبلِّغه ﷺ ثُمَّ إلىٰ مُنَزِّلِهِ سبحانه، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾(١).

وهذه النَّواقضُ تكون؛ باعتقادٍ، أَو قولٍ، أَو فعلٍ أَيِّ أَمرٍ يمسُّ دينَ الإسلام، أَو تشريعَهُ، أَو رسولَهُ، أَو سُنَّته ﷺ: بطعنٍ، أَو تنقيصٍ، أَو استهزاءٍ، أَو تكذيبٍ، أَو شكٍ، أَو ريبٍ، أَو تردُّد. وكلُّ هذه الأُمور تعتبرُ ناقضًا من نواقضِ الإيمان، وردَّةً عن الإسلام، والعياذُ بالله تبارك وتعالىٰ.

---

(١) سورة المطففون، الآيات: ٢٩ ـ ٣٥.

الأَمثلةُ علىٰ بعض نواقضِ الإِيمان الاعتقاديَّةِ، والقوليَّةِ، والعمليَّةِ

للزيادةِ في الإِيضاحِ نذكرُ بعضَ الأَمثلة ـ علىٰ سبيلِ المثالِ لا الحصرِ ـ لأَقسامِ نواقضِ الإِيمانِ الثلاثةِ: بالاعتقادِ، والقولِ، والفعل.

الأَوَّل: نواقضُ الإِيمانِ بالاعتقاد:

هي الاعتقاداتُ الباطِلَةُ، التي ثَبَتَتْ بالأَدِلَّة الشَّرعيَّة القطعيَّة الدلالة علىٰ أَنَّه كفرٌ صريحٌ مخرِجٌ من دينِ الإِسلام، ويكونُ بمجرَّدِ اعتقادِ القلب، وإِن لم يتكلَّمْ بها، أَو يفعَلْ شيئًا منها.

١ـ الجَحْدُ، أَو الشَّكُّ في وجودِ الله تعالىٰ، أَو الاعتقادُ بأَنَّ لله تعالىٰ شريكًا في ربوبيَّتِه ـ جلَّ وعلا ـ أَو الاعتقادُ بقدَمِ العالم.

٢ـ التَّكذيبُ أَو الشَّكُّ في رسالةِ محمَّدٍ ﷺ وجحدُ عمومِ رسالتِهِ، وختمِهِ للنبوَّة، أَو إِنكارُ بعضِ ما أَخبرَ به الرَّسُولُ ﷺ أَو الطَّعنُ فيه بعدَ ثُبوتِه.

٣- الاعتقادُ بأنَّ الرَّسولَ ﷺ كَتَمَ شيئًا ممَّا أوحىٰ اللهُ تعالىٰ إليه وهو مأمورٌ بتبليغه .

٤- التَّكذيبُ أَو الشَّكُّ في شيءٍ من أركانِ الإسلام الخمسة، أو أركانِ الإيمانِ السِّتَّة، أو الجنَّةِ، أو النَّار، أو الثَّوابِ والعقاب، أو البعث والنُّشورِ، أو الجنِّ، أو الملائكةِ، أو أنَّ اللهَ تعالىٰ لا يُرىٰ في الآخرة، أو إنكارُ صفاتِ الله تعالىٰ أو صفةٍ منها، أو اعتقاد التجسيمِ والتمثيلِ في ذاته تعالىٰ، أو إنكارُ، أو الشَّكُّ بشيءٍ ممَّا هو مُجْمَعٌ عليه؛ كالإسراءِ والمعراج، أو الشَّكُّ فيما أخبَرَ به الله تعالىٰ ورسولُهُ محمَّد ﷺ من الأُمور الغيبيَّةِ، وغيرها .

٥- إنكارُ شيءٍ من القرآن، أو اعتقادُ زيادةٍ فيه، أو الاعتقادُ بأنَّ للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأنَّ باطِنَهُ يُخالِفُ ظاهِرَه، أو أنَّ هذا الباطنَ مخصوصٌ للبعض دونَ بعض .

٦- الإيمانُ بشريعةٍ غيرِ الإسلام، واعتقادُ صلاحيتها للبشَرِ، أو العملُ بها، وتطبيقُها .

٧- اعتقادُ عدم كُفر الكفَّار من: الملحدين، والمشركين، والمرتدِّين، والزنادقة، أو الشكُّ في كُفرهم، أو تصحيحُ مذهبهم، أو موالاتُهم علىٰ حساب الدِّين .

٨- الاعتقادُ بأَنَّ الكنائسَ أَو المعابِدَ؛ بيوتُ الله، وأَنَّ اللهَ تعالىٰ يُعبد فيها ويُوحَّدُ، وأَنَّ ما يفعلُهُ اليهودُ والنصارىٰ في هذه الأَماكن عبادةٌ لله، وطاعةٌ لَهُ - سبحانه - ولرسُلِه عليهم الصَّلاةُ والسَّلام.

٩- جَحْدُ وجوبِ شيءٍ معلومٍ منَ الدِّين بالضَّرورة؛ كالصَّلواتِ الخمسِ، والزَّكاةِ، والصَّومِ، والحجِّ، وغيرها.

١٠- اعتقادُ تحريمِ مباحٍ معلومٍ منَ الدِّين بالضَّرورة؛ كالبيعِ والنِّكاح. والميراث، أَو اعتقادُ إِباحةِ محرَّمٍ معلومٍ منَ الدِّينِ بالضَّرورة؛ كالقتلِ، والزِّنا، والرِّبا، أَو إِعطاءُ غيرِ الله تعالىٰ حقَّ الأَمرِ والنَّهي، أَو حقَّ التَّحليلِ والتَّحريمِ، أَو اعتقادُ جوازِ الاحتكامِ إِلىٰ غيره تعالىٰ من غير ضرورة.

١١- تكذيبُ واحدٍ من رُسلِ الله تعالىٰ، في أَيِّ أَمرٍ من الأُمورِ الثَّابتةِ عنهم.

١٢- اعتقادُ صفاتِ الربوبيَّة، أَو الأُلوهيَّة في المخلوق.

١٣- ادِّعاءُ النبوَّةِ بعد أَن خُتمَ بنبوَّةِ نبيِّ الإِسلام محمَّدِ بن عبد الله ﷺ، أَو تصديقُ من يدَّعيها.

١٤- الاعتقادُ بأَنَّ البعضَ يَسَعُهُ الخروجُ عن شريعةِ الإِسلام،

أَو لا يجبُ عليه اتِّباعُ النَّبِيِّ ﷺ، أَو يجُوزُ للشَّخصِ أن يلتزمَ بدينٍ آخرَ غيرِ دين الإسلام.

١٥- الاعتقادُ بأَنَّ جُمْهُورَ الصَّحابةَ - رضيَ الله عنهم - ارتدُّوا، أَو فسَقُوا؛ بعد وفاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

١٦- انكارُ صُحْبَةِ أَبي بكرِ الصِّدِّيقِ - رضي الله عنه - وصِدْقِهِ مع الرَّسُول ﷺ؛ لأَنَّه تكذِيبٌ لنصِّ القرآن.

١٧- الرِّضا بالكُفرِ، والعَزمُ علىٰ الكُفرِ، أَو تعليقُ الكُفرِ بأَمرٍ مستقبلٍ.

١٨- مَن ضَحِكَ لمن تكلَّم بالكُفر مع الرِّضا به.

١٩- مَن شكَّ في كُفرِ مَن عَمِلَ الأَعمالَ المُكَفِّرةَ الظَّاهرةَ التي استبانَ دليلُها، واتَّفقَ أَئمَّةُ أَهل السُّنَّة والجماعة عليها.

وغيرها من صُورِ نواقضِ الإيمانِ الاعتقاديَّة.

الثاني: نواقضُ الإيمانِ بالقول:

هيَ الأَقوالُ والأَلفاظُ الصَّريحةُ التي ثَبَتَتْ بالأَدِلَةِ الشَّرعيَّةِ القطعيَّةِ الدَّلالَةِ علىٰ أنَّها كفرٌ صريحٌ مُخرجٌ من دينِ الإسلام، ويكونُ بمجرَّدِ التَّلفُّظ بها.

١- سبُّ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ - أَو نسبةُ العيبِ إليه - جلَّ وعلا - أَو سبُّ الرَّسولِ ﷺ أَو أَحدِ الرُّسل - عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلام - أَو سبُّ الملائكةِ، أَو سبُّ دينِ الإسلام.

٢- الاستهزاءُ باللهِ تعالىٰ، وبرسُولِهِ الكريم ﷺ وانتقاصُهما، أَو الاستهزاءُ بكلامهِ تعالىٰ، أَو سائر كُتُبِه، أَو بآيةٍ من آياتِه، أَو برسُله، أَو بالرَّسولِ محمَّد ﷺ مثل: الطَّعنِ في صدقِه، أَو في أَمانتِه، أَو عفَّتِه، أَو عرضه؛ كقول أَنَّه ﷺ كان شهوانيًا فقد أَكثرَ منَ النِّساء، أَو الاستهزاءُ والاستخفافُ بشخصِهِ ﷺ؛ كقول: أنَّه أَسودُ اللَّونِ، أَو بسُنَّتِهِ ﷺ أَو ردِّها وعدَمِ قبولها؛ بحُجَّةِ أنَّها لا تُوافِقُ العقل.

٣- الاستهزاءُ والسخريةُ من أَسماءِ الله تعالىٰ، أَو تنقُّصُهُ، أَو بوعدِهِ بالجنَّةِ، أَو وعيده بالنَّار؛ كقولِ بعضهم: لو أَعطانيَ اللهُ الجنَّةَ ما دخلتُها، لو شَهِدَ عنديَ الأنبياءُ والرُّسلُ ما قبلتُ شهادتَهُم، أَو ما لحقني خيرٌ منذ أَن صلَّيتُ، وغيرِ ذلك.

٤- الاستهزاءُ والاستخفافُ بأَحكامِ الشَّريعة الغَرَّاءِ، ووصفُها بالأَوصافِ القبيحة؛ كأَن يقولَ قائلٌ: قطعُ يَدِ السَّارِقُ جريمةٌ بشعةٌ، أَو رجْمُ الزاني المحصنِ ظُلمٌ.

٥- الاستهزاءُ والاحتقارُ للشَّعائِر الإِسلاميَّة الثابتة؛ كإِعفاء اللحيَّة، أَو حجابِ المرأَةِ، أَو شعائر العباداتِ، وغيرها.

٦- معارضةُ أَوامرِ اللهِ تعالىٰ كليًّا، أَو معارضةِ أَمرٍ واحد.

٧- دعاءُ الأَنبياءِ والأَولياءِ والصَّالحينَ، والاستغاثةُ بهم عندَ الكُرَبِ والشَّدائدِ، وسؤالُهم ما لا يقدِرُ عليه إلاَّ الله تعالىٰ.

٨- القولُ: أَنا لا أَخافُ اللهَ. أَو أَنا لا أَحبُّ اللهَ تعالىٰ.

٩- القولُ: إِنَّ الرَّسولَ ﷺ لم يُوجبْ علينا الصَّلاةَ، أَو الزَّكاةَ، أَو الصَّومَ، أَو الحجَّ.. إلخ.

١٠- القولُ: إِنَّ الدِّينَ لا صلَةَ له بالدولة، وسائرِ شؤونِ الحياة، أَو إِنَّ تعاليمَ الإِسلامِ لا تتناسَبُ مع هذا الزمن.

١١- القولُ: لمن التزمَ بدينِ الإِسلام: أَنت رَجْعِيٌّ.

١٢- القولُ: إِنَّ دينَ الإِسلامِ وتعاليمَهُ؛ هو سببُ تأَخُّرِ المسلمينَ، أَو بلادِ المسلمين.

١٣- قولُ شخصٍ عن عدوِّه: لو كان ربِّي ما عَبدتُه، أَو لو كان نبيًّا ما آمنتُ به.

١٤- قولُ المراءِ لمن قالَ (لا حولَ ولا قوةَ إلاَّ باللهِ): هذا القول لا يُسمِنُ ولا يُغني من جُوعٍ.

١٥- قولُ شخصٍ عن ولَدِهِ أَو زوجته: هو أَحبُّ إليَّ منَ اللهِ، أَو من رسُولِه ﷺ.

١٦- ادِّعاءُ الوحي، وإن لم يدَّعِ معها النُّبوَّة.

١٧- ادِّعاءُ الغيبِ، أَو ما يقَعُ في المستقبلِ جازمًا.

١٨- قولُ الشَّخص: إنَّ اللهَ نقَّص من مالي، وأَنا أُنقِّصُ من حقِّهِ ولا أُصلِّي.

١٩- قولُ الشَّخص لمن يُحبُّه: لو أَعطاني اللهُ الجنَّة؛ لا أدخُلُها من دُونِكَ.

٢٠- قولُ مَن صلَّىٰ في رمضانَ فقط، ثمَّ قالَ: هذا أَيضًا كثيرٌ، أَو هذا يكفي وزيادَةٌ.

٢١- قولُ الفاسقِ إذا قيل له صلِّ حتىٰ تجدَ حلاوةَ الصَّلاة: لا أُصلِّي حتىٰ أَجدَ حلاوةَ التَّرك.

٢٢- قراءةُ القرآنِ علىٰ نغماتِ الدُّفِّ، أَو علىٰ نوعٍ من أَنواعِ المعازف.

٢٣- مَن عَابَ شيئًا من القرآنِ العظيم، أَو قرأَهُ علىٰ وجهِ الهزل والمزاح.

٢٤- مَن طعنَ في عدالة الصَّحابة، أَو جمهورهم، كأَن يقولَ عنهم: فُسَّاقٌ، أَو ضُلَّال.

٢٥- مَن قالَ بأُلوهية عليٍّ - رضي الله عنه - أَو نُبُوَّتِهِ.

٢٦- ادِّعاءُ أَنَّ جبريل - عليه السَّلام - خانَ الأَمانةَ؛ فأَنزلَ الوحيَ علىٰ محمَّدٍ ﷺ بدلاً من أَن ينزِّلَهُ علىٰ عليٍّ.

٢٧- قَذْفُ أُمِّ المؤمنينَ الصِّدِّيقةِ عائشةَ بنتِ الصِّدِّيق - رضيَ اللهُ عنهُما - بما برَّأَها اللهُ تعالىٰ منه من فوقِ سبعِ سماواتٍ.

إِلىٰ غيرِ ذلك من الأَقوال القبيحةِ المناقضةِ للإِيمان والإِسلام.

الثَّالثُ: نواقضُ الإيمانِ بالفعل:

هي الأَفعالُ التي تثبتُ بالأَدلَّة الشَّرعيَّةِ القطعيَّةِ الدلالةِ علىٰ أنَّها كفرٌ صريحٌ مُخرجٌ من دينِ الإسلامِ دونَ اشتراطِ الجحودِ، أَو الاستحلالِ أَو الاعتقادِ أَو قصدِ الكفرِ، ويكونُ بمجرَّدِ فعله.

١- السُّجودُ لغيرِ اللهِ - تبارك وتعالىٰ - والنَّذرُ لغير اللهِ سبحانه، والذَّبحُ لغيرهِ تعالىٰ.

٢- السُّخريةُ باسمٍ من أَسماءِ الله تعالىٰ، أَو بأَمرِه، أَو وعيدِه، أَو ذكرُ اسمِ اللهِ عندَ تعاطي الخمرِ والزِّنا والدُّخان؛ استخفافًا.

٣- الاستهانةُ بالمصحفِ الشَّريف، أَو إِلقاؤُه في القاذُوراتِ، أَو دَوسُه بالقدمِ مُتعمِّدًا، أَو الإِشارةُ إِليه باليد، أَو بالقدمِ، أَو بالشَفَةِ؛ إِشارةَ استهانةٍ، أَو قراءتُه علىٰ ضربِ الدُّف علىٰ سبيل الاستخفاف، وهكذا فِعْلُ أَمثال هذه الأَشياء بحديثِ رسول الله ﷺ وكُتُبِ الشَّريعة عمومًا.

٤- الطَّوافُ بالأَضرحةِ وقبورِ الأَولياءِ والصَّالحين؛ من أَجل التقرُّب إِليهم، وطلب الدُّعاء منهم، والاستغاثة بهم.

٥- إِظهارُ المقتِ والكراهيةِ عند ذكرِ اللهِ تعالىٰ، أَو عند ذكرِ رسولِه ﷺ، أَو عند ذكر الإِسلام، أَو عند الدُّعوة إِليه.

٦- لُبْسُ شيءٍ من شعارِ الكفَّار؛ كالصليب، أو قلنسوة المجوس، ونحوه مِمَّا هو خاصٌّ بشعائرهم الدينية؛ عالمًا، عامدًا، راضيًا بشعارهم وبدينهم.

٧- مشاركةُ أَهلِ الكُفر في عباداتهم؛ كصلاتهم ونحوها.

٨- هدمُ معالمِ الإسلام؛ كهدمِ المساجد؛ لأَجل ما يُفعل فيها من العبادة.

٩- بناءُ دُورِ العبادةِ للكفَّار، أَو إِعانتُهُم علىٰ ذلك؛ كبناءِ الكنائس ونحوها، وكذلك بناء الأَضرحةِ التي يطوفُ النَّاسُ حولَها ويقصدونَها بالدُّعاءِ والنَّذرِ، وغيرها من الأَعمال الشِّركيَّة.

١٠- أَن يعملَ فعلاً أَجمعَ المسلمون علىٰ أَنَّه لا يَصدُرُ إلاَّ من كافرٍ.

١١- تَعَلُّمُ السِّحرِ، وتعاطيه، وتعليمُه.

١٢- الإعراضُ التَّامُّ عن دينِ الإسلام لا يتعلَّمُهُ ولا يعملُ به.

١٣- عدمُ تكفيرِ الكفَّار منَ الملحدين والمشركينَ والمرتدِّين، وموالاتُهم أَو تصحيحُ مذاهبهم، أَو إظهارُ موافقتهم علىٰ دينهِم، والتقرُّبُ إِليهم؛ بالأَقوالِ والأَفعالِ والنِّيات.

١٤- مـوالاةُ أعـداءِ الإسلام؛ منَ الـكـفَّـار والمـشـركـينَ، ومظاهرتُهُم علىٰ المسلمين، أَو إعانتُهُم علىٰ قتالِ المسلمين.

١٥- مـشاركةُ الكـفَّار والمشركينَ في أعيادهم الكفريَّة، وتهنئتُهم بها.

١٦- بُغضُ دينِ الإسلامِ، والمسلمينَ، وما جاءَ به هذا الدِّينُ العظيم، أَو ما جاءَ به رَسُولُهُ الأَمينُ محمَّدٌ ﷺ.

١٧- الامتناعُ منَ الالتزامِ بشرعٍ من شرائعِ الإسلامِ العظيم.

١٨- عدمُ إفرادِ اللهَ - تبارك وتعالىٰ - بالحُكمِ والتَّشريع:

كالحكم بغير ما أَنزلَ اللهُ تعالىٰ، أَو التَّشريعِ المخالفِ لشرع الله تعالىٰ، وتطبيقِه، والإلزامِ به: فمَن شَرَعَ حُكمًا غيرَ حُكمِ الله تعالىٰ، وحكَّمه في عباده، أَو بدَّل شرعَ اللهِ تعالىٰ، أَو عطَّله، ولم يحكُمْ به، واستبدَلَ حكمًا طاغوتيًّا به، وحَكَمَ به؛ فهذا كفرٌ أكبَر؛ لأَنَّه ناقضٌ من نواقض الإيمان ورِدَّةٌ عن الإسلام.

ولا يُشتَرَطُ فيه الاستحلالُ؛ لأَنَّ فِعلَهُ إباءٌ وامتناعٌ عن الالتزام بشرع الله تعالىٰ، وتشريعٌ من دون الله، وكرهٌ واحتقارٌ لما جاءَ به الله، ودليلٌ علىٰ تسويغِه اتِّباعَ غير شرعِ الله، ولو لم يُصرِّح بلسانِه؛ لأَنَّ لسانَ الحالِ أقوىٰ وأَبلغُ من لسانِ المقال.

وذلك لأنَّ التَّشريعَ والتَّحليلَ والتَّحريمَ من خصائصِ الله تعالىٰ، فهو حقٌّ خالصٌ لله وحده لا شريكَ له؛ فالحلالُ ما أَحلَّه اللهُ ورسولُه ﷺ والحرامُ ما حرَّمه اللهُ ورسولُه ﷺ والدِّينُ ما شرَعَهُ اللهُ ورسولُه ﷺ؛ فمَن شرَعَ من دون الله، أَو أَلزمَ النَّاسَ بغير شرعِ الله؛ فقد نازَعَ اللهَ فيما اختصَّ به سبحانه وتعالىٰ، وتعدَّىٰ علىٰ حقٍّ من حُقُوقِهِ، وأَعارَهُ لنفسه، ورَفَضَ شريعةَ الله؛ فهذا العملُ شركٌ بالله تعالىٰ، وصاحبُه مُشركٌ ضالٌّ ضلالاً بعيدًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾(١).

وأَمَّا مَن تحاكمَ إلىٰ الطَّاغوتِ، أَو حكَّمَهُ في نفسه، أَو في غيره؛ ثمَّ ادَّعىٰ الإيمانَ؛ فهذه دعوىٰ كاذبةٌ لا وزنَ لها عند ربِّ العالمين؛ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ طاعتَهُ، وطاعةَ رسولِهِ الأَمينِ محمَّدٍ ﷺ من لوازمِ الإيمانِ ومقتضياته، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾(٢).

فجعلَ – سبحانه – مجرَّدَ التولِّي عن طاعته وطاعة رسوله ﷺ كُفراً بهما، وأَيُّ تولٍّ عن طاعتهما أَعظمُ من تعطيلِ شرعِ الله تعالىٰ، واستبدالِ حكمٍ طاغوتيٍّ به، وتحكيمِهِ بينَ عبادِهِ.

(١) سورة الشورى، الآية: ٢١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

فهؤلاء الذينَ لا يحكمونَ بما أَنزلَ اللهُ تعالىٰ؛ سواءً كانوا مشرِّعين، أو مبدِّلين لشرعِهِ، أو مُستَوْرِدِينَ للحكمِ الطَّاغوتيِّ أو مُساوين بينَ حكمِ اللهِ وحكمِ الطَّاغُوتِ، أو ممتنعينَ تحكيمَ شرعِ اللهِ تعالىٰ؛ قد حَكَمَ اللهُ تعالىٰ عليهم بالكُفْرِ، وسمَّاهم في كتابِهِ العزيز: كافرين، وظالمينَ، وفاسقينَ، فقال الله تعالىٰ:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١)(*).

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٤٤ - ٤٧ .

(*) قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - عن هذه الآيات الثلاث: (واعلم أنَّ تحرير المقام في هذا البحث أنَّ الكفر والظلم والفسق كلّ واحد منها ربَّما أُطلق في الشرع مرادًا به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملّة أخرىٰ... وقوله تعالىٰ: ﴿ومَنْ لَمْ يَحكُمْ بمَا أنزَلَ الله﴾ معارضة للرُّسل وإبطالاً لأحكام الله؛ فظلمه وفسقه وكفره كلّها كفرٌ مخرج عن الملّة). «أضواء البيان» ج٢، ص١٠٤ وقال رحمه الله: (إنَّ الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان علىٰ ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله - جلَّ وعلا - علىٰ ألسنة رسله - عليهم الصَّلاة والسَّلام - إنَّه لا يشك في كفرهم وشركهم؛ إلاَّ مَن طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم). «أضواء البيان» ج٤، ص٨٣ . وقال أيضًا: (وأمَّا النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض؛ فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض... وتمرُّد علىٰ نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها، وهو أعلم بمصالحها - سبحانه وتعالىٰ - عن أن يكون معه مشرِّع آخر علوًّا كبيراً). «أضواء البيان» ج٤، ص٨٤ .

١٩ـ تركُ الصَّلاة - وإن كان مقرًّا بوجوبها - من الكُفرِ الأكبرِ المخرجِ من الملَّة؛ لأنَّ باعثَ الإعراض عن الطَّاعةِ بالكلِّية؛ فقدانُ عملِ القلبِ الذي هو شرطٌ لصحَّةِ الإيمان.

ولأنَّ الصَّلاةَ لها منزلةٌ عظيمةٌ في دينِ الإسلامِ؛ لا تَعْدِلُها أيَّةُ عبادةٍ أُخرىٰ، وهي آكَدُ الأعمالِ التي لا يصحُّ إيمانُ العبدِ بدون شيءٍ منها، وركنُه الأعظمُ بعدَ الشَّهادتين، وهي أعظمُ الواجبات وأَدلُّها وأَجلُّها، وهي عَمُودُ الدِّين وشعارُ المسلمين، والفيصلُ بينَ الإسلامِ والكفر، قال النَّبيُّ ﷺ:

«بُنِيَ الإسْلاَمُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»(١).

وقال ﷺ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ»(٢).

وقال ﷺ: «بَيْنَ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ؛ تَرْكُ الصَّلاَةِ»(٣).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الإيمان) باب: «قول النبي ﷺ «بني الإسلام علىٰ خمس».
(٢) رواه الترمذي في (كتاب الإيمان) باب: «ما جاء في حرمة الصلاة» وصححه الألباني.
(٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب: «بيان اطلاق اسم الكفر علىٰ مَن ترك الصلاة».

وقال ﷺ : « إنَّ العَهْدَ الَّذِي بيْننا وبيْنهُمُ الصَّلاةُ ؛ فَمَنْ تركها فقد كفر »[١] .

وقال ﷺ : « مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ مُتعمِّدًا ؛ فقدْ برِئتْ منْهُ ذمَّةُ الله تعالى وَرَسُولُهُ »[٢] .

وعن عبدِ اللهِ بن عمروٍ – رضيَ اللهُ عنهُما – عن النبِيِّ ﷺ ثمَّ ذكر الصَّلاةَ يومًا ، فقالَ ﷺ : « منْ حافظ عليْها ، كانتْ لهُ نورًا ، وبُرْهانًا ، ونجاةً يوْمَ القِيامةِ ، ومنْ لمْ يُحافِظْ عليْها ؛ لمْ يكُنْ لهُ نورٌ ، ولا بُرْهانٌ ، ولا نجاةٌ ، وكان يوْمَ القِيامةِ مَعَ قارون ، وهامانَ ، وفِرْعَونَ ، وأُبيِّ ابنِ خلفٍ »[٣] .

والصَّلاةُ كانتْ هي آخِرَ ما وصَّى بها النبِيُّ ﷺ وهو يلْفِظُ أنفاسهُ الأخيرةَ في مَرَضِ موْتِهِ ؛ فكانَ يقولُ ﷺ :

« الصَّلاة الصَّلاة ، وَمَا مَلَكتْ أيْمانُكُمْ »[٤] .

---

(١) رواه النسائي في (كتاب الصلاة) باب : « حكم في تارك الصلاة » وصححه الألباني .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » ج٦ ، ص٤٢١ ، وحسّنه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (٥٧٠) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » ج٢ ، ص١٦٩ ، والدارمي في « سننه » (كتاب الرّقاق) باب « في المحافظة على الصّلاة » . وقال الهيثمي : (رواه أحمد والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » ورجال أحمد ثقات) « المجمع » ج١ ، ص٢٩٢ .

(٤) رواه ابن ماجة (كتاب الوصايا) باب : « وهل أوصى رسول الله ﷺ » وصححه الألباني .

والصَّلاةُ أعظمُ قرينةٍ دالَّةٍ على إسلامِ المرء؛ تَمْنَعُ من تكفيرِهِ، أو إساءةِ الظنِّ فيه، قال النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاتَنا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنا؛ فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ؛ فَلاَ تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ»(١).

---

(١) رواه البخاري في (كتاب أبواب القبلة) باب: «فضل استقبال القبلة».

(*) وغيرها من النصوص الكثيرة التي وردت في تخصيص حكم ترك الصَّلاة دون غيرها! ولم تفرق النصوص بين تركها جحودًا، أو تهاونًا وكسلاً، وجعل الشَّارع الحكيم مناط التكفير؛ ترك الصَّلاة، ومن المعلوم أنَّه ليس كلَّ مَن ترك الصَّلاة يكون جاحدًا لها؛ بل يكون كذلك، ويكون العكس، قال الحافظ الفقيه أبو بكر البيهقي، رحمه الله:
(ليس من العبادات بعد الإيمان الرافع للكفر عبادةٌ سمَّاها الله - عزَّ وجلَّ - إيمانًا وسمَّى رسول الله ﷺ تركها كفرًا إلاَّ الصَّلاة). «شعب الإيمان»: ج٣، ص٣٣.
وهذا الذي فهمه الصحابة - رضي الله عنهم - عن النبيِّ ﷺ حتى أنَّهم ميَّزوا الصَّلاة عن غيرها في هذا الباب؛ فجعلوا تركها هو مناط الكفر دون غيرها من الأعمال، وقد نقل الإجماع عنهم؛ التابعيُّ الجليلُ عبد الله بن شقيق العقيلي رحمه الله، فقال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرونَ شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ غير الصَّلاة) «رواه الترمذي» وصحَّحه الألباني. وقال العلاَّمة الشوكاني، رحمه الله: (والظاهر من الصيغة أنَّ هذه المقالة اجتمع عليها الصحابة؛ لأنَّ قوله: كان أصحاب رسول الله جمع مضاف، وهو من المشعرات بذلك). «نيل الأوطار»: ج٢، ص١٦ وقال ابن القيم رحمه الله: (ولا يعلم عن صحابيٍّ خلافه). وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعد أن أفاق من طعنته التي مات منها، قال: «هل صلَّى النَّاس؟ قلنا: نعم، فقال: لا حَظَّ في الإسلام لمن ترك الصَّلاة». وقال ابن مسعود، رضي الله عنه: (مَن ترك الصَّلاة فلا دين له). وقال أبو الدرداء، رضي الله عنه: (لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا صلاة لمن لا وضوء له). وقال عبد الله بن عباس، رضي الله عنه: (مَن تركَ الصَّلاة؛ فقد كفر). وقال جابر بن عبد الله، رضي الله عنه: (مَن لم يُصلِّ؛ فهو كافر). وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: (مَن لم يُصلِّ؛ فهو كافر). ذكر هذه الآثار الحافظ المنذري في كتابه: «الترغيب والترهيب» (كتاب الصلاة).

تحذيرٌ من السُّخريَةِ والاستهزاءِ بالدِّينِ وأَهلِهِ

● إنَّ السُّخريةَ والاستهزاءَ بشيءٍ ممَّا سبقَ من نواقض الإيمان، أَو بشيءٍ فيه ذكرُ الله تعالىٰ، أَو القرآن. أَو الرسول ﷺ، أَو شعيرةٌ من شعائر الدِّين، ولو علىٰ سبيلِ المزاحِ؛ كُفرٌ مخرجٌ من دين الإسلام؛ لأَنَّه يدخلُ في باب الاحتقارِ والاستخفاف، ممَّا يجعل التلفُّظَ بتلك الأَقوالِ ردَّةً عن الإسلام؛ لأَنَّ أَصلَ الدِّين مبنيٌّ علىٰ تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله الكريم ﷺ وحرمات المسلمين؛ فلا ينتهكُ لهم عرضٌ، ولا يسخرُ منهم ولا يَعيبُهُم ولا يتجَسَّسُ عليهم أَو يستهزئُ بهم من أَجل تمسُّكهم بدينهمُ العظيم، ومحافظتهم علىٰ شعائره، والاستهزاءُ بشيءٍ من ذلك مُنافٍ لهذا الأَصل العظيم، ومُنافٍ للتَّوحيد الخالص، ومناقضٌ له أَشَدَّ المناقضة؛ فهو من نواقض الإسلام - عند أَهل السُّنَّة والجماعة - وتجبُ التَّوبةُ منه علىٰ الفور إذا وقع.

ولأَنَّ الاستهزاءَ والسُّخريَةَ؛ بالله تعالىٰ أَو بكلامه، أَو برسوله ﷺ أَو بدينه، أَو بالمسلمينَ المتمسِّكين بأَوامر ربِّهم تعالىٰ؛ صفةٌ من صفات الكفَّار، وخصلةٌ من خصال المنافقين، قال تعالىٰ:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٤].

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٦٤ – ٦٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٥٧ – ٥٨.
(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٧٩ – ٨٠.
(٤) سورة الجاثية، الآية: ٩.

• فاعلمْ أخي المسلمُ؛ علَّمنا اللهُ وإيَّاكَ طريقَ الذين أنعمَ عليهم: أنَّه يجب على كلِّ مسلمٍ أن يحتاطَ لدينه ولآخرته، وأن لا يَستهينَ بهذه النَّواقض، ويحذرَ الخوضَ فيها، وأن لا يتلفَّظَ بشيءٍ ما يَخرجُ به من الدِّين؛ لأنَّ النطق بالشَّهادتين يتمُّ به الدخولُ في الإسلام؛ ثمَّ يتْبعُهُ العملُ بالأركان، وكذلكَ النطقُ بضدِّه ممَّا يناقضُ الإسلام؛ فيحصُلُ به الخروجُ منه، والعياذ بالله.

قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤).

ولخطرِ اللِّسان وعَظيمِ جُرْمِهِ؛ جاءَ في الحديث الطَّويل، عن معاذِ بنِ جبلٍ - رضيَ اللهُ عنهُ - عن النَّبيِّ ﷺ قالَ:

---

(١) سورة النور، الآية: ١٥.
(٢) سورة ق، الآية: ١٨.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ؛ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»(١).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ لاَ يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا؛ يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا في النَّارِ»(٢).

وقال الصَّحابيُّ الفقيهُ عبدُ الله بنُ مسعودٍ، رضي الله عنه:

«والله الذي لا إلهَ غيرُهُ ما عَلَىٰ وَجه الأَرْضِ شيءٌ أَحوجَ إلىٰ طولِ سجنٍ من لسانٍ»(٣).

كما يجب علىٰ مَن وقعَ منه شيءٌ من ذلك؛ المبادرةُ علىٰ الفور بالتَّوبةِ، والاستغفارِ، والنَّدمِ علىٰ ما صَدَرَ منه، والعزمُ علىٰ أَن لا يعودَ لمثله أبدًا؛ لأَنَّ التَّوبة تَجُبُّ ما قبلَها، قال النَّبِيُّ ﷺ:

«مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلفِهِ: وَالَّلاَتِ وَالعُزَّىٰ، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ؛ فَلْيَتَصَدَّقْ»(٤).

---

(١) «رواه الترمذي» في (كتاب الإيمان) باب «ما جاء في حرمة الصَّلاة»، وصحَّحه الألباني.

(٢) «رواه الترمذي» في (كتاب الزهد) باب «ما جاء في من تكلم بالكلمة ليُضحك النَّاس» وصحَّحه الألباني.

(٣) «حلية الأولياء» لابن نعيم الأصبهاني: ج١، ص١٣٤.

(٤) «رواه البخاري» في (كتاب التفسير» باب: «﴿أفرأيتم اللات والعزىٰ﴾».

أقوال أئمة أهل السنة والجماعة
على أن الكفر يكون: بالاعتقاد والقول والفعل

١- قالَ الإمامُ الحافظُ سفيانُ بن عُيينةَ - رحمه الله تعالىٰ - عندما سُئِلَ عن الإرجاء: (يقولونَ: الإيمانُ قولٌ، ونحن نقول: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، والمرجئةُ أَوجبوا الجنَّةَ لمن شهدَ أَن لا إِلهَ إلاَّ الله؛ مصرًا بقلبه علىٰ تركِ الفرائض، وسمَّوا تركَ الفرائضِ ذنبًا بمنزلة رُكوبِ المحارم، وليس بسواءٍ؛ لأَنَّ رُكوبَ المحارم من غير استحلالٍ معصيةٌ وتركُ الفرائضِ متعمّدًا من غير جهلٍ ولا عذرٍ هو كُفرٌ)[1].

٢- قالَ الإمامُ الشافعيُّ - رحمه الله - حين سُئِلَ عمَّن هَزَلَ بشيءٍ من آياتِ اللهِ تعالىٰ: (هو كافرٌ) واستدلَّ بقولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦][2].

---

(١) «كتاب السُّنَّة» الإمام عبد الله بن أحمد: ج١، ص٣٤٧ (٧٤٥).

(٢) «الصارم المسلول» ابن تيمية: ج٣، ص٩٥٦ رمادي للنشر.

٣- قالَ الإمامُ الحافظُ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ الحُميديُّ، رحمه الله:

(أُخبِرتُ أنَّ ناسًا يقولونَ: مَن أقرَّ بالصَّلاة، والزَّكاة، والصَّوم، والحجِّ، ولم يفعلْ من ذلكَ شيئًا حتىٰ يموت، أو يُصَلِّي مُستدبرَ القبْلةِ حتىٰ يموت؛ فهو مؤمنٌ ما لم يكُن جاحدًا... إذا كان يقرُّ بالفرائض واستقبال القبْلة؛ فقلتُ: هذا الكُفرُ الصّراح، وخِلافُ كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولهِ ﷺ وفِعلِ المسلمين، قال عزَّ وجلَّ:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [التوبة: ٥])[١].

٤- قالَ الإمامُ إسحاقُ بنُ راهَويَه، رحمه الله: (وممَّا أجمعوا علىٰ تكفيرِه، وحكموا عليه كما حكموا علىٰ الجاحِد؛ فالمؤمنُ الذي آمنَ باللهِ تعالىٰ، وبما جاءَ من عندِه، ثمَّ قتلَ نبيًّا، أو أعانَ علىٰ قتلِه، وإنْ كان مُقرًّا، ويقولُ: قتلُ الأنبياءِ محرَّمٌ؛ فهو كافرٌ، وكذلك مَن شتَمَ نبيًّا أو رَدَّ عليه قولَه من غير تقيَّةٍ ولا خوفٍ)[٢].

٥- قالَ الفقيهُ أبو ثورٍ إبراهيمُ بنُ خالدٍ الكلبيُّ رحمه الله:

(فاعلم - يرحمنا الله وإيَّاكَ - أنَّ الإيمانَ تصديقٌ بالقلب،

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» الإمام اللالكائي: ج٥، ص٩٥٧ (١٥٩٤).
(٢) «تعظيم قدر الصلاة» الإمام المروزي: ج٢، ص٩٣٠ (٩٩١).

وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارحِ. وذلكَ أنّه ليسَ بينَ أهلِ العلمِ خلافٌ في رجلٍ لو قالَ: أشهدُ أنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - واحدٌ، وأنَّ ما جاءت به الرُّسُلُ حقٌّ، وأقرُّ بجميعِ الشَّرائعِ، ثمَّ قال: ما عقد قلبي على شيءٍ من هذا، ولا أصدِّقُ به؛ أنَّهُ ليسَ بمسلم. ولو قال: المسيحُ هو اللهُ، وجحَدَ أمرَ الإسلام، وقال: لم يعتقد قلبي على ذلكَ؛ أنّه كافرٌ بإظهارِ ذلك، وليس بمؤمنٍ)[1].

٦- قالَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ - رحمه الله - عندما سألَه ابنُهُ عبد الله عن رجلٍ قالَ لرجلٍ: يا ابن كذا وكذا؛ أنتَ ومَن خلقَكَ: (هذا مرتَدٌّ عن الإسلام) وسألَه: تُضربُ عنقُهُ؟ قال: (نعم تُضرَبُ عُنقُه)[2].

٧- قالَ الإمامُ محمَّد بن سُحْنُون المالكيُّ رحمه الله: (أجمعَ العلماءُ: على أنَّ شاتمَ النَّبيِّ ﷺ المُتَنَقِّصَ لهُ؛ كافرٌ، والوعيدُ جارٍ عليه بعذاب الله له، وحكمُه عندَ الأُمَّة: القتلُ، ومَن شَكَّ في كفرِه وعذابِه كفرَ)[3].

٨- قال الإمامُ البربهاريُّ، رحمه الله: (ولا يَخرجُ أحدٌ من

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة» الإمام اللالكائي: ج٤، ص٩٣٢ (١٥٩٠).
(٢) «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبد الله: ج٢، ص١٢٩١ .
(٣) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» القاضي عياض: ج٢، ص٢١٤ .

أَهلِ القبْلةِ من الإسلام؛ حتىٰ يَرُدَّ آيةً من كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، أَو يَرُدَّ شيئًا من آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ أَو يَذبحَ لغيرِ الله أَو يُصلِّيَ لغيرِ الله وإن فعلَ شيئًا من ذلك؛ فقد وجبَ عليكَ أَن تُخرِجهُ من الإسلام؛ فإذا لم يَفعلْ شيئًا من ذلك فهو مؤمنٌ ومسلمٌ بالاسمِ لا بالحقيقة)[1].

٩- قالَ الإمامُ أَبو الحسن الأَشعريُّ، رحمه الله: (إرادةُ الكفر كُفرٌ، وبناء كنيسةٍ يُكفر فيها بالله كفرٌ؛ لأَنَّهُ إرادة الكفر)[2].

١٠- قالَ الإمامُ النوويُّ - رحمه الله - في تعريف الرِّدَّة:

(هي قطعُ الإسلام، ويَحصلُ ذلك تارةً بالقولِ الذي هو كفرٌ، وتارةً بالفِعل، والأَفعالُ الموجبةُ للكُفرِ هي التي تَصدرُ عن تعمُّدٍ واستهزاءٍ بالدِّين صَريحًا؛ كالسُّجودِ للصَّنمِ أَو للشَّمس، وإلقاءُ المصحف في القاذورات، والسِّحر الذي فيه عبادة الشَّمس ونحوها. قال الإمام: في بعضِ التَّعاليق عن شيخي إنَّ الفعلَ بمجرَّدِهِ لا يكون كفرًا، قال: وهذا زَلَلٌ عظيمٌ من المعلِّق ذكرته للتَّنبيه علىٰ غلَطِه، وتَحصلُ الرِّدَّةُ بالقولِ الذي هو كفرٌ؛ سواءً صَدرَ عن اعتقادٍ أَو عنادٍ أَو استهزاء)[3].

---

(١) «شرح السُّنَّة» البربهاري: ص٧٣ (٥٠). دار السلف.
(٢) «أنوار البروق في أنواع الفروق» للإمام القرافي؛ ج١، ص٢٢٥.
(٣) «روضة الطالبين» النووي: ج١٠، ص٦٤ (كتاب الرِّدَّة).

١١- قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، رحمه الله: (إنَّ مَن سَبَّ الله، أو سَبَّ رسُولَه كفرَ ظاهرًا وباطنًا؛ سواءً كان السابُّ يعتقدُ أنَّ ذلكَ محرَّمٌ، أَو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهبُ الفقهاء وسائرِ أهلِ السُّنَّة القائلين بأنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ)(١).

١٢- قالَ القاضي أبو بكرِ بنُ العربيُّ - رحمه الله - في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]:

(لا يخلو أَن يكونَ ما قالوه من ذلك جدًّا، أَو هَزْلاً، وهو كيفما كان كفرٌ؛ فإنَّ الهزلَ بالكفرِ كفرٌ؛ لاَ خلافَ فيه بينَ الأَئمَّة؛ فإنَّ التَّحقيقَ أَخو الحقِّ والعلمَ والهزلَ أَخو الباطل والجهل، قال علماؤنا: انظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(٢).

١٣- قالَ الإمامُ مَرْعيُّ بنُ يوسفَ الكرميُّ المقدسيُّ - رحمه الله - في تعريف الرِّدَّة: (وهو مَن كَفَرَ بعد إسلامه، ويَحصُلُ

(١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»: ج٣، ص٩٥٥؛ رمادي للنشر.
(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي: ج٢، ص٤٦٥.

الكُفرُ بأحد أَربعة أُمورٍ: بالقولِ كَسَبِّ اللهِ تعالىٰ ورسولِه، أَو ملائكته، أَو ادِّعاء النبوَّة، أَو الشِّركة له تعالىٰ، وبالفعلِ كالسُّجودِ للصَّنمِ ونحوِه، وكإلقاء المصحف في قاذورة، وبالاعتقادِ كاعتقادِه الشَّريك له تعالىٰ، أَو أَنَّ الزِّنا أَو الخمرَ حلالٌ، أَو أَنَّ الخبزَ حرامٌ، ونحو ذلك، ومِمَّا أُجمعَ عليه إجماعًا قطعيًّا، وبالشَّكِّ في شيءٍ من ذلك)[١].

١٤- قالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ - رحمه الله - في تفسير الآية (١٠٦ - ١٠٩) من سورة النحل:

(أَخبرَ تعالىٰ عمَّن كَفَرَ به بعد الإيمانِ والتبصُّر، وشرحَ صدرَهُ بالكُفرِ واطمأنَّ به؛ أَنَّه قد غَضِبَ عليه لعلمهم بالإيمانِ ثمَّ عُدُولِهم عنه، وأَنَّ لهم عذابًا عظيمًا في الدارِ الآخرة؛ لأَنَّهم استحبُّوا الحياة الدُّنيا علىٰ الآخرة، فأَقدموا علىٰ ما أَقدموا عليه من الرِّدَّةِ لأَجلِ الدُّنيا ولم يهدِ اللهُ قلوبهم ويثبتهم علىٰ الدِّين الحقِّ؛ فطبع علىٰ قلوبهم، فهم لا يعقلون بها شيئًا ينفعُهم).

---

(١) «دليل الطالب»: ص٣١٧.

أسباب ترك الإيمان
والإعراض عنه

أسباب ترك الإيمان والإعراض عنه(*)

إذا علمنا مما سبقَ أنَّ الإيمانَ الصحيحَ؛ كما جاءنا عن رسُولِ اللهِ ﷺ فيه السَّعادةُ العاجلةُ والآجلةُ، أي: سعادةُ الدُّنيا والآخرة.

وأنَّه يُصلِحُ الظاهرَ والباطنَ، والعقائدَ، والأخلاقَ، والآدابَ، وجميعَ الأحوال، وأنَّه يدعُو جميعَ العبادِ إلىٰ ما فيه كلُّ خيرٍ وصلاحٍ، ويهدي للَّتي هي أقومُ.

• فإذا كان الأمرُ كما ذكرنا! فلِمَ أكثرُ النَّاسِ - كانوا ولا يزالون - عن الدِّينِ والإيمانِ مُعرضينَ ولهُ مُحاربينَ ومنهُ ساخرينَ؟!

وهلاَّ كان الأمرُ بالعَكْسِ؛ لأنَّ النَّاسَ لهُم عقولٌ وأذهانٌ؛ تختارُ الصَّالحَ علىٰ الطالحِ، والخيرَ علىٰ الشَّرِّ، والنافعَ علىٰ الضَّارِ؟

• نعم -أخي المسلمُ اللَّبيبُ- كان من المفروضِ أن يكونَ الأمر كذلك! لأنَّ اللهَ تعالىٰ؛ قد وهبَ لِبَني آدمَ نعمةَ العقلِ الذي يختار ويميِّز به الخيرَ عن الشرِّ، والحقَّ عن الباطلِ، والنافعَ عن الضَّارِّ، ولكن أكثرَ النَّاس لا يعلَمُونَ ولا يعمَلُون.

(*) نقلتُ هذا الفصل باختصار وتصرف من «تعليم أُصول الإيمان وبيان موانعه» للشيخ العلاَّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، رحمه الله: ص٣٢. (دار أضواء السلف).

واعلم! - أخي المسلم - علَّمنا الله تعالىٰ وإيَّاك طريقَ الهداية:

أنَّ اللهَ تعالىٰ؛ قد ذكرَ هذا الإيرادَ في كتابِه العزيز، وأَجابَ عنهُ بذكرِ الأَسباب الواقعَةِ المانعة، وبالموانِع العائقَةِ، وبذكرِ الأَجوبةِ عن هذا الإيراد فلا يهُول العبدَ ما يراهُ من إعراض أكثرِ البشرِ عنه، ولا يستغربُ ذلك؛ فقد ذكرَ الله - عزَّ وجلَّ - من أَسباب عدَم الإيمانِ بالدِّينِ؛ موانعَ عديدةً، واقعةً من جمهورِ البشر، منها:

١- الجهلُ بالإيمانِ وحقيقته:

الجهلُ بالإيمان الحقِّ، وعدمُ معرفة حقيقته، وعدمُ الوقوفِ علىٰ تعاليمه العاليةِ، وإرشاداته السَّاميَّة، والجهلُ بالعلومِ النَّافعة عامَّةً؛ أكبرُ عائقٍ، وأعظمُ مانعٍ من الوصولِ إلىٰ الحقائقِ الصَّحيحةِ، والأَخلاقِ الحميدة الرَّاشدة، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[1].

فأَخبرنا اللهُ تعالىٰ أَن تكذيبهم صادرٌ عن جهلِهِمْ، وعدمُ إحاطتهم بعلمه، وأنَّهُ لم يأتهم تأْويلُهُ الذي هو وقوعُ العذابِ الذي يوجبُ للعبد الرُّجوعَ إلىٰ الحقِّ والاعترافَ به، قال تعالىٰ:

(١) سورة يونس، الآية: ٣٩.

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾[١].

● والجهلُ إمَّا أن يكونَ بسيطًا :

كحالِ كثيرٍ من دهماءِ المكذِّبين للرَّسولِ ﷺ الرادِّينَ لدعوتِه؛ اتباعًا لرؤسائِهم وساداتِهم وهمُ الذين يقولونَ إذا مسَّهمُ العذابُ :

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴾[٢].

● وإمَّا أن يكونَ الجهلُ مُركَّبًا ؛ وهذا علىٰ نوعين :

أحدُهما : أَن يكونَ علىٰ دينِ قومِه وآبائِه، ومَن هو ناشئٌ معهم؛ فيأتيه الحقُّ فلا ينظرُ فيه، وإن نظرَ فنظرٌ قاصرٌ جدًّا لرضاه بدينِه الذي نشأَ عليه وتَعصُّبُهُ لقومِه، وهؤلاء جمهورُ المكذِّبينَ للرُّسُل - عليهم السَّلام - الرَّادِّينَ لدعوتهم الذين قال تعالىٰ فيهم :

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[٣].

وهذا هو التقليدُ الأعمىٰ الذي يظنُّ صاحبُه أنَّه علىٰ حقٍّ، وفي الأصل هو علىٰ الباطل. ويدخلُ في هذا النوعِ : أكثرُ الملحدينَ الماديِّينَ؛ فإنَّ علومَهُم عند التحقيقِ تقليدٌ لزعمائِهم؛ إذا قالوا مقالةً قبلوها كأنَّها وحيٌ منزلٌ وإذا ابتكروا نظريةً خاطِئةً سلكوا خلفهُم في

(١) سورة الأنعام، الآية : ١١١ .
(٢) سورة الأحزاب، الآية : ٦٧ .
(٣) سورة الزخرف، الآية : ٢٣ .

حالِ اتِّفاقِهِمْ وحالِ تناقضهم وهؤلاءِ فتنةٌ لكلِّ مفتونٍ لا بصيرةَ له.

النوعُ الثاني من الجهلِ المركَّبِ:

حالةُ أئمَّةِ الكفرِ، وزعماءِ الملحدينَ الذين مَهرُوا في علومِ الطبيعةِ والكونِ، واستجهَلُوا غيرَهم، وحصَروا المعلوماتِ في معارفِهم الضئيلةِ الضيِّقةِ الدائرة، واستكبَروا علىٰ الرُّسُلِ وأَتباعهم.

وزعمُوا أنَّ العلومَ محصورةٌ فيما وصلتْ إليه الحواسُّ الإنسانيةُ، والتجاربُ البشريَّةُ، وما سوىٰ ذلك أنكروهُ، وكذَّبوهُ مهما كان من الحقِّ؛ فأنكروا ربَّ العالمين، وكذَّبوا رُسُله، وكذَّبوا بما أَخبرَ اللهُ به ورسُولهُ من أُمورِ الغيب كلِّها، وهؤلاءِ أَحقُّ النَّاسِ بالدُّخُولِ تحتَ قولِه تعالىٰ:

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(١).

ففرَحُهم بعلومهِم - علوم الطَّبيعة - ومهارتُهم فيها هو السَّببُ الأَقوىٰ الذي أَوجَبَ لهم تمسُّكَهم بما معهم من الباطلِ، وفرحُهم بها يقتضي تفضيلَهم لها، ومدْحَهمْ لها وتقديمها علىٰ ما جاءتْ به الرُّسُلُ من الهُدىٰ والعِلم؛ بل لم يكفِهم هذه الحالُ؛

(١) سورة غافر، الآية: ٨٣.

حتىٰ وصلوا إلىٰ الاستهزاءِ بعلومِ الرُّسلِ واستهجانها، وسيحيقُ بهم ما كانوا به يستهزؤُونَ.

ولقد انخدعَ بهؤلاءِ الملحدينَ كثيرٌ من المشتغلينَ بالعلومِ العصريَّةِ التي لم يَصحبها دينٌ صحيحٌ، والعهدةُ في ذلك علىٰ المدارسِ التي لم تهتمَّ بالتعاليمِ الدينيَّةِ العاصمةِ من هذا الإلحاد.

فإنَّ التلميذَ إذا تخرَّجَ منها؛ لم يمهرْ في العلومِ الدينيَّةِ، ولا تخلَّق بالأخلاقِ الشَّرعيَّة، ورأىٰ نفسَه أنَّه يعرفُ ما لا يعرفُهُ غيرُه؛ احتقرَ الدِّينَ وأهلَهُ، وسَهُل عليه الانقيادُ لهؤلاء الملحدينَ المادِّيين.

وهذا أكبرُ ضررٍ ضُربَ به الدِّينُ الإسلاميُّ!!

فالواجبُ قبلَ كلِّ شيءٍ علىٰ المسلمينَ نحوَ المدارسِ:

● أن يكونَ اهتمامُهم بتعليمِ العلومِ الدينيَّةِ قبل كلِّ شيءٍ.

● أن يكونَ النجاحُ وعدمُه متعلِّقًا بها لا بغيرِها بل يُجْعَلُ غيرُها تبعًا. وهذا من أفرضِ الفرائضِ علىٰ مَن يَتولَّاها ويباشِرُ تدبيرَها؛ فليتَّقِ اللهَ مَن له ولايةٌ، أو كلامٌ عليها، وليحتسبِ الأجرَ العظيم عند الله تعالىٰ في جعلِ علوم الدِّين، ومن أولويَّاتِ العلومِ المدرسيَّة. واعلم: أنَّ الخطرَ الكبيرَ علىٰ المجتمعِ الإسلاميِّ في إهمالها، والصلاحَ والفلاحَ والخيرَ؛ مضمونٌ بالعنايةِ فيها.

٢- الحسدُ والبغي: كحالِ اليهودِ الَّذينَ يعرفُونَ النَّبيَّ ﷺ وصِدْقَهُ وحقيقةَ ما جاءَ به كما يعرفونَ أبناءهم، ولكنَّهم يكتُمُونَ الحقَّ وهم يعلَمُونَ؛ تقديمًا للأَغراضِ الدُّنيويةِ والمطالبِ السُّفْلِيةِ علىٰ نعمةِ الإيمان، وقد مَنَعَ هذا الدَّاءُ كثيرًا من رُؤساءِ قريشٍ؛ كما هو معروفٌ من أَخبارِهم وسِيَرِهِم. وهذا الداءُ في حقيقةِ الأَمرِ؛ ناشئٌ عن داءٍ آخر، وهو الكِبْر.

٣- الكِبْرُ: الذي هو أَعظمُ الموانعِ من اتِّباعِ الحقِّ، قال تعالىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾(١).

فالتَّكبُّر – الذي هو رَدُّ الحقِّ واحتِقارُ الخلقِ – منَعَ خَلْقًا كثيرًا من اتِّباع الحقِّ، والانقيادِ له بعدَ ما ظهَرتْ آياتُه وبراهينُه.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٢) سورة النمل، الآية: ١٤.

٤- الإعراضُ عن الحقِّ والإيمان:

الإعراضُ عن الأدلةِ السمعيَّةِ، والأدلةِ العقليَّةِ الصَّحيحة؛ من أهمِّ الموانعِ التي تَصُدُّ عن الإيمان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٢].

فلم يكن لأمثالِ هؤلاءِ الذينَ اعترفوا بعدمِ عَقلهم وسمعهم النَّافع رغبةٌ في علوم الرُّسلِ، والكُتب المنزَّلَةِ من الله وليس لهم عقولٌ صحيحةٌ يهتدون بها إلىٰ الصَّوابِ، وإنَّما لهم آراءٌ ونظريَّاتٌ خاطئةٌ يظنُّونها عقليات وهي جَهالاتٌ ولهم اقتداءٌ خلفَ زعماءِ الضَّلالِ منعهم من اتِّباعِ الحقِّ؛ حتىٰ وردوا نارَ جهنَّمَ فبئس مثوىٰ المُتكبِّرين.

٥- ردُّ الإيمان والحقِّ؛ بعد معرفته: رَدُّ المرءِ الإيمانَ بعدَ ما تبيَّنَ له؛ فيُعاقبُ بانقلاب قلبهِ، ورؤيتهِ الحسنَ قبيحًا، والقبيحَ حسنًا، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٣].

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.
(٢) سورة الملك، الآية: ١٠.
(٣) سورة الصف، الآية: ٥.

وهذا؛ لأنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ، وقد وَلَّاهُم اللهُ ما قالوا لأنفسِهم: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(١).

٦- الانغماسُ في التَّرَفِ والإسرافُ في التَّنعُّم:

فإنَّه يجعلُ العبدَ تابعًا لهَواه، مُنقادًا للشَّهواتِ الضَّارَّةِ، كما ذكرَ اللهُ هذا المانعَ في عِدَّة آياتٍ، مثلَ قوله تعالىٰ:

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾(٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾(٣).

فلمَّا جاءهُم الدِّين الصَّحيحُ بما يُعَدِّلُ ترفَهم، ويوقفهم علىٰ الحدِّ النَّافع، ويمنعُهم من الانهماكِ الضَّارِّ في اللَّذَّاتِ؛ رأَوا ذلك صادًّا لهم عن مؤاداتهم. وصاحبُ الهوىٰ الباطل ينْصرُ هواه بكلِّ وسيلةٍ؛ لَمَّا جاءهُمُ الدِّينُ بوجوبِ عبادةِ الله، وشُكرِ المنعمِ علىٰ نعمِه، وعدمِ الانهماكِ في الشَّهواتِ، ولَّوْا علىٰ أَدْبارهم نُفُورًا.

٧- احتقارُ الحقِّ وأَهله: احتقارُ المكذِّبينَ للرُّسُلِ، وأَتباعِهم واعتقادُ نقصِهم، والتهكُّم بهم والتكبُّر عليهم؛ من الموانع الصَّادَّةِ عن وصولِ الإيمانِ إلىٰ القلب؛ كما قالَ قومُ نوحٍ عليه السَّلام:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٤.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٤٥.

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾[١].

وهذا الداءُ منشَؤُهُ من الكِبْرِ؛ فإذا تكبَّر وتعاظمَ في نفسِه، واحتقرَ غيرَهُ اشمأزَّ من قبولِ ما جاء به من الحقِّ؛ حتىٰ لو فُرض أَنَّ هذا الذي ردَّهُ جاءَه من طريقِ مَن يُعظِّمهُ لقبلَهُ بلا تَرَدُّد.

٨- الفِسْقُ:

فالفِسْقُ أكبرُ مانعٍ من قبولِ الحقِّ علمًا وعملاً.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

والفِسْقُ: هو خروجُ العبدِ عن طاعةِ الله تعالىٰ إلىٰ طاعةِ الشيطانِ، واللهُ تعالىٰ لا يُزكِّي مَن كانَ هذا حالُهُ؛ بل يكِلُه إلىٰ نفسِه الظالمةِ فتجُولُ في الباطلِ عنادًا وضلالاً، وتكونُ حركاتُه كلُّها شرًّا وفسادًا؛ فالفسقُ يَقرنُهُ الباطِلُ، ويصدُّه عن الحقِّ؛ لأَنَّ القلبَ متىٰ خرجَ عن الانقيادِ لله والخضوعِ؛ فلا بُدَّ أَن ينقادَ لكلِّ شيطانٍ مريدٍ: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[٣].

(١) سورة الشعراء، الآية: ١١١.
(٢) سورة يونس، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤.

٩- حصرُ العلومِ والحقائقِ في دائرةٍ ضيقةٍ:

كما فعلَ مَلاحِدةُ المادِّيينَ في حصرِهِمُ العلومَ بمدركاتِ الحِسِّ؛ فما أَدركُوهُ بحواسِّهم أَثبتوهُ، وما لم يدركُوهُ بها نَفَوهُ، ولو ثَبَتَ بطُرقٍ وبراهينَ أعظمَ بكثيرٍ، وأَوْضَحَ وأَجْلىٰ من مدركات الحسِّ، وهذه فتنةٌ وشبهةٌ؛ ضلَّ بها خلقٌ كثيرٌ.

وهذه الطريقةُ الخبيثةُ أَنكروا بها وجودَ الربِّ - جلَّ وعلا - وَكَفَرُوا بالرُّسُل - عليهم السَّلام - وبما أَخْبروهم به من أُمورِ الغيب التي قامت الأَدِلَّةُ والبراهين المتنوعَةُ علىٰ صدْقِها؛ بل قامت الأَدِلَّةُ المشاهدةُ علىٰ حقِّها. ومن المعلوم بالضَّرورة، والعلم اليقينيِّ؛ أَنَّ البراهينَ علىٰ وجودِ الباري تعالىٰ ووحدانيَّتِه، وانفرادِه بالخلق والتَّدبير لا يُمكنُ أَن يُساويَها، أَو يقاربَها شيءٌ من الطُّرُقِ المثْبِتَةِ لأَي حقيقةٍ تكونُ. فقد قامتِ؛ الأَدِلَّةُ السَّمْعيَّةُ، والعقليَّةُ، والعَيانِيَّةُ، والفطريةُ علىٰ ذلك. وقد أَظهَرَ من آياته تعالىٰ في الآفاق، وفي الأَنفسِ ما تبيَّنَ به الحقُّ، وأَنَّهُ حقٌّ، ورُسُله حقٌّ، وجزاؤهُ حقٌّ، وجميع أَخبارِه حقٌّ، ودينُهُ حقٌّ؛ فماذا بعدَ الحقِّ إلاَّ الضلالُ، ولكنَّ تمرُّدُ المادِّيِّينَ وكِبْرُهُم حالَ بينهُم، وبين اتِّباع الحقِّ النافع لهم في الدُّنيا والآخرة، والذي لا ينفعُ غيرَهُ بدونِه بوجهٍ من الوجوه.

ولكنَّ المؤمنَ البصيرَ يعرفُ بنورِ بصيرتِه أَنَّهم في ضَلالٍ مُبين، وعمًىٰ مُتَراكمٍ، ونحمدُ الله تعالىٰ علىٰ نعمةِ الهداية.

١٠ ـ تجردُ الماديِّينَ ومَن تَبِعَهُم من المغرورين:

زَعَم هؤلاء الماديُّون: أَنَّ البشرَ لَم يبلغوا الرُّشدَ، ونضوج العقلِ إلاَّ في هذه الأَوقاتِ التي طَغَتْ فيها المادةُ، وعلومُ الطبيعةِ، وأَنَّهم قبلَ ذلكَ لم يبلغوا الرُّشدَ. وهذا فيه من الجراءةِ والإقدامِ علىٰ السَّفْسَطَةِ والمُكابرةِ للحقائق، والمباهَتَةِ ما لا يخفىٰ علىٰ مَن له أَدنىٰ معقولٍ لم تغيِّره الآراءُ الخبيثة.

فلو قالوا: إنَّ المادَّةَ والصِّناعةَ والاختراعاتِ، وتطويعَ الأُمورِ الطبيعيَّةِ لم تَنْضُجْ وتتمَّ إلاَّ في الوقت الأَخيرِ لصَدَّقهُمْ كلٌّ واحدٍ.

فإنَّ العقولَ والعلومَ الصَّحيحة؛ إِنَّما تعرفُ ويستدلُّ علىٰ كمالها، أَو نقصها بآثارِها وبأَدلَّتها وغاياتها.

انظُر إلىٰ الكمالِ والعُلُوِّ في العقائد، والأَخلاقِ، والدِّين، والدُّنيا، والرَّحمةِ، والحكمةِ التي جاء بها محمَّدٌ ﷺ وأَخذَها عنه المسلمونَ وأَوصَلَتْهم وقت عملِهم بها إلىٰ كلِّ خيرٍ دينيٍّ ودنيويٍّ، وكلِّ صلاحٍ، وأَخضعَتْ لهم جميعَ الأُمم؛ وأَنَّهم وصَلُوا إلىٰ حالةٍ وكمالٍ؛ يستحيلُ أَن يصلَ إليه أَحدٌ، حتىٰ يسلُكَ طريقَهم.

ثمَّ انظر إلىٰ ما وصلت إليه أخلاقُ المادِّيين الإباحيِّين الذين أَطلقوا السَّراحَ لشهواتِهم، ولم يقفوا عند حدٍّ؛ حتىٰ هبطوا بذلك إلىٰ أَسفل السَّافلين، ولولا القوةُ المادِّيةُ تُمْسِكُهمْ بعض التماسُكِ لأَرْدتهم هذه الإباحيَّةُ والفوضىٰ في الهلاك العاجل.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾(١).

ثمَّ لولا بقايا من آدابِ الأَديانِ بقيت بعضُ آثارها في الشُّعوبِ الراقيةِ صلُحتْ بها دنياهم لم يكن لرقيِّهم المادِّي قيمةٌ عاجلةٌ؛ فإنَّ الذين فقدوا الدِّينَ عجزوا كلَّ العجزِ عن الحياةِ الطيِّبة، والرَّاحةِ الحاضرةِ، والسعادةِ العاجلة، والمشاهدةُ أَقوىٰ شاهدٍ لذلك. ومشركو العربِ ونحوهُم ممَّن عندهم بعضُ الإيمان، وبعضُ الاعترافِ بالأُصولِ الإيمانيَّة؛ كتوحيدِ الرُّبوبيَّة والاعترافِ بالجزاء؛ خيرٌ بكثيرٍ من هؤلاء المادِّيِّين، بلا ريبٍ ولا شكٍّ.

ثمَّ قد عُلِمَ بالضَّرورةِ أَنَّ الرُّسُلَ - صلواتُ الله عليهم - جاؤوا بالوحي، والهدايةِ جملةً وتفصيلاً، وبالنُّورِ والعلمِ الصحيحِ، والصَّلاحِ المطلق من جميعِ الوجوه، واعترفتِ العقولُ الصحيحةُ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

بذلك، وعلمت أنها في غاية الافتقار إليه، وخضعت لما جاءت به الرُّسُلُ، وعَلِمَت العقولُ أنَّها لو اجتمعت من أوّلها إلىٰ آخرها لم تصِل إلىٰ درجةِ الكُتبِ والحقائق النَّافعةِ التي جاءت بها الرُّسل، ونزلت بها الكُتُبُ، وأنَّه لولاها لكانت في ضَلالٍ مُبينٍ، وعمًىٰ عظيمٍ وشقاءٍ وهلاكٍ مُستَمرٍّ، قال الله تعالىٰ:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾(١).

فالعقُولُ لم تبْلغِ الرُّشدَ الصحيحَ، ولم تَنضج إلاَّ بما جاءت به الرُّسلُ، ومن ذلك انخداعُ أكثرِ النَّاس بالألفاظ التي يُزوِّقُ بها الباطلُ، ويُردُّ بها الحقُّ من غيرِ بصيرةٍ، ولا علمٍ صحيحٍ، وذلك لتسْميتهِم علومَ الدِّين، وأخلاقه العالية رجعيَّةً، وتسميتهم العلومَ والأخلاقَ الأُخرَ المنافيةَ لذلك ثقافةً وتجديداً.

ومن المعلوم لكلِّ صاحبِ عقلٍ سليمٍ: أنَّ كلَّ ثقافةٍ وتجديدٍ لم يستندْ في أُصولِه إلىٰ هِدايةِ الدِّين، وإلىٰ توجُّهاتِه؛ فإنَّه شرٌّ، وضررٌ، عاجلٌ وآجل. ومَن تأمَّل ما عليه حالُ مَن يُسَمُّونَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤ .

«المثقفينَ المادِّيينَ» من هبوطِ الأخلاقِ، والإقبالِ علىٰ كلِّ ضارٍّ، وتَركِ كلِّ نافعٍ؛ عرفَ أنَّ الثقافةَ الصَّحيحةَ؛ تثقيفُ العقولِ بهداية الرُّسل، وعُلُومهم الصَّحيحة. ومَن تأمَّلَ ما جاء به الدِّينُ الإسلاميُّ من الكتابِ والسُّنَّةِ جملةً وتفصيلاً عرفَ أنَّه لا صلاحَ للبشرِ إلاَّ بالرجوع إلىٰ هدايته وإرْشادِه، وأنَّهُ كما أَصلَحَ العقائدَ والأَخلاقَ والأَعمالَ؛ فقد أَصلَحَ أُمورَ الدُّنيا، وأَرشدَ إلىٰ كلِّ ما يعودُ إلىٰ الخير والنَّفعِ العامِّ والخاصِّ.

واللهُ الموفِّقُ، والهادي إلىٰ سواءِ السَّبيل.

وصلَّىٰ الله وسلَّم؛ علىٰ محمَّد، وعلىٰ آله، وصحبه أَجمعين.

مؤلفات
في مسائل الإيمان
على منهج أهل السنة والجماعة

«مراجع ومصادر هذا الكتاب»

مؤلفات في الإيمان على منهج أهل السنة والجماعة

قد دوَّن أَفذاذُ العلماء من أَئمَّة أَهل السُّنَّة والجماعة، وطُلاَّبِ العلمِ المعتبرين؛ مؤلَّفاتٍ كثيرةً في مسائلِ الإيمان علىٰ طريقةِ السَّلفِ الصَّالح، وعُنُوا بتقعيدِ أُصولها، وتوضيح فروعِها، وشرحِ مُشْكِلِها، واستدلُّوا علىٰ كلِّ ذلك من كتابِ الله، وسُنَّة رسُوله ﷺ وأَقوالِ أَئمَّة الصَّحابة، والتَّابعين، وتابعيهم بإِحسان.

ورَدُّوا علىٰ أَهل البدعِ والأَهواء، وكشَفُوا عُوَارَهم، وزيفَ أَقوالهم، وفسادَ اعتقاداتهم، وواجهُوا الباطلَ بالحقِّ المبين، والجهلَ بالعلم اليقين، والبدعة بالسُّنَّة الصحيحة، وجرَّدوا أَهلَ البدع والأَهواء من سلاحهم، وأَظهروا الحقَّ، وأَبطلوا الباطلَ، وما كان ذلك كلُّه؛ إلاَّ صيانةً للدِّين وأَحكامه، وحمايةً لعقيدة التَّوحيد الخالص.

ومن المفيد أَن أَذكرَ هَهُنا بعض هذه المؤلَّفات التي أُلِّفتْ في موضوع الإيمان والتي كانت في الأَصل هي مراجعي في إعداد هذا الكتاب: «الإيمانُ عند أَهل السُّنَّة والجماعة».

والسَّبَبُ في ذكرِ هذِهِ المؤلَّفاتِ لأئمَّةِ السَّلفِ الصَّالحِ؛ هي أن تكونَ - أخي المسلمُ اللَّبيبُ - علىٰ بيِّنةٍ وبصيرةٍ وعلمٍ من عقيدتِكَ؛ من أين أخذتَها، ومَن تتَّبِعُ، وحتىٰ تعلمَ - أيضًا - أنَّ هذهِ العقيدة الصَّحيحة في مسائل الإيمان وغيره من الأُمور العقدية؛ هي الأَصلُ في هذا الدِّين الحنيف، وما طرأ عليها من التَّحريفات في القرون المتأَخِّرة؛ فهو دخيلٌ علىٰ العقيدة الصَّحيحة التي تلقَّاها سلَفُنا الصَّالحُ من صاحب الشَّريعة الغرَّاء، ورسُولِ هذا الدِّين العظيم؛ محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم.

هذا؛ وقدْ علمْنا فيما سَبَقَ من هذا الكتاب؛ أنَّه قد قرَّر مسائلَ الإيمان علىٰ طريقة السَّلف الصَّالح جمعٌ غفيرٌ من علماء الأُمَّة في مؤلَّفاتهم؛ فمَن أرادَ البسطَ في مسائلِ الإيمان: مُسمَّاه، وحقيقته، ودرجاته، ومراتبه، وشعبه، وأَركانه، ونعمه، وثمراته، وصفات أَهله، وغيرها من المواضيع المتعلِّقة بالإيمانِ وأَحكامِه، وبأَدلَّتها عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة؛ فليرجع إلىٰ كُتبهِم ومراجعهِم؛ فمنها مصنَّفاتٌ مستقلَّةٌ، ومنها ما هو مصنَّفٌ عامٌّ في العقيدة.

ومن هذه الكتب علىٰ سبيلِ المثالِ لا بسطَ القولِ فيها، وأَذكرُ المطبوعةَ منها فقط:

١- «كتاب الإيمان» الإمام أَبو عبيد بن سلاَّم (٢٢٤ هـ).
٢- «كتاب الإيمان» الإمام أَبو بكر بن أَبي شيبة (٢٣٥ هـ).
٣- «كتاب الإيمان» الإمام ابن أَبي عمر العَدَني (ت ٢٣٤ هـ)
٤- «كتاب الإيمان» الإمام محمَّد بن مندَه (٣٩٥ هـ)
٥- «مسائل الإيمان» أَبو يعلىٰ بن الفرَّاء (ت ٤٥٨ هـ)
٦- «كتاب الإيمان» شيخُ الإسلام ابن تيميَّة (٧٢٨ هـ).
٧- «شُعب الإيمان» الإمام أَبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)
٨- «صحيح شعب الإيمان» الشيخ خالد العك، رحمه الله.
٩- «البرهان في شعب الإيمان» علي الشربجي.
١٠- «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»
١١- «تعليم أُصول الإيمان، وبيان موانعه»:
للشيخ العلأمة عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، رحمه الله.
١٢- «الإيمان بين السَّلف والمتكلِّمين»:
الدكتور أَحمد بن عطيَّة بن علي الغامدي.
١٣- «الإيمان أَركانه حقيقته نواقضه» د. محمَّد نعيم ياسين.
١٤- «قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أَهل السُّنَّة والجماعة» الشيخ عادل بن محمَّد بن عليّ الشّخاني.
١٥- «حقيقة الإيمان عند أَهل السُّنَّة والجماعة»:
محمَّد بن عبد الهادي المصري.

١٦- «فقه الإيمان علىٰ منهج السَّلف الصَّالح»:
الدكتور وميض بن رمزي بن صديق العُمري.

١٧- «التبيان لعلاقة العمل بمسمَّىٰ الإيمان»:
أَبو معاوية علي بن أَحمد بن سُوف.

١٨- «أَقوالُ ذوي العرفان في أَنَّ أَعمال الجوارح دَاخِلةٌ في مُسمَّىٰ الإيمان» الدكتور عصام بن عبد الله السَّناني.

١٩- «زيادة الإيمان ونقصانه، وحكم الاستثناء فيه»:
الشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العبَّاد البدر.

٢٠- «الحدُّ الفاصلُ بين الإيمان والكفر»:
الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف.

٢١- «الإيمان تعريف ومتفرقات» عثمان عبد القادر الصافي

٢٢- «تنبيه الإخوان إلىٰ حقيقة الإيمان والرَّدُّ علىٰ المخالفين»:
علي بن عبد العزيز موسىٰ.

٢٣- «مسألة الإيمان؛ دارسة تأصيلية»:
الدكتور علي بن عبد العزيز بن علي الشبل.

٢٤- «حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء في القديم والحديث»:
الدكتور سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري.

٢٥- «كتاب الإيمان مفهوم الإيمان ولوازمه عند أهل الحديث والسنّة والأثر» عمرُو عبد المنعم سليم.

٢٦- «الإيمان؛ حقيقته وزيادته وثمرته»:
الشيخ العلاّمة عبد الله بن محمد الغنيمان.

٢٧- «الإيمان؛ حقيقته ونواقضه»

٢٨- «أَسئلة وأجوبة في: الإيمان والكفر»:
للشيخ العلاّمة عبد العزيز بن عبد الله الراجحي.

٢٩- «مسائل في الإيمان» العلاّمة صالح بن فوزان الفوزان.

٣٠- «حقيقة الإسلام والإيمان، ومنزلة العمل في الإيمان».
منصور بن عبد العزيز السماري.

٣١- «كتاب الإيمان» الشيخ عبد المجيد الزنداني.

٣٢- «في ظلال الإيمان» د. صلاح عبد الفتاح الخالدي.

٣٣- «شجرة الإيمان» الشيخ أَحمد فريد.

٣٤- «الإيمان هو الأساس» د. عبد الله قادري الأَهدل.

٣٥- «شرح أُصول الإيمان» العلاّمة محمّد بن صالح العُثيمين

٣٦- «ركائز الإيمان» الشيخ محمّد قطب.

٣٧- «نواقض الإيمان؛ القوليّة والعمليّة»:
الدكتور عبد العزيز بن محمّد بن علي العبد اللطيف.

٣٨- «نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التَّكفير عند السَّلف» الدكتور محمَّد بن عبد الله الوهيبي.

٣٩- «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي»:

د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

٤٠- «براءةُ أَهل الحديث والسُّنَّة من بدعة المرجئة»:

محمد بن سعيد بن عبد الله الكثيري.

٤١- «جواب في الإيمان ونواقضه»:

الشيخ العلاَّمة عبد الرحمن بن ناصر البرَّاك.

٤٢- «درء الفتنة عن أَهل السُّنَّة» العلاَّمة بكر أَبو زيد

٤٣- «التَّحذيرُ من الإرجاء، وبعض الكُتب الدَّاعية إليه»:

مجموعة الفتاوىٰ الصادرة عن اللَّجنة الدائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٤٤- «أَثر الإيمان في تحصين الأُمَّة الإسلاميَّة ضدَّ الأَفكار الهدَّامة» عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع.

٤٥- «الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه»:

عبد الرزاق بن طاهر بن أَحمد معاش.

٤٦- «عارض الجهل وأَثره علىٰ أَحكام الاعتقاد عند أَهل السُّنَّة والجماعة» أَبي العُلا بن راشد بن أَبي العُلا الرَّشد.

٤٧- «الاستهزاء بالدِّين؛ أحكامُه وآثارُه»:
أَحمد بن محمَّد بن حاسن القرشي.

● أمَّا المصنَّفاتُ العامَّةُ في العقيدةِ، ومن ضمنها مسائلُ الإيمانِ، وما يتعلقُ بها؛ فكثيرةٌ جدًّا يصعبُ حصرُها هنا، وخُصوصًا في كُتب العقائد المسندة، ولكن نذكرُ أَهمَّها:

١- «كتاب السُّنَّة» الإمام عبد الله بن الإمام أَحمد (٢٩٠ هـ)

٢- «كتاب السُّنَّة» الإمام ابن أَبي عاصم (٢٨٧ هـ).

٣- «كتاب السُّنَّة» الإمام ابن الخلال (ت ٣١١ هـ).

٤- «كتاب السُّنَّة» الإمام محمد بن نصر المروزيُّ (٢٩٤ هـ)

٥- «شرح السُّنَّة» الإمام الحسن بن علي البربهاري (٣٢٩ هـ)

٦- «كتاب الشَّريعة» الإمام أَبو بكر الآجري (٣٦٠ هـ).

٧- «الإبانةُ عن شريعة الفرقة النَّاجية ومجانبة الفرق المذمومة» الإمام ابن بطَّة العكبري الحنبلي؛ (ت ٣٨٧ هـ).

٨- «رياض الجنَّة بتخريج أُصول السُّنَّة» الإمام ابن زَمَنِيْن؛ (ت ٣٩٩ هـ).

٩- «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصَّحابة والتَّابعين من بعدهم» الإمام الحافظ أَبو القاسم هبة الله ابن الحسين الطبري اللالكائي (ت ٤١٨ هـ).

١٠- «عقيدة السَّلف وأَصحاب الحديث» الإمام الحافظ أَبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصَّابوني؛ (ت ٤٤٩ هـ).

١١- «الحجَّة في بيان المحجَّة وشرح عقيدة أَهل السُّنَّة» الإمام الحافظ قوَّام السُّنَّة أَبو القاسم الأَصبهاني؛ (ت ٥٣٥ هـ).

٧- «لُمعة الاعتقاد؛ الهادي إلىٰ سبيل الرَّشاد» الإمام مُوفَّق الدِّين ابن قدامة المقْدِسي؛ (ت ٦٢٠ هـ).

وغيرها من المؤلَّفاتِ؛ التي دُوِّنت من قبل العلماء، وأَئمَّة أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة، والمبثوثة في بطونِ مراجعهم.

هذا؛ وأَسأَلُ اللَّهَ - تبارك وتعالىٰ - أَن يجعلَ عملي هذا صوابًا خالصًا لوجهِ الكريم؛ إنَّه وليُّ ذلك، والقادرُ عليه.

وصلَّىٰ اللَّهُ وسلَّمَ؛ علىٰ الهادي البشيرِ، والسِّراجِ المنيرِ؛ نبيِّنا وقائدنا ومرشدنا محمَّدٍ الأَمينِ، وعلىٰ آله، وصحبه، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين، والحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ.

محتويات الكتاب

رقم الصفحة

الموضوع

تم بعون الله تبارك وتعالىٰ

▪▪ كتب صدرت للمؤلف :

● « الوجيز في عقيدة السَّلف الصَّالح ؛ أَهل السُّنَّة والجماعة » .

● « الموجز في عقيدة السَّلف الصَّالح ؛ أَهل السُّنَّة والجماعة » .

● « موجز الكلام في أَركان الإِسلام » .

● « أَنواع وأَحكام التَّوسل المشروع والممنوع » .

● « الإِيمانُ : حَقيقتُهُ ، خَوارمُهُ ، نَواقضُهُ ، عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة » .

● « الوجيز في الإِيمانِ : حَقيقتُهُ ، مسائلُهُ ، نَواقضُهُ ؛ عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة » .

● « الإِيمانُ : ثَمَراتُهُ ، وَصِفَاتُ أَهْلِهِ ؛ عند أَهل السُّنَّة والجماعة » .

● « الموالاة والمعاداة ؛ عند أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة » .

● « الاحتفال برأس السنة ، ومُشابهة أَصحاب الجحيم » .

● « الغناء والموسيقىٰ ؛ بين اللَّهْوِ والوعيد » .

● « نظرةٌ في التَّعدد » .

▪▪ كتب للمؤلف لم تطبع :

* « الميسر في عقيدة السَّلف الصَّالح ؛ أَهل السُّنَّة والجماعة » .

* « الإِسلام ؛ حقيقته ، أَركانه ، نواقضه » .

* « التوحيد ؛ حقيقته ، أَنواعه ، نواقضه » .

* « الشِّرك ؛ حقيقته ، أَنواعه ، أَحكامه » .

* « الكفر ؛ حقيقته ، أَنواعه ، أَحكامه » .

* « الصَّلاة ؛ تعريف ، ترغيب ، ترهيب » .

رسائل صدرت للمؤلف

■ سلسلة رسائل التوحيد:
١- «شروط الإسلام ونواقضه العشرة». ٢- أَركان الإِسلام».
٣- «أَركان الإيمان». ٤- «أَنواع التَّوحيد». ٥- «أَنواع الشِّرك».
٦- «أَنواع الكفر». ٧- «الولاء والبراء».
٨- «الوجيز من عقيدة السَّلف الصَّالح».
٩- «التَّوسُّل المشروع والممنوع». ١٠- «حكم الاحتفال برأْس السنة».

■ سلسلة الرسائل الفقهية:
١- «الصَّلاة؛ تعريف ترغيب ترهيب». ٢- «رسالة إلىٰ تارك الصَّلاة».
٣- «صفة وضوء النبي ﷺ وصلاته». ٤- «صفة صوم النبي ﷺ».
٥- «إسبال الثياب بين الإعجاب والعقاب».
٦- «من الهدي النبوي؛ إعفاء اللحىٰ». ٧- «التَّصوير؛ أَنواعه، حكمه».
٨- «التدخين؛ بين الطب والدِّين». ٩- «حكم الغناء والموسيقىٰ».

■ سلسلة طريقة السَّلف في الدعوة إلىٰ الله:
١- «إلىٰ القائمين بوظيفة الرُّسُل». ٢- «ضوابط في الدعوة إلىٰ الله».
٣- «ميزان الاعتدال لتقويم الجماعات والرجال».
٤- «الإشاعة وأَثرها السيئ علىٰ المجتمع الإسلامي».
٥- «النصيحة؛ فقهها، شروطها، ضوابطها».

■ سلسلة رسائل في تربية الأَجيال:
١- «شذرات من سُنَن النبي ﷺ وأَخلاقه».
٢- «الإيمان باليوم الآخر، وأَثرها في حياة المسلم».
٣- «من أَخلاق السَّلف الصَّالح».
٤- «الغيبة وأَثرها السيئ في المجتمع الإسلامي».

■ سلسلة إلىٰ مربية الأَجيال:
١- «إليك يا جوهرة المجتمع». ٢- «آفة الاختلاط».

■ سلسلة اعرف عدوك:
١- «الشيطان عدوك الأَكبر». ٢- «الحزبية وأَثرها السيئ في الدعوة إلىٰ الله»